بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة الفتاوى

والأسئلة الفقهية

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن محمد المختار الشنقيطي

المدرس بالمسجد النبوي

لم تراجع من قبل الشيخ حفظه الله

السؤال :

فضيلة الشيخ : كيف أجد اللذّة في طلب العلم وجزاكم الله خيرا ؟

الجواب :

الله أكبر - نسأل الله أن يرزقنا لذّة العلم ، وأن يجعلنا من أهله - تجدها باختصار :

أوّلا : بالإخلاص لوجه الله - U - فلن تجد لذّة العلم على أجمل وأكمل وأفضل حال وصورة وبهاء مثل أن تكون مخلصا لله - U لأنّ من صلحت سريرته زكت علانيته ، ومن طيّب لله قلبه طيّبه الله قلبا وقالبا ، وما من عمل يستفتحه العبد وليس في قلبه إلاّ الله إلاّ فتح الله فيه أبواب رحمته عليه ، ووفّقه ويسّره وسدّده ، فلذلك أي مجلس تجلسه في العلم ، أو تخرج منذ أن تخرج من بيتك تجاهد نفسك أن تريد وجه الله - U - .

ثانيا : أن تحرص أثناء جلوسك في طلب العلم أن تكون على أكمل وأفضل ما يكون عليه الحال فلا تجلس في مجالس العلماء إلاّ إذا قرأت العلم ، وراجعت الدرس قبل الجلوس المرّة والمرّتين والثلاث والأربع حتى تحسّ باللذة، إنّ للعلم لذّة يعرفها من يعرفها ، ووجدها من وجدها ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، لا يجد لذة العلم الذي لا يعرف العلم إلاّ في مجالس العلماء ، يقرأ المرّتين والثلاث والأربع ، ومنهم من يقرأ ليلة

الدرس ، ثم يصبح وهو مع درسه ، ثم يمسي وهو مع درسه ، فــلا يــأتي الدرس إلاّ وهو هاضم مسائله ، عارفا ماذا يسمع وعن ماذا يسأل، هكذا يكون طلاّب العلم الذين يريدون أن يجدوا لذّة العلم ، والــذين يتلــذّذ العلماء بأمثالهم ، فمثل هؤلاء يملئون القلب ويملئون العين فرحا وسرورا ، وهم قرّة عين في عيون علمائهم وأساتذتهم ومشايخهم

أمّا أن يأتي الطالب لا عهد له بالكتاب إلاّ أثناء الدرس ، فهــذا قصــور، ويفوته من اللذة والخير الشيء الكثير .

الأمر الثالث : مّما يعين على لذّة العلم الضبط ، فيجلس الإنسان في مجلس العلم ، وقد أعطى جسمه حظّه من الراحة والاســتجمام ، فــلا يجلــس بخمول ولا بكسل ولا نوم ، ولا عدم مبالاة ، ولا جلوس المســتهتر، ولا متّكئ ولكن يجلس جلوس المقبل على العلم جدًّا واجتهادا وصدقا حــتىّ يتلذّذ في حاله وهيئته وسمته ودلّه كما كان أصحاب رسول الله- r - مع النبي - r - ؛ لأنّ هذه أنوار التتريل ، والآيات والأحاديث ينبغــي أن تقابل بالإجلال والإكبار حتىّ يعظّم الله للعبد عطيته .

الأمر الرابع : مّما يعين على لذّة العلم العمل به وتطبيقه ، فإذا طبّق العلــم وجد لذّته وبركته وخيره .

ومّما يعين على وجود لذّة العلم : الدعوة إليــه ، وتعلــيم النــاس لــه ، ودلالتهم عليه ، حتىّ يشعر بمقدار نعمة الله - تعالى عليه - .

مّما يعين على استشعار لذّة العلم : قراءة سيرة العلماء ، وكيف أصبح لهم بلاء للأمّة ، ونفع للأمّة ، أحياء وأمواتا، وهو يحمل كتاب هذا العالم ، كيف أنّ العالم وهو في قبره ، موسد في لحده ، تغشاه الرحمات ، والخيرات والبركات ، من أناس لا حسب بينه وبينهم ولا نسب ، كلّ هذا بفضل الله ، ثم بالعلم . نسأل الله أن يدينا

السؤال :

فضيلة الشيخ : هل من كلمة في أدب طالب العلم أثناء جلوسه بين يدي شيخه وفي مجالس العلم وهل يكره الاستياك والاعتماد أثناء الجلوس وجزاكم الله خيرا ؟

الجواب :

أما الاستياك أثناء مجلس العلم فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، واحد يشتغل بالمسواك في فمه، حتى أنا لو أرى أحدا يستاك يتشتت ذهني، ولذلك أرجو الذي يريد أن يستاك أن لا يجلس في وجهي، وإذا رأيت أحدا في وجهي يستاك أرجوك أن تنصحه؛ لأني ما أستطيع أن أركز، ما يستطيع الإنسان أن يركز وهو يعبث بالسواك والنبي - r - يقول : ((إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب أنصت)) وأنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر عد الاشتغال عن العلم ذهابا لأجر الجمعة، مع أنه يشتغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجب عليه والسنة واجبة، فمابالك بالسنة

المستحبة، فهذا ليس موضع سواك أن يجلس الإنسان في مجلس العلم في وجه الشيخ أو العامي يستاك هذا الحقيقة من الأمر يعني ما نعرفه في مجالس العلماء - رحمهم الله - .

ومن هنا ينبغي تعظيم العلم، وتوقير العلم، فإذا جلس الإنسان في مجلس العلم أول شيء عليه أن ينصت؛ لأن الله - U - أمر بالإنصات للعلم، وواجب على كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينصت للحق خاصة إذا تليت عليه آيات الله، وأحاديث رسول الله - r - وذكر كلام العلم المستنبط من الكتاب والسنة .

ثانيا أن يحضر قلبه، وأن يعلم كل طالب علم أنه مسؤول أمام الله عن كل كلمة سمعها، والله، ما حضرت مجلسا من مجالس العلم فسمعت حكما إلا حملته أمانة في عنقك أن تبلغه من وراءك، وأن تعلمه من جهل ولا يحسب الإنسان أنه يجلس في مجالس العلماء للاستكثار، فإن مثل هذا يستكثر من حجج الله - U - عليه.

الشعور بالمسؤولية فهذا من الأدب الكامل، ومن فعل هيأ نفسه لمعالي الأمور، فانضبط وحصل العلم على أتم الوجوه وأكملها .

كذلك أيضا من الأمور التي ينبغي على طالب العلم أثناء مجلس العلم : أن لا يشغل ذهنه بكثرة الالتفات، ولذلك كان أصحاب رسول الله - r - إذا جلسوا بين يدي النبي - r - أطرقوا حتى كأن على رؤوسهم الطير، ومن خفة طالب العلم أن يكون في مجلس العالم فيرى شيئا حدث في

المسجد فيلتفت يمنة ويسرة، ثم الذي وراءه يلتفت، ثم الذي وراءه يلتفت وكان أصحاب النبي - r - يطرقون حتى كأن على رؤوسهم الطير، لو زلزلت الأرض ما انصرفوا عن قول الله وقول رسوله - r - أدبا وحياء مع العلم، حتى قال بعض العلماء : عجبت ممن يجلس في مجالس العلماء ولا يستشعر هذه العظمة، حتى ولو سمع صراخا في المسجد التفت يمينا وشمالا .

والله أحق أن يعظم فهذا من خفة الإنسان في مجلس العلم أن يلتفت يمينا وشمالا، أو يرى رجلا قام أو قعد يلتفت إليه، يلتفت إلى كلام الله وكلام رسوله، فيطرق برأسه ويصغي بأذنه، كان أصحاب رسول الله - r - إذا جلسوا في مجلس رسول الله - r - أطرقوا حتى كأن على رؤوسهم الطير.

وقال سهل لقريش : إني ما رأيت أشد حبا من أصحاب محمد لمحمد، والله ما كلمهم إلا أطرقوا حتى كأن على رؤوسهم الطي،ر وهذا أبلغ ما يكون في ا لأدب، وأكمل ما يكون في مجالس العلماء.

كذلك أيضا ينبغي على طالب العلم في مجلس العلم : أن لا يشغل غيره ، فالطالب مع الطالب لا يشغل الطالب عن سماع العلم.

وأيضا عليه أن يكون على أكمل الحالات، ما يجلس ينام، ولا يتثاءب عليه أن يكون على أكمل الحالات في مجلسه لا يمد رجله، ولا يستخف بالعلم، إنما يجلس جلوس من يوقر العلم، ويجل العلم، وإذا كان المكان

ضيقا لم يتفسح ولم يتعال على إخوانه من طلاب العلم، وإنما جلس جلوس الرفقة والمحبة .

كذلك عليه في مجلس العلم : أن يحسن الإشكالات والسؤال، وأن يضبط ذلك، وأن يكتبه، وأن يقيده، هذا مما أحب أن أنبه عليه، وإلا فالآداب كثيرة، وجماعها تقوى الله - U - .

ونسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا حسن الخلق وأن يتمم أحوالنا وأقوالنا وأفعالنا بمكارم الأخلاق التي لا يهدي لأحسنها إلا هو إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

رزقنا وإياكم ذلك وصلى الله

السؤال :

نحن طلاب علم نحبك في الله ونطلب منك النصيحة وتوضيح طريق السلف في تفسير كتاب الله وحفظ السُّنة والتفقه في الدين وماذا يجب على الطالب أن يدرسه على الشيخ وما ينبغي عليه حفظه في كل فن من المتون ؛ لأن الدين قد غلبنا وكثرت الكتب والأقوال وما ندري ماذا نسلك وبماذا ننجوا أثابكم الله ؟

الجواب :

- أحبك الله الذي أحببتنا من أجله - ما شاء الله سألت عن العلم كله كيف يفسر القرآن كيف تحفظ السنة وكيف تتفقه في الدين هذه هي الدين كله ، فمن رزق تفسير القرآن وفهم المنهج الصحيح في تفسيره وحفظ من سنة رسول الله - r - فجمع وأوعى وفقه وعلم معاني تلك السنن وآثارها فقد حاز العلم كله يعني في الحقيقة وضع منهج في هذا كله أمر من الصعوبة بمكان ننبه على بعض الأمور المهمة :

أولاً : تفسير كتاب الله هذا أمر مهم جداً خاصةً في هذا الزمان حيث أصبح تفسير القرآن يجرؤ عليه من ليس بأهلٍ لتفسير كتاب الله - U - وهذه مصيبة عظيمة وثلمة عظيمة في الدين أن يقال في كتاب الله - U - وأن يتكلم في كتاب الله - U - من ليس بأهله على كل مسلم أن ينتصح وأن ينصح غيره أن القرآن لا يفسر إلا بالقرآن قال -تعالى- : { كِتَاباً مُتَشَابِها } أي يشبه بعضه بعضاً ويفسر بعضه بعضاً ، ولذلك يجمل القرآن في موضع ويفسر في موضع آخر بل قد يفسر مباشرة { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ @ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ } { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ @ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ @ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ } القرآن ما أجمله يبين مجمله ويوضحه .

كذلك - أيضاً - تفسر السُّنة القرآن إذا لم يوجد في القرآن ما يفسره فالواجب الرجوع إلى السُّنة كما قال -تعالى- : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } نزلنا إليك الذكر يعني الوحي الذي هو وحي

السُّنة { لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } وهو القرآن فأصبحت السُّنة مفسرة للقرآن ، ولذلك قال - r - : ((ولقد أوتيت القرآن ومثله معه)) ، ومن هنا احتج الصحابة -رضوان الله عليهم- بالسُّنة ومن اقتصر على القرآن كالقرآنيين قبحهم الله وقطع دابرهم عن الإسلام والمسلمين الذين ذكرهم النبي - r - وكان من معجزاته أن ذكرهم قبل أن يوجدوا الذين يقولون لا نحتج إلا بالقرآن كما كان الخوارج يفعلون هؤلاء الذين يسمون أنفسهم القرآنيين ويقتصرون على دلالة القرآن ويقولون السُّنة هذه رواية رجال فمنهم المخطئ ومنهم المصيب ولا نقبل السُّنة قال - r - : ((لا ألفين أحدكم جالساً على أريكته شبعان ريان يبلغه الحديث مما قلته أو أمرت به فيقول ما وجدنا هذا في كتاب الله ولقد أوتيت القرآن ومثله معه ولقد أوتيت القرآن ومثله معه)) فالسُّنة تفسر القرآن بل وتنشئ أحكاماً ؛ لأن الله - U - أوحى لنبيه بالسُّنة كما أوحى إلى نبيه بالقرآن من جهة كون كل منهما وحياً وإن كان قد يخالف القرآن السُّنة من وجوه لا تخفى .

كذلك - أيضاً - إذا لم توجد السُّنة السُّنة مثلاً قال -تعالى- : { وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ } كيف نقيم الصلاة بينت السُّنة ما هي شرائط الصلاة التي تسبقها وما هي شرائطها الواجبة لصحتها وما هي الأركان والواجبات التي تفعل عند إقامة الصلاة هذا كله ما هو موجود في القرآن عدد ركعات الظهر موجودة في القرآن عدد ركعات العصر المغرب والعشاء

موجودة ، في القرآن ما هي موجودة ، لم يوجد في القرآن إلا الأصل وهو الأمر بالصلاة ، وجاءت السُّنة ببيان ذلك فهي مفسرة للقرآن .

كذلك - أيضاً - يفسر القرآن بعد القرآن وبعد السُّنة بلغة العرب ؛ لأن الله - U - وصف القرآن بقوله : { بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } فالعرب كلامها له شواهده وله دلائله التي تبين معناه ومغزاه ومن هنا يحتج بكلام العرب كما احتج أصحاب رسول الله - r - به واحتج به أئمة التفسير ودواوين العلم من السلف الصالح والتابعين لهم بإحسان ، قال بن عباس -رضي الله عنهما- : ما كنت أعلم قول الله - U - : { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ } حتى اختصم إلي رجلان في بئر قال أحدهما أنا فطرتها فعلم أن قول الله - U - : { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ } أي خالق السموات وموجدها ، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- : " في القرآن ما لا يعرفه إلا العرب" يعني يعرفونه بلسانهم يقول : { وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُن } العرب تقول المسيس تكني به عن الجماع ، لا تقل من قبل أن تمسوهن من قبل أن ، أبداً المراد به الدخول على المرأة ، ومن هنا لا يمكن أن نفهم أن النص هنا على ظاهره لابد من الرجوع إلى أقحاح العرب وأهل الفصاحة الذين لهم اللسان الواضح البين الذي يفسر كتاب الله- U - ومناظرة عبدالله بن عباس لابن أزرق شاهدة على هذا ، واحتجاج السلف باللغة العربية واضح في هذا فلا إشكال ، بعد ذلك بقي النوع الخامس وهو تفسير القرآن بالرأي .

والرأي رأيان :

الأول : رأي محمود .

والثاني : رأي مذموم .

الرأي المحمود له شروط وتفسير القرآن بالرأي .

طبعاً يشترط أول شيء أن يكون الإنسان الذي يريد أن يفسر القرآن برأيه مخلصاً لوجه ربه ؛ لأنه لا يمكن أن يلهم معاني هذه الآيات والحجج إلا من كان مخلصاً لله - U - وهي التقوى التي يعلم الله بها عبده ويفقهه بها في دينه .

كذلك - أيضاً - ينبغي أن يكون هذا الذي يفسر برأيه له علم وإلمام بطرق التفسير التي ذكرناها لأنه لا يمكن أن يفسر برأيه والآية فسرتها آية أخرى ، ولا يفسر برأيه والآية فسرتها سنة ، لابد أن يكون عالماً بالنصوص التي فسر بعضها بعضاً من كتاب الله وعالماً بالأحاديث التي فسرت هذه النصوص وعالماً - أيضاً - بالإجماعات ؛ لأنه ربما خرق إجماعاً أو شذ في معنى آية أو دلالة أوفهم هو يفهمه لنفسه لابد من أن يكون على إلمام بهذه الأمور التي هي أصول الحجج .

كذلك - أيضاً - لابد أن يكون على إدراك وإلمام بتفسير السلف -رحمهم الله- أئمة السلف في التفسير كزيد بن ثابت - t وأرضاه- وأبي له تفسيرات وكان من أهل العلم بالقرآن -t وأرضاه- ، وكذلك عبدالله بن مسعود ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر له أقوال في تفسير القرآن

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

وطبعاً الخلفاء الراشدون كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي - y وأرضاهم- فأقوال هؤلاء الأئمة الجهابذة الذين كانوا أعرف بكلام الله -U- وهو الذي يعبر العلماء عنه بعلماء التفسير من الصحابة هؤلاء هم الذين شهدوا مواطن التنزيل هم الذي شهدوا الوقائع والحوادث وهم أعلم بالعام الذي يراد به الخاص ، والخاص الذي يراد به العام ، قال كعب بن عجرة -t وأرضاه- كما في الصحيحين لما سئل عن آية الفدية فقال -t- : " نزلت في خاصة وهي لكم عامة " فانظر كيف أخذ الآية فجعلها على عمومها قد تكون الآية عامه أريد بها الخاص حينما تأتي نصوص عامة يخاطب بها أقوام خاصون مكلفون بذلك الأمر لا تحمل على عمومها وإنما تحمل على المعني بذلك الأمر ، ولذلك وجوه كثيرة محلها معروف من كلام العلماء في علوم القرآن هذا في تفسير القرآن تفسير السُّنة -رحمك الله- أحاديث رسول الله -r- فسرت وبينت ووضحت وشرحت واعتنى العلماء بها ؛ لأن الله تكفل بحفظ الوحي والقرآن والسُّنة كما أن الله- U -تكفل بحفظ القرآن تكفل بحفظ ما فيه بيان للقرآن وهو السُّنةمن قرأ في السيرة والتاريخ وجد عجائب لطف الله- - الذي تحار فيه العقول كيف حفظ الله- - هذه السُّنة حتى إن الرجل الواحد من رواة الأحاديث يعرف متى مولده وأين نشأ ومن الذي علمه ومن الذي أخذ عنه حتى لربما حفظوا عدد الأحاديث التي يرويها عن شيخ واحد -رحمة الله- على تلك النفوس الناصحة والأرواح الخالصة التي أخلصت لربها ونصحت لأمة

محمد-r- هذه الثروة الهائلة التي لو كشف للناس عما فعله جهابذة السلف وأئمة العلم من خدمة لهذا الدين يقف الإنسان حائراً ويدرك بكل جلاء ويقين أن وراء هذا الأمر قوة إلهية وعظمة إلهية لا يمكن أن تكون بذكاء ذكي ولا بحول إنسان أبداً ؛ وإنما هي قدرة الله ونصر الله لهذا الدين وللرسل وصدق الله أنه ناصر لدينه وناصر لرسله مبلغ ما شاء-سبحانه- من بلاغه لعباده ، فهذا كله يدل على أن هذه السُّنة ينبغي أن تحفظ كما حفظها السلف ، من هنا لا يجوز لأحد أن يأخذ حديثاً ويفهمه بفهمه وعلينا أن ندرك أن العلماء-رحمهم الله- والأئمة الجهابذة الذين شرحوا الأحاديث لهم مناهجهم ومسالكهم وطرقهم فنرجع للعلماء الذين يعرفون بالتلقي عن أمثال هؤلاء وإذا وجدت من يشرح الحديث يشرح من عنده أو يجلس للناس كل من يحدث بحديث عن رسول الله-r- عليه أن يتقي الله في أمة محمد-r- وإذا جاء يفتح كتاباً أو يتحدث عن حديث عليه أن لا يأتي بتفسير الحديث من عند نفسه وأن يجلس يذهب يضرب يميناً وشمالاً يحلل بالآراء ويضرب بأمور سمجة ممقوتة من أحوال الناس حتى إنك تجد حديثاً عن رسول الله-r- أعلى ما يكون شموخاً وبتفسيره وشرحه ينـــزل إلى الحضيض وهذا كله بضعف مادته العلمية وعدم تأصيله الشرعي أناس يقولون خلت الساحة فتعين علينا أن نتقدم وأناس يقولون إنهم هم الذين يشرحون ؛ لأنه ما في أحد يشرح سبحان الله إذا لم يوجد أحد يعلم فأنت عالم وهل إذا لم يوجد أحد يعلم معناه أنه يجب عليك أن تعلم الناس إنما

تعلم بعلم وبصيرة ، ولذلك علينا أن نتقي الله- - وأقول وأبرأ إلى الله أن من أحد يقف أمام حديث رسول الله-r- ويفسره أو يشرحه دون أن يكون له عالم رباني قد فسر له هذا التفسير فقد تقحم نار الله على بصيرة وغش أمة محمد-عليه الصلاة والسلام- فيما يقول وسيقف بين يدي الله- - مخطئاً ولو أصاب الدين ما هو بالرأي ولا هو باختيار الكلمات المنمقة والعبارات المخذلقة حتى إن الناس أصبحوا يرغبون حتى في تفسير كتاب الله- - تجد العالم الرباني إذا جلس يفسر القرآن يبينه بتفسير السلف متقيدا بما روي قالوا هذا علم قديم وكأنه شيء ولى وذهب فإذا جاء الرجل يأتي بالعبارات المنمقة ويضحك الناس ويدخل السرور عليهم ويبهجهم قالوا هذا هو العالم وسيعلم الناس غداً إذا وقفوا بين يدي الله من هو العالم بحق ، ومن هو المستنير ابن عباس-رضي الله عنهما- لو جمع تفسره ما يتجاوز كتاباً واحداً لأنهم كانوا لا يفسرون إلا بحجة ومحجة فتتقيد ألفاظهم بالوارد وتنـــزوي نفوسهم الورع بالخوف يقول أبو بكر : " أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي " أين أذهب من الله هذا إمام من أئمة المسلمين وعلم من أعلام الدين لما وقف أمام آية جثى على ركبتيه خوفاً من الله- - ليس هذا الأمر خاصاً بأناس يتصدرون في الوسائل المنتشرة الآن التى جاءت بكل من هب ودب بل إنه قد يكون بين الأخيار فالرجل تجده في مسألة يحتج بآية ويفهمها بفهمه ، وقد يكون شاباً يدعي أنه ملتزم وخير فهذا الأمر كله يتقحم فيه

هؤلاء نار الله على بصيرة ، الورع كيف تطلب العلم في هذا كله لن تطلبه إلا بعالم رباني وبمحبة صادقة للكتاب والسُّنة وبإخلاص فإذا رزقت هذه الأمور فوالله إنك على خير كثير .

-نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح ، وأن يجعل ما تعلمناه وعلمناه خالصاً لوجهه الكريم موجباً لرضوانه العظيم - .

السؤال : إن حاجة طالب العلم لتعلم الآداب الشرعية معلومة فحبذا لو تفضلتم بوصية لما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم من التواضع ولين الجانب ؟

الجواب :

التواضع خلق حميد الله-تعالى- إذا أراد أن يرحم عبده سلب من قلبه الكبر سلب من قلبه القسوة وجعل قلبه رحيماً منكسراً يلطف الله- U - به بهذه الرحمة في دينه ودنياه وآخرته ، فما دخلت الرحمة ولا سكنت في قلب عبد إلا ظهرت آثارها على جوارحه ، ومن ذلك هذا الخلق العظيم وهو خلق التواضع أوحى الله به إلى نبيه الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- فقال كما ثبت عنه في الحديث الصحيح : ((لقد أوحي إلى أن تواضعوا حتى لا يعلو أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)) والتواضع خلق الأنبياء وشأن عباد الله الصالحين الأتقياء ألبسهم الله لباس التواضع

فعظم بهذا التواضع خير العبد وعظمت منـــزلته وعلت درجته ، فإن الناس يظنون أن المتواضع ذليل وأنك إذا تواضعت للناس أنهم يهينوك ويذلوك فكذب النبي- r - هذا الاعتقاد وقال كما ثبت عنه في الصحيح : ((ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه)) فالله يرفع قدر العبد في دينه ودنياه وآخرته بالتواضع وإذا عظم خير الإنسان وأراد الله أن يبارك له في هذا الخير رزقه التواضع

إنَّ كَرِيمَ الأَصْلِ كَا لْغُصْنِ ******************** كُلَّمَا ازْدَادَ مِنْ خَيرٍ تَوَاضَعَ وَانْحَنَا

وأحق الناس بالتواضع العلماء وأهل العلم وحملة كتاب الله- U - من حفاظه وطلاب العلم الذين يرجى منهم الخير من إمامة الأمة ودلالة الناس على الله- U - فهم خليقون للآداب كلها ، وينبغي أن تنظر الناس إلى الإسلام من خلال شمائلهم العطرة وآدابهم الكريمة التي تهدي إلى السنة ويحي بها هدي رسول الله- r - .

وينبغي للمسلم أن يستعين بالله- U - في خلق التواضع فإن التواضع لا ينال بالتشهي ولا بالتمني ولكنه منحة ربانية وعطية رحمانية يؤتيها الله من يشاء ، وهي فضله الذي اختص به من يشاء ممن أراد أن يعزه في الدنيا والآخرة فأكثر من دعاء الله أن يرزقك التواضع وأن يسلب من قلبك الكبر وألا يجعلك مغروراً بنفسك ، فإن الله -تعالى- إذا أراد أن يشقي

عبده غره بما عنده من العلم فأصبح يتطاول على عباد الله ويحتقر أولياء الله ولربما تطاول على أهل العلم وظن أن إتقانه لهذه المسألة أو أن علمه بهذا الحديث وإدراكه لأمر فيه أكثر من العالم أو أكثر من ذلك الشيخ أو من هذا الكاتب أو من هذا الشارح أن هذا يوجب علو قدره فلا والله إذا ظن ذلك فقد هلك ، ولا شك أن الله سيستدرجه من حيث لا يحتسب فمن احتقر العلماء فإنه سيأتي عليه وقت لا يبالي بعلمهم -نسأل الله السلامة والعافية- .

ومن ظن أن علمه كثير فإن الله يؤذنه بالنقص ويمحق البركة من علمه ، ينبغي دائماً لطالب العلم أن يتواضع خاصة لسلف الأمة والأئمة المتقدمين وألا يحتقر شروحهم للأحاديث وألا يحتقر علمهم بل عليه أن يعظم هذا منهم ، وكم من كلمة قليلة علم الله صدق صاحبها فصارت كبيرة كثيرة بإخلاصه وصدقه وعلمه بالله- Y - فالمتكلمون كثير والكاتبون كثير ولكن قليل من أخلص لله وقليل من شكر الله قوله وشكر عمله-نسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم وأن يجعلنا وإياكم منهم وهو أرحم الراحمين - .

خلق التواضع خليق بطلاب العلم خاصة في مجالس العلم وخاصة مع بعضهم فلا يتعالى طالب العلم المتقدم على الحديث ولا يحاول أن يتعالى بكلامه ولا يتعالى بأفعاله لأن التواضع يكون في الأقوال ويكون في الأفعال ، وينبغي على طلاب العلم المتقدمين أن يعطفوا على إخوانهم المتأخرين والحديث العهد بالطلب وأن يتواضعوا لهم وأن يكونوا قريبين منهم وتنشر

بينهم المحبة والإلفة لأن الله جمع بين أهل العلم بهذا العلم وجعله رحماً بين أهله فإذا انتشرت هذه الأخلاق الكريمة بين طلاب العلم أحبهم الله وهذا هو الواجب والمنبغي والله إن التواضع ينبغي أن يكون بين عامة المسلمين فضلاً عن طلاب العلم فلا تزدري أحداً فإن الله-سبحانه- هو المطلع على القلوب قالوا يا رسول الله : ((من خير الناس قال : أتقاهم لله)) ، والتقوى في القلوب فلعلك أن ترى طويلب علم قد آذن الله- U - له بالفتح ولربما يأتي يوم وهو إمام من أئمة المسلمين ، هذا فضل من الله- U -يؤتيه من يشاء فإياك أن تحتقر أحداً أو تزدريه وهذه وصية لكل طالب علم وعليه أن يتواضع للحق وأن يتواضع للسنة ، ذكروا عن بعض أهل العلم -رحمهم الله- أنه جلس ذات يوم في مجلسه فجاءه أحد الطلاب من طلابه وكان نابغاً في اللغة فسئل الشيخ عن مسألة في اللغة فجاء بزبدة القول وخلاصته وحينئذ قام ذلك الطالب وكلم الشيخ فيما بينه وبينه أن هذه المسألة فيها خلاف بين أئمة اللغة وأن الصحيح كذا وذكر له المسألة ، فقال له من دلك على هذا قال له إني قد كتبت فيها وكان عالماً في اللغة ، فقال علي بما كتبت أي أعطني الكتاب أو الرسالة التي ألفتها في هذا الكتاب أو المسألة - طبعاً ألف في الرسالة بعد تفوق ونبوغ وليس كزماننا هذا كلما جلس طالب العلم في مجلس ذهب إلى المغني ومجموع وأخذ يسطر الأقوال لكي يستدرك الأشياء - لا هذا لا نعرفه ولا كن نفعل هذا ولا نعرفه والحمد لله لم نر في طلاب العلم من طلابنا ولا نزكيهم على الله

الحمد لله هذه الصفة لأن هذه الكتب الطويلة وتحرير المسائل ليس لكل أحد فأنا أذكر هذه القصة حتى لا يظن البعض أنه كلما جاء في مسألة انقدح له فيها فذهب يبحثها وجاء ببحثها لا إنما كان أن مكان هذا الرجل متقناً للغة مبرزاً فيها وجاء يطلب علم الفقه عند هذا العالم وهو إمام كان من الري ، أحد علماء الري بخراسان كانت له مكانة في علم الفقه فجاء يطلب عنده علم الفقه وهو نابغة في اللغة فلما ذكر المسألة ذكر له أن فيها خلافاً ثم جاءه برسالته فلما جاءه بالرسالة نظر فيها ذلك العالم فوجد أن طالبه يتقن هذا العلم ، وما كان يظن أنه بهذه المثابة من العلم فلما تصفح الورقة الأولى ، وقلب الورقة الثانية فأدرك أنه إمام من يحسن هذا العلم والفن نزل عن كرسيه وأقسم على الطالب أن يجلس مكانه ثم جلس يقرأ عليه الرسالة حتى أتمها وكاد الطالب أن يذوب خجلاً من كونه يجلس مع أنه كان كبير السن وله مكانته وجلالته لكنه تواضع للعلم ونزل للعلم وهذا شأن العلماء الأتقياء الصالحين الأوفياء أنهم يتواضعون ولا يتكبرون ويتعالون .

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا هذا الخلق لوجهه الكريم وأن يجعله موجباً لرضوانه العظيم .

السؤال : عند زيارة أهل العلم والفضل من مشايخنا وعلمائنا الأجلاء ما الذي يجب علي أن أراعيه من الآداب ؟

الجواب :

الله المستعان هذا يحتاج إلى درس ودروس - نسأل الله العظيم ، أن يزيننا بالأخلاق - .

ما أنعم الله على عبد بعد الإيمان بالله وتقواه ، مثل حسن الخلق الذي ما كان في قليل إلا كثره ولا كان في عبد إلا زانه وجمله حسن الخلق الذي أخبر النبي- r - أنه يرفع الله به درجة العبد ويثقل به ميزانه ، وأنه إذا أقيم نصب الميزان يوم القيامة فليس هناك شيء أثقل في ميزان العبد من تقوى الله حسن الخلق ، وقال-عليه الصلاة السلام- كما في الصحيح : ((إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)) بحسن الخلق الوجه الطليق ، والقول الرفيق ، والإحسان إلى الناس ، والبساطة ، وسلامة الصدر ، والتواضع ، وتوطأة الكنف ، وحسن الظن بالمسلمين ، وحسن معاشرتهم ، فلا يخالطه أحد إلا أحبه ، ولا يعاشره أحد إلا وده ، ولا يرى من شمائله وأقواله وأفعاله إلا ما يذكره بهدي رسول الله- r - وسنته حسن الخلق الذي هو زينة الإسلام الإسلام ليس بالتحلي ، ولا بالتمني ، ولا بالتسمي ؛ ولكن ما وقر في القلب وصدقه في العمل وقال : ((المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه)) في عفة اللسان التي تزيد العبد جلالاً وجمالاً ، وبهاءً ، وكمالاً فيكون أقرب إلى هدي رسول الله- r - ، وسنته

العطرة ، وسيرته الجليلة النظرة ، وما أجمل هذا الشيء الجميل الكامل الفاضل إذا كان مع العلماء ! وكان مع الصالحين الأتقياء ! فحقهم أوجب وحرمتهم أعظم ، ولذلك من وفقه الله - U - إلى صحبة العلماء وماتوا وهم عنه راضون فذلك خير عظيم ، ويدل على فضل العبد ، وعلى نبله من صحب العلماء وجعل تقوى الله نصب عينيه فأحسن إليهم ولم يسئ وأكرمهم ولم يهنهم وشرفهم ولم يذلهم وجعل صحبته لهم معينة على طاعة الله ومعين لهم على الدعوى وتبليغ رسالة الله - U - ، وكان معهم على حسن الخلق ، وحسن التودد ، وحسن المعاشرة حتى ألفوه وأحبوه فإنه قد يكون أقرب الناس منهم مجلساً كما قال - r - : ((ألا أنبئكم بأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويألفون)) إذا زار الإنسان العالم :

أولاً : يختار الوقت المناسب للزيارة خاصةً في هذه الزمان ينبغي أن نعلم أن العلماء على ثغور الشخص الواحد منا اليوم قل أن يجد له الساعة فضلاً عن الساعات بل قد لا يجد الدقيقة ، ولا أبالغ فضلاً عن الساعات بل قد لا يجد الثانية في بعض الظروف الحرجة التي ينشغل فيها بتحضير العلوم لأبناء المسلمين ، وسد الثغور التي يحتاج فيها لتعليم العقيدة ، أو تعليم الأحكام أو وعظ الناس ، أو تذكيرهم في الخطب ، أو نحوها اختيار الوقت المناسب ، وأحلك الأوقات ، وأشدها مثل : أن يكون الوقت وقت درس ، أو وقت محاضرة يهيء الإنسان لذلك العالم كل ما يستطيع

وكل ما يمكنه أن يهيئه من اللين ، أو توطئة الكنف ، وقضاء الحوائج حتى يكون العالم مستجمع القوى مستجمع النفس مستجم الروح فيؤدي ما فرض الله عليه بنفس طيبة بنفسه فإنه لو كدر أحد خاطره في هذا الوقت الحرج ، أو جاء قبل أن يدخل المسجد أو جاء قبل أن يدخل المحاضرة وسأله سؤالاً أزعجه أو أقلقه أو يشوش فكره يضيع على الناس خيراً كثيراً ، وقد يضيع على العالم أجراً عظيماً لابد من تقدير هذا الخطيب ، إذا ذهب للخطبة يوم الجمعة ، وعندي سؤال ما آتي أختار وقت دخوله للمسجد فأزعجه وأشوش عليه بل ولو كان في صلاةعادية أجعله يدخل إلى المسجد وهو مرتاح النفس مطمئن القلب ، ولو كان عندي أي خبر يزعج أخاف من الله وأتقي الله فيه ، وكان بعض من يصحب العلماء يقول أخشى أن تكون صحبتي سبيل إلى النار بإزعاجه وإقلاقه ، فإن الله - U - حرم على المؤمنين أن يجلسوا بعد الطعام في بيت رسول الله - r - { إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا } وقال : { وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ } يؤذيه لأنه مشغول بأمر أعظم مشغول بذكر الله - U - ، وسد الثغور ، وهكذا العلماء ورثة الأنبياء .

ثانياً : إذا جلس الإنسان في مجلس العلماء يحرص على أنه يسمع أكثر مما يتكلم ، وهذه حكمة في كل إنسان عاقل فإن الله جعل له أذنين وجعل له لساناً واحداً ، وقال بعض الحكماء : " يا بني كن أحرص على أن تسمع

منك على أن تقول فإن البلاء موكل بالمنطق " ، فإذا جلست في مجلس العلماء تعلم أن المراد الفائدة فتسمع أكثر مما تكلم .

ثالثاً : لما يجلس الإنسان في مجالس العلماء يريد أن يتكلم يختار الكلام المناسب للعلماء حرمة ، فإذا جاء شخص جالس في مجلس العلماء ما يجلس يتحدث كأنه جالس مع أخيه ، أو صديقه ، أو زميله يتحدث عن أموره الخاصة ، ، أو يذكر ما وجده في طريقه ، أو سبيله ، العلماء أرفع ووقتهم والله أجل من أن يضيع في هذا القيل والقال ما فتحوا بيوتهم من أجل قيل وقال ، العلماء في قلوبهم أنوار الوحي التي شغلتهم بالآخرة عن الدنيا وألهتهم بالله عمّا سواه ما يأتي الإنسان يتحدث في أمور من لغط الدنيا وكأنه جالس مع صديق من أصدقائه .

الأمر الرابع : إذا اختار الحديث يسأل عن ما يهمه ويشعر العالم بالتقدير والإجلال ، فإذا جاء يسأل يسأل عن شيء يحتاجه من أمور دينه ، ومن أمور عبادته ومعاملته ، فإذا جاء يسأل لا يتعالم ، فبعض الناس إذا جاء يسأل -نسأل الله السلامة والعافية- وهذا مما أصبح تتقرح منه القلوب لقد ذهبت حرمة العلماء في صدور الناس إلا من رحم الله حتى أصبح قل أن تجد من يسأل عن بيعه الذي يبعه في تجارته ؛ لأن العلماء أصبح ما لهم حاجة لكن لو أنه أراد أن يفعل تجارة واحدة لبحث عن كل من يستشار في التجارة وسألهم ، وذل لهم ، وكتب لهم ، وراسلهم وجاءهم إلى بيوتهم لكن العلم لا ؛ لأن هذا من غربة الحق وغربة العلم وإلى الله المشتكى .

الأمر الخامس : إذا جاء يسأل تجد البعض يقول : وقعت لي مشكلة كذا وكذا فيجلس يحدثك في سؤاله ويعطيك الجواب قبل أن يسأل ، ويقول : في وجهة نظري أن هذا ما فيه شيء ، وفي رأيي ما في شيء ، وفلان أنكر علي - يا أخي - إذا كنت تسأل فرق بين السؤال وبين أن تُعَلِّم العالم أنت حينما تأتي وتقول : إنه وقع كذا وكذا لي ، وأنا من وجهة نظري كذا ، ولا أرى بهذا بأساً أصبحت عالماً !! أصبحت مفتياً !! أفتيت نفسك وصححت أمرك أصبحت مزكياً لنفسك أخطاء فظيعة وفي مجلس العالم وأمام الناس تقول هذا الكلام ؟! فمثل هذا إذا قاله أمام الناس قد يعلم غيره هذا الأسلوب ، وينبغي على طلاب العلم وعلى أهل العلم أن يزجروا مثل هذا وقل : يا أخي تأدب هذا ليس بأسلوب سؤال قل : ما حكم كذا ؟ فنشعر العلماء أنهم يجيبوننا ما في أحد يأتي للطبيب يقول يدي ، وفي رأيي أن هذا العصب ، أو في رأيي أن هذا الجرح لا يدي تُألمني ويأتي ذليلاً للطبيب ؛ لكن العالم ما يذل له الله وإلى الله المشتكى ، فالمنبغي أن نسأل بأدب وإجلال وتقدير والله ما عظمناهم إلا كان قربة نخطها في دواوين الحسنات إجلال العالم إجلال للدين واحترامه وتقديره تقدير للدين .

الأمر السادس : أن يكون السؤال عما يعني دون أن يكون فيه ضرر على العالم فمن أضر أهل العلم أضره الله في الدنيا والآخرة ، ومن أراد أن يفعل ذلك ويراه بأم عينيه فليتقحم ، والله ما من أحد يؤذي عالماً في سؤاله أو

استشكاله إلا جعل الله سؤاله واستشكاله نقمة عليه إن عاجلاً أو آجلاً ، وقد يقوم من ذلك المجلس الذي سأل به ففتن وضل وأضل يقوم بنقمة أو فتنة يشقى بها ولا يسعد أبداً ، ومن أراد أن يقرأ تراجم العلماء ودواوين السلف يقرأ فيها ماذا حدث لهم ، فينبغي أن يجعل الإنسان بينه وبين العلماء الجنة والنار ، ويتقي الله في سؤاله وفيما اختار في السؤال والاستشكال مع رعاية للحرمة ورعاية للأدب ، وكل ذلك يرجوا به رحمة الله ويرجوا به مرضاة الله .

ومما ذكر العلماء خفض الصوت عند السؤال فلا يلغط لغط الجاهلين ولا يصيح صياح المهرجين ؛ إنما يتكلم بأدب ورعاية : { لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ } وقال : { لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً } فلا ينبغي ذكر العلماء وأن نخاطبهم كما يخاطب بعضنا بعضاً إنما نجلهم ، ونوقرهم ، ونحترمهم

نسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، أن يلهمنا الصواب ، وأن يحسن لنا في العاقبة والمآب .

السؤال : هل من المنهج الصحيح في الطلب أن يقرن طالب العلم مع السماع من شيخه أن يقرنه بالاطلاع والبحث أم يشتغل بضبط ما سمعه دون البحث ؟

الجواب :

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

بسم الله ، الحمد لله ، و الصلاة والسلام على خير خلق الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أمابعد :

فالأصل أن من تلقى العلم أن ينحصر في عالم يثق بدينه وعلمه ؛ لأنه إذا تشتت وأصبح يأخذ من أكثر عن عالم اضطربت عليه الأقوال واختلفت عليه الأوجه وتكون بضاعته في العلم في بداية الطلب ضعيفة ، ولربما ظن الصواب في شيء ولم يمعن النظر فيه فيفوته وجه الحق فيه ويكون خطأ ، فالمنبغي أن يأخذ العلم عن عالم ثم يتوسع بعده إلى عالم آخر وهذا هو هدي السلف -رحمهم الله- ولذلك نجد الصحابة -رضوان الله عليهم- اقترن بهم أئمة التابعين واشتهر عن كل صحابي أصحاب ، فكان لابن عباس سعيد بن جبير ، وكذلك عطاء بن أبي رباح ، وغيرهم من تلامذته ، وكان لابن عمر نافع مولاه ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وغيرهم -رحمة الله عليهم- فكان أئمة الإسلام والعلماء يأخذون العلم بطريق الإفراد ، وليس المراد من ذلك التقيد حبس الناس على علم معين . لا ... وإنما المراد أن يأخذ العلم بطريقة صحيحة حتى لا يتذبذب وتختلف عليه الأمور - خاصة الفقه والأحكام - فإن الاجتهادات فيها مختلفة والأصول متعددة ، ومن هنا نجد الأئمة والعلماء إذا ترجموا للفقهاء يقولون : تفقه على فلان . فيجعلون تفقهه في الأصل على عالم معين ؛ لأنه إذا التزمه وكان أهلاً للعلم والفتوى فمثله أهل أن يتبعه بالدليل ولا يتعصب له إلى درجة يترك الدليل مع وضوحه لقول شيخه ؛ إنما يأخذ العلم عن هذا العالم وما أشكل عليه من

الأقوال الأخر والأدلة المخالفة عرضه عليه وسأله أن يجيب عن هذه الإشكالات ، فيتبين له جلي الأمر وصواب الأمر من خلال هذه المراجعة أما لو أنه أخذ الفقه على عالم فكان أثناء قراءته بعد انتهائه من درسه يذهب ويأخذ كتاباً مطولاً أو كتاباً فيه خلاف ، فإن هذا الذي يأخذه من هذا الوجه سيعارضه وتعارضه أوجه وأقوال واجتهادات فيصبح حائراً ، ولذلك تجد كثيراً من طلاب العلم إلا من رحم الله- ممن يسلكون هذه الطريقة لا يستطيع الواحد منهم أن يثبت على أصل لا في العبادة ولا في المعاملة ، فهو تارة يقرأ كتاب الصلاة ويأخذ باجتهادات زيد ، ثم ينتقل إلى الزكاة فيأخذ باجتهادات عَمْرو ، ثم ينتقل إلى الصوم فيأخذ
باجتهادات غيره ، وهكذا في الحج فتضطرب عنده الأصول ، فإنه إذا جاء إلى كتاب الصلاة ربما رجح قول زيد في مسألة وكان دليله مفهوم صفة ، ثم يأتي في الزكاة ويترك قولاً مبنياً على مفهوم الصفة ، فحينئذ تارة يعتبر مفهوم الصفة حجة وتارة لا يراه حجة ، ولربما جاء للحديث الواحد فيه راوٍ مختلف فيه ، وهذا الحديث له أصل في باب الزكاة وباب الصلاة ففي باب الزكاة رجح شيخٌ أن هذا الراوي تقبل روايته ، وفي باب الصلاة رجح شيخ أن هذا الراوي لا تقبل روايته ، فيأخذ بقول هذا في الصلاة وبقول هذا في الزكاة وكلاهما مناقض للآخر تماماً بحيث لا يمكن الجمع . ولذلك الذي يوصى به طلاب العلم طريقة السلف ، يأخذ العلم بطريقة التدرج ، فيقرأ الفقه ويقرأ الأحكام بطريقة على عالم بشرط بالدليل فإذا

لقي الله- I - وسأله لماذا اعتقد هذا الحكم ذكر دليل الكتاب والسنة حتى إذا فرغ من الفقه كله ومن الحديث في أبوابه كلها وشرح كتاباً كاملاً توسع في الأدلة وتوسع في الاجتهاد حتى يبلغ درجة الاجتهاد ، أما من البداية يُقْحِم نفسه بين أئمة وفحول وعلماء بلغوا درجة الاجتهاد وهو في بداية الطلب فإنه يكون أمره إلى ضياع يتشتت تماماً . وأعرف من الزملاء والقرناء ووجدنا ذلك وعرفناه وكان العلماء يحذروننا من هذه الطريقة أن طالب العلم إذا قرأ في الكتب أو قرأ على مشايخ متعددين ولم يتم على شيخ منهم بحيث يعتبره أصلاً يُنَظِّر غيره عليه إما أخذاً وإما رداً فإنه يتذبذب ، ومن هنا تجد من يقرأ المتون مرتبة بالأدلة يضبط الفقه مرتباً وهذا هو الذي درج عليه أئمة الإسلام . وميزة الفقه وأبواب العلم إذا قرأت باجتهاد وبدليل وبعالم محرر ضابط أخذ عمن يوثق من علمه واتصل سندك به إلى رسول الله- r - فإنك في هذه الحالة تبني الفقة عندك مرتباً فإذا جاءك أي سؤال في مسألة في العبادة أو في المعاملة اتجهت إلى هذه المسألة في بابها وذكرت الحكم وقررت بالدليل ، ثم تنتقل إلى مسألة أخرى في المعاملة فأثبت الحكم بدليله بأصل لا يختلف ولا يتناقض وبضوابط صحيحة وأصول مستقيمة ، وهذا هو العلم إذا بنى الإنسان العلم على هذه الطريقة نفع وانتفع ومشى في علمه وتدرج في علمه من صغاره إلى كباره ، ولذلك قال بعض أئمة السلف-رحمهم الله- في تفسير قوله- تعالى- : { وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ

تَدْرُسُونَ} قالوا : الربانيون هم الذين يعلمون صغار العلم قبل كباره ، فهذه الاجتهادات للكبار والدخول في الأدلة والمناظرات للكبار ، وإذا حضرت مجلس علم فيه خلاف وأقوال تأخذ الزبدة بالدليل ، فلو ذكرنا أقوالاً خلافية في المسألة وكان طالب العلم من المبتدئين يأخذ الزبدة ويأخذ الخلاصة وهو في مجلس العلم ، ولو كان لا يستطيع أن يفهم كيفية الردود والمناقشات فإن الله - U - سيفتح عليه من واسع فضله ، ولقد جلسنا حتى إن هذا الكتاب وهو كتاب الترمذي أذكر أننا جلسنا مع الوالد- رحمة الله عليه- مع مجموعة من طلاب العلم وكنا أحداثاً صغار السن وكان في بدايته-رحمة الله عليه- وكان عمري قرابة الثالثة عشر وكان الوالد مبتدئاً في الترمذي-رحمه الله- داخلاً على الرابعة عشره و مع ذلك كنت أستغرب من هذه الأقوال ، فكنت آخذ زبدتها فكان الوالد-رحمة الله- يقول خذ الخلاصة وخذ القول بالدليل ثم بعد ذلك ترتب الأبواب ، وما استفدت منه مرتباً على أبواب العبادات والمعاملات فكنا في بداية المجالس كأننا نجلس ولا نفهم شيئاً ثم صبرنا ففتح الله - U - من واسع فضله ما يمضي الشهر والشهران إلا وقد تفتحت لك أمور ، فكنت ترى التعاريف اللغوية أشياء عجيبة بعيدة عنك فأصبحت أشياء مألوفة ، كنت ترى الاستنباطات والأوجه والفوائد أشياء كثيرة فإذا بالله يفتح عليك في الحفظ وقليلاً قليلاً . فمن صبر واصطبر فتح الله له من أبواب فضله ..
العلم رحمة ، والله - I - رحمته وسعت كل شيء ، والناس يتخوضون في

رحمة الله - U - فمن مستقل ومن مستكثر ، فلا تستعظم العلم إذا جلست في مجالس العلم ورأيت أن هناك معلومات فوق مستواك أخذت الذي يعنيك والذي تستطيع أن تلخصه أو تنتهي إليه من زبدة هذا الدرس أو نتيجة هذا الدرس وأعذرت إلى الله بفهم هذا الحكم بدليله ، ثم بعد ذلك يفتح الله عليك فيما يأتي مستقبلاً والله- U - له فضل وفضله ليس حجراً على أحد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فلا يعظم عليك الشيطان ويقول لك كيف تجلس وأنت لا تفهم شيئاً ، وما هذا الكلام الذي يقال ، وماذا يعنيك هذا الكلام . بإذن الله ستجد الثمرة ولولم يكن - وليس بالشيء اليسير - إلا أنك تقوم وقد بدل الله سيئاتك حسنات لكان في ذلك خيرٌ عظيم للمسلم ! فلقد وجبت محبة الله للمتحابين فيه والمتجالسين فيه والمتزاورين فيه ففي الحديث الصحيح أن الله-تعالى- يقول : ((وجبت محبتي للمتحابين فيِّ والمتجالسين فيِّ والمتزاورين فيِّ)) فالجلوس في مجالس العلم ولو كانت فوق مستوى الإنسان جلوس في مجالس الرحمة ومجالس الخير ، وكونك تجد صعوبة في الفهم يزيد الله به أجرك ويعظم به ثوابك ويرفع به درجتك إن تكلفت حتى فهمت ، واسأل عما جهلت فإن سبيل العلم السؤال فمن رزقه الله القلب العقول واللسان السؤول أصاب من فضل الله- U - المرجوَّ والمأمول . فعلى المسلم أن يجد ويجتهد وعليه أن يضبط العلم بهذه الطريقة وأن يأخذ الخلاصة من مجالس العلم ، وحبذا إذا كان لا يستطيع ان يضبط أن يقيد ويكتب الخلاصة ،

في كل مجلس يأخذ خمس نقاط ست نقاط يكتبها كزبدة لدرسه أو زبدة للمعلومات التي توصل إليها ، ثم بعد ذلك يفتح الله عليه فلربما تكتب المسألة ثم تتذكرها بعد حين ، ووالله الذي لا إله إلا هو إنك لتعجب وما تنتهي من العجب من فتح الله على أهل العلم ، ووالله لا ذكاؤنا ولا حولنا ولا قوتنا ولا حفظنا . ما نحن بشيء . كل الأمر بفضل الله وحده لا شريك له ، والله لو أنك أخذت من بحور العلم ما أخذت وشاء الله - U - أن يسلبك العلم سلبه ولربما تأتي إلى المسألة الواضحة البينة فيستغلق عليك أمرها حتى كأنك لا تعرف فيها شيئاً ، ولربما تأتي للمعضلة النازلة التي تحتاج إلى جد واجتهاد وتعب وتمحيص ، فإذا بربك يفتح عليك من واسع فضله ، فإذا بالأمور أمامك أوضح من الشمس في رابعة النهار .. وهذا أمر يرجع إلى فضل الله أولاً وأخيراً.

وثانياً : إلى الإخلاص والتوجه إلى الله - U - .

وثالثاً : إلى التذلل بين يدي الله - I - الذي علم آدم وفهم داود وسليمان والذي آتى الحكمة من يشاء كذلك - أيضاً - بالتواضع ، فالإنسان مهما تعلم لا يتعالى وطالب العلم مهما أوتي من العلم يكون موطأ الكنف قريباً من الناس ، يحس أنه ما عنده شيء ؛ لكن إذا جاء يستشعر فضل الله - U - أحس كأنه أعلم الناس ، إذا جئت تنظر إلى نعمة الله عليك فأحسّ أن الله أعطاك شيئاً لم يعطه غيرك من عظيم الاستشعار لفضله ؛ لكن إذا جئت تنظر إلى مقامك بين الناس فتواضع

وتذلل ووطئ الكنف فإن موسى بن عمران -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- يقول الله له في وحيه : { وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} منـــزلة عظيمة يقول له وألقيت عليك محبةً مني ولتصنع على عيني . ويكلمه تكليماً بدون واسطة بصوت يسمعه -عليه الصلاة والسلام- ومع ذلك لما بلغ في النبوة ما بلغ ، وبلغ في مقام العلم ما بلغ لما سئل من أعلم ؟ أشار إلى نفسه فعتب الله عليه من فوق سبع سماوات وأمره أن يذهب وقال له : إن بمجمع البحرين من هو أعلم منك ، فلما علم أن هناك من هو أعلم منه انظروا كيف التواضع مع علمه ومع أنه ورث هذا الوحي وهذا الخير الذي أوحاه الله إليه مباشرة ، مع ذلك وقف -عليه الصلاة والسلام- أمام الخضر ذليلاً متواضعاً للعلم ، قال : هل أتبعك ؟ ما قال ما رأيك نصطحب مثل ما يفعل بعض طلاب العلم يأتي للعالم ويقول له : - يا شيخ - نجلس سوياً نتذاكر . ومن أنت حتى تذاكر العلماء ؟! هذا نبي من أنبياء الله يقول : هل أتبعك ؟ فجعل الخضر أمامه وهو وراءه . هل أتبعك - ثم بعد ذلك - على أن تعلمني مما علمت رشداً ، هذه هي - والله - البصيرة التي يعرف الإنسان بها قدره وقدر هذا العلم ، العالم الذي يعرف منـــزلة العلم يتواضع له ، والإنسان الذي يطلب العلم مهما علت درجته يتواضع له ، وأختصر القول حتى إنهم ذكروا قصة عجيبة عن بعض العلماء تحكى عن الإمام الرازي --رحمه الله- أنه جلس أحد طلابه بين يديه ، وكان إماماً في فنون كثيرة ومع هذا

ذكر مسألة من مسائل النحو فذكر فيها خلاصة فذكر له أحد طلبته - وكان مبرزاً في علم العربية - قال له : - يا شيخ - إن هذه المسألة وجهها كذا وذكر له التوجيه فقال له : وهل كتب في ذلك ؟ قال : كتبت في ذلك مؤلفاً فجاء ه بالمؤلف فلما تصفحه الإمام الرازي-رحمه الله- وهو شيخه وهذا أحد طلابه فلما تصفح الصفحات الأول ورأى العلم ورأى الحكمة ورأى الفضل الذي أوتيه هذا الطالب نزل من على كرسيه ، وأقسم عليه أن يجلس في مكانه ، وقال له : والله لتعلون ثم أجلسه مكانه وجلس يقرأ عليه كما كان يقرأ عليه

من عرف قدر نفسه فتح الله عليه العلم بالتواضع ، العلم أن يعرف الإنسان قدر نفسه فيتواضع لأهل العلم ويأخذ هذا العلم بطريقة تشعر بالإحساس بفضل الله- U - وأنه تحت رحمته .

نسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، أن يعلمنا العلم النافع ، وأن يرزقنا القلب الخاشع ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

السؤال :

هل من كلمة أو وصية عن الطريقة المثلى في تحصيل العلم وضبطه ؟

الجواب :

اختصاراً لأن الوقت ضيق .. أهم شيء في طلب العلم الإخلاص لله-

U - ولو أن طالب العلم في كل مجلس يُذكر بالإخلاص ما مل ولا سئم ، وهو أحوج ما يكون إلى هذا التذكير لعلمه ويقينه أن الله لا ينظر إلى قول القائل ولا إلى عمل العامل حتى يخلص لوجهه- I - ، والله سائلك عن كل مجلس وعن كل كلمة وعن كل شيء يكون منك في هذا العلم ماذا أردت به إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولا تكسب كل نفس إلا عليها فعلى المسلم دائماً أن يتفقد قلبه ونيته وأن يتقي الله -سبحانه- في هذا العلم فلا يريد به غير وجه الله- I - .

فالطريقة المثلى أن يبدأ بنفسه وأن يوطنها بتقوى الله وأن يحملها على الإخلاص لوجه الله ، فلا يزال الرجل بخير إذا قال قال لله وإذا عمل عمل لله .

أما الأمر الثاني : فيحرص على حفظ العلم والتعب والجد والاجتهاد في تحصيله فإن من تعب في طلب علم ورأى الهم والغم من أجل أن يصيب هذا العلم وتغرب من أجله فإن الله يفتح له من أبواب رحمته ، فقد تغرب من هم أفضل منا وأعلى شأناً ومكاناً فرفع الله قدرهم لما تغربوا وأقبلت عليهم الناس وارتحلت إليهم كما ارتحلوا فمن كان في العلم مجداً جد طلابه ، ومن تعب في تحصيل العلم أقر الله عينه بمن يتعب في الأخذ عنه ويرى بأم عينيه قبل أن يموت ما تقر به عينه من وفاء الله له ، وهذا مشاهد ومجرب نشهد لله- U - أن الله- I - لم يضع لطالب علم تعبه ولا يضيع له نصبه فالعلم لا ينال بالتشهي ولا ينال بالتمني ولا ينال

بالأحساب ولا بالأنساب وإنما ينال بالإخلاص ، ثم بتوفيق الله - U - بعد الاخلاص ، ثم بالأخذ بالأسباب التي من أعظمها الجد والاجتهاد .

الأمر الثالث : الذي على طالب العلم أن يحافظ عليه وتكون طريقته في العلم مواظباً مهتماً به الحرص على الوقت ، فإنه لا ينال أحد العلم كما ينبغي إلا إذا حرص على وقته ، تحرص على الوقت أن تستنفذه في هذا العلم فتسهر من أجله وتتعب في تحصيله فلا تسأم من سهرك ولا تتعب من كتابتك ولا تمل من تدوينك لعلمك أن الله يرضى منك هذا كله ، فإن الله يغفر ذنوبك ويرفع درجاتك ويبقي لك من حسن العاجل والآجل ما لم يخطر لك ببال إذا أنت حفظت لهذا العلم فسهرت وتعبت من أجله ، وانظر إلى أهل العلم تجدهم في تعب ونصب طلاباً وعلماء فهو يسهر في الليل حتى يحفظ العلم فإذا سهر وتعب في قراءة العلم وتحصيله وجد في ذلك كله وحصل هذا العلم ابتلاه الله فقرع بابه في جوف الليل السائل ، وجاءه في البكرة والعشي الطالب والراغب فأصبح يحمل هم هذا العلم حتى يرفع الله به درجته ويعظم أجره ويثقل موازينه ، ولا تنال الجنة إلا بمثل هذه المكاره فإنها قد حفت بالمكاره ، ولذلك تجد كل من ضبط العلم وأتقن العلم وتعب في العلم تجد الناس تقبل عليه أكثر تتعبه أكثر وتمله أكثر وهذا كله من عاجل البشرى ، فإذا رأيت العالم قد تعب جسمه وضنى وتغرب وحمل هم الأمة فاعلم أن هذا من البركة التي وضعها الله في علمه ؛ لأن العلم النافع لا يختص بصاحبه ينال الإنسان أعلى الشهادات

وتجده لايستطيع أن يحاضر في الأسبوع إلا مرة واحدة هذا من محق بركة العلم لكن قد تجد من هو أكثر تعباً وأكثر نصباً ولو كانت شهادته أقل ولكن نفعه أعظم وبركته أكثر مما وضع الله له من القبول في علمه ، فيحرص طالب العلم على الجد والاجتهاد ومن تعب في العلم فإن الله يقر له في العلم فيما يأخذ عنه وعلى قدر الجهد والمشقة يكون الأجر والثواب من الله - U - واقرأ في سير العلماء وتراجم العلماء تجد ذلك جلياً واضحاً تعبت أجسادهم وتقرحت أجسامهم كل ذلك من أجل العلم هذا ، فلما أخذوا العلم تعب الناس وجدوا واجتهدوا في الأخذ عنهم فبقيت علومهم نافعة باقية كأنها كتبت بالأمس القريب فكل من جد واجتهد في العلم بارك الله له في علمه .

كذلك أيضاً الطريقة المثلى توطين النفس فإن النفس إذا صحبت بشيء من الإخلاص بشيء من الطاعة وشيء من البر فإن الله يبارك لك في طلب العلم تخلط هذا العلم بالأعمال الصالحة فلا تتعلم سنة وإلا وتعمل بها ، ولا تتعلم هدياً إلا علمته ونفعت به الغير وحرصت ولو على الأقل لأبنائك حينما تقوم من مجلس تبين فيه أحكام الطهارة أحكام الصلاة تأتي إلى أبنائك تعلمهم حتى إذا لقيت الله يوم تلقاه وقد أقمت الحجة عليهم فبرئت ذمتك مع ما لك من الأجر والثواب عند الله - I - ، وهذا أقل ما يكون أن تنقل هذا العلم إلى من استرعاك الله من أبنائك وأولادك ولذلك كان السلف -رحمهم الله- يحرصون على تربية الأبناء وكان الابن لا يبلغ

إلا وقد عرف مواقيت الصلاة وشرائطها وضبط ذلك ضبطاً كاملاً ، فيحرص على بذل هذا العلم وتعليمه فأنت طالب علم ولو جلست مجلساً واحداً ولو سمعت كلمة وأردت سماع هذه الكلمة فقد طلبت شيئاً من العلم والله ينفعك بهذا العلم ويعظم أجرك فيه متى ما عملت به وبذلته للغير وتشوب هذا العلم كما ذكرنا بالطاعة ، ومن أعظم الطاعات قيام الليل وصيام الإثنين والخميس وصيام ثلاثة أيام من كل شهر والحرص على ختم القرآن كل ثلاث ليال والحرص على كثرة سماع القرآن والبكاء عند سماعه والخشوع عند تلاوته وغير ذلك مما يزيد في سكينة العلم وخشوع العلم ووقار العلم فيجعل طالب العلم جامعاً بين العلم والعمل وخير الناس من تعلم وعمل بعلمه .

ومما ينبغي لطالب العلم أن يحرص على حب العلماء والقرب من العلماء والحرص على مجالس العلم ، وضح من أجل هذه المجالس ضح بأوقاتك وضح بمشاغلك فوالله ما تركت شيئاً لله إلا عوضك الله خيراً منه وقد تكون عندك من هم التجارة أو هم عملك ما يشغلك عن حلق الذكر فتتركه لله فيفتح الله لك في مجلس علم ما يكون سبباً في سعادتك ، وقد يغفر الله لك ذنوباً لا تنال مغفرتها بيسير فينبغي على الإنسان أن يحرص على أن يشوب هذا العلم بالعمل .

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً .

السؤال :

هل يوجد تعارض بين طلب العلم والتعليم لله وبين كسب المعيشة ..؟؟

الجواب:

طلب العلم والتعليم لايكون الاَّ لله - U - فإن الله -تعالى-قال لنبيه:{ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ } وقال عن نبيه نوح وهود وصالح ولوط وشعيب :{ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} فالأصل في الوحي أنه لله يتعلمه الإنسان لله ويعلمه لله ويحتسب الأجر عند الذي لاتنفذ خزائنه عند ملك الملوك وجبار السموات والأرض ، تتعلم لله وتعمل لله وتدعو لله ترجو رحمة الله وتبتغي ماعند الله فإن فعلت ذلك كنت من الصادقين ، ونظر العبد إلى ما يكون منه من قول وعمل قد زكاه ربه فطابت آثاره وأينعت ثماره وحصل منه من الخير والبركة مالم يخطر له على بال ، فينال به عز الدنيا وعز الآخرة فمن طلب العلم لله قذف الله في قلبه نور العلم فعلمه مبارك ولو كان قليلاً ، ومن تعلّم لله جعله الله إماماً من أئمة الهدى وألبسه ثوب المحبة والرضا ، ثم أعظم له الأجر والمثوبه فلقي الله يوم يلقاه وقال يارب تعلم أني تعلمت لوجهك وعملت من أجلك ، فقال الله له صدقت وقالت الملائكة صدقت اذهبوا بعبدي إلى الجنة ، هذا المقام لايناله إلا المخلصون الذين يريدون وجه الله ويبتغون ماعند الله ولن يريد عبد وجه الله إلا إذا عرف الله بإسمائه وصفاته وأيقن

من كل قلبه أن الغنى كل الغنى بالله وحده لاشريك له وأن الفقر كل الفقر ينبغي أن يكون لله وحده لاشريك له ، يفتقر لله كمال الفقر فيكون أفقر الناس إلى ربه وأغنى الخلق بالله - l - فإذا بلغ هذه المنـــزلة زكّاه الله بعلمه وزكّاه بعمله وزكّاه بدعوته ووجد كل خير مايكون من أمره ظاهراً وباطناً سراً وعلناً أوّلاً وآخراً ، ولذلك على النهج الكريم سار سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان فتعلموا لله وعملوا لله وكان الرجل إذا أراد أن يتعلم آية من كتاب الله لم يتعلمها حتى ينظر مافي قلبه هل يريد وجه الله أو غيره ؟ ، ولذلك قيل لبعض السلف حَدِّثْنا فسكت حتى مضى الوقت ، فقيل حَدَّثنا قال حتى تأتي النية حتى يأتي الإخلاص و أحدثكم . ماكانوا يتكلمون ولا كانوا يعملون إلا والجنة والنار بين أعينهم يبتغون ماعند الله ويرجون ثواب الله فهم القوم الذين فازوا وأصلحوا ونجحوا ، وانظروا كيف نعيش اليوم على آثارهم وعلى كلمتهم الطيبة وآثارهم النافعة وكتبهم الله أعلم كم لهم من حسنات ؟ وكم لهم من درجات باقيات صالحات ؟ هذا هو الذي يريد به وجه الله ويبتغي ماعند الله فإذا أراد العبد أن يتعلم يتعلم لله وإذا أراد أن يعمل يعمل لله .

وأما طلب المعيشة و الرزق فلاشك أن المسلم مطالب بالسعي والأخذ بالأسباب وكان- r - يحب الكسب وأخبر عن أنبياء الله -صلوات الله وسلامه عليهم- أنهم أكلوا من عرق جبينهم وكدهم وتعبهم ونصبهم ،

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

وقال -عليه الصلاة والسلام-:((إن أطيب ماأكل الرجل من كسب يده)) وكان نبي الله داود -عليه السلام- يأكل من كسب يده فهو شرف للإنسان فالذي يطلب المال الحلال ويأخذه من حله وعلى وجهه وحقه يبارك الله له في طعامه وتستجاب له دعوته ، ويبارك له في أهله وولده وزوجه وكم من لقمة حرام حجبت العبد عن ربه ؟ قال يارسول الله "ادعُ الله أن يجعلني مستجاب الدعوة "قال:((أطب مطعمك تستجب دعوتك)) .

الأمر الثاني : أن يعلم أنه إذا أمرنا بالكسب ينبغي علينا ألا نبالغ في هذا الكسب فلا يكون الإنسان في كسبه مبالغاً إذا دخل في تجارة أخذ ينظر إلى المكاسب الكبيرة إنما يرضى بأقل الربح وتكون عنده القناعة ، ومن ملأ الله قلبه بالقناعة فقد أغْتنى ، ألا إن الغنى غنى النفس يقول- r -:((ليس الغنى عن كثرة العرض ألا إن الغنى غنى النفس)) كم من إنسان عنده الملايين تصبّ في حجره ومع ذلك من أطمع الخلق -والعياذ بالله- في أموال الناس ؟ فمع هذه الملايين التي تصب في حجره لايمكن أن يصبر عن درهم ودينار يراه عند غيره ولربما تقطّع قلبه-والعياذ بالله- بالحسد لأن الله أفقر قلبه وأغنى يديه ، الغنى غنى النفس أن يكون الإنسان راضياً بالقليل قيل لعبدالرحمن بن عوف - t - وقد جاء إلى المدينة لامال ولادرهم لما جاء إلى المدينة وهو في الفقر لم يلبث مدة حتى أصبح غنياً ثرياً قيل له كيف أصبحت غنياً ؟ قال :" كنت أرضى بأقل الربح " وهذه

الكلمة قاعدة في التجارة وأصول الربح لأن الإنسان إذا رضي بأقل الربح صرفت تجارته وتصرفت التجارة فأحبه الناس وأقبلوا عليه وألفوه بالرخص فأصبح مشهوراً معروفاً محبوباً عند الناس مع ماله عند الله- U -من البركة ؛ لأن النبي- r -قال:((رحم الله امرءاً سمحاً إذا با ع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا اقتضى)) فالمقصود أن طالب العلم إذا أراد أن يطلب الرزق لايبالغ يطلب الشئ الذي يعينه على دينه ودنياه وآخرته ويكف وجهه عن سؤال الناس فمن أصابه الغنى عن الناس فقد أصاب الخير فإن الله - U - إذا أغنى العبد عن خلقه فقد أغناه الغنى فعلى هذا ينبغي لطالب العلم أن يطلب العلم وأن يعلم لله وأن يأخذ من كسب الدنيا مايعينه على تحقيق طاعة الله - U -والبعد عن الحاجة عن الناس ، والله تعالى أعلم .

السؤال :ما هي الأسباب التي تزيد من رابطة الأخوة والمحبة بين طلاب العلم خاصة والمسلمين عامة ؟

الجواب :

الأخوة في الدين من أوثق عرى الإسلام ، ومن أحب في الله ووالى في الله وعادى في الله ذاق حلاوة الإيمان والله -تعالى- يحب من عباده المؤمنين أن يتراحموا وأن يتحابوا وأن يشعروا بأخوة الإسلام التي جعلها الله- U - بينهم وكان النبي- r - يحرص على غرس معاني الأخوة في قلوب

أصحابه-رضي الله عنهم وأرضاهم-حبب إليهم التآخي والتواد والتراحم والتعاطف ، وكانوا كأحسن ما أنت راءٍ من إخوان في الله وخلان في دين الله حتى بلغوا أعلى مراتب الأخوة ، وأعلى مرتبة في الأخوة وهي مرتبة الإيثار وكان الرجل إذا وضع الطعام بين يديه حمله إلى من هو أشد جوعا منه من إخوانه المسلمين ويضحي بنفسه ويضحي بما يجد لقاء إخوانه المسلمين ، ولقد ذكروا أن رجلاً تصدق على أحد أصحاب النبي- r - فلما وضع الطعام بين يديه وكان قد مضى عليه يوم و هو في شدة الجوع قال لامرأته والله إن آل فلان أشد حاجة منا فانطلق بذلك الرأس الذي تُصدق به عليه إلى أخيه ووضعه بين يديه ثم مضى فقال أخوه لزوجته لما أرادت أن تأكل معه والله إن آل فلان أشد حاجة منا ، فحمل الرأس إلى لأخ الثالث ودار على ثلاثة إخوان كل ذلك رحمة من بعضهم لبعض وحباً من بعضهم لبعض .

إذا تمكنت المحبة الصادقه في قلوب المسلمين وجدت التراحم وجدت التعاطف والتكاتف والتآلف والتناصر والتآزر حتى إنك تجد المسلم في مشرق الأرض يبكي لأخيه في مغرب الأرض كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى الله أكبر ما أعظم هذا الدين وما أجل وما أقوى وأوثق عراه هذا الدين الذي ألف بين الناس على اختلاف ألوانها وأحسابها وأنسابها ولما نزل قوله-تعالى- : { يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} قال

علي - t أرضاه- : "ذهب النسب اليوم " وأصبح الناس في دين الله كالجسد الواحد والله-تعالى- لما أراد أن يصف أحبابه وأولياءه والذين اختصهم بولايته العظيمة وجنته الكريمة قال- U - : { فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} وكأن سائلاً سأل من هؤلاء الذين سعدوا وفازوا وربحوا وأفلحوا وغنموا الذين يحبون الله ويحبهم الله قال الله-تعالى- : {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} فأول وصف وصف الله به أحبابه وأولياءه أنهم أذلة على المؤمنين فإذا تمكن الإيمان من القلوب أصبح المؤمن يحب أخاه لا ينظر إلى لونه ولا إلى حسبه ولا نسبه ولا وظيفته يهش لأغنى الناس كما يهش لأفقر الناس ويتواضع مع إخوانه المسلمين لا يحس لبعضهم على بعض فضلاً إلا بتقوى الله- U - فأهل الاستقامة والطاعة وهم صفوة الناس في قلبه وعلى هذا ينبغي علينا أن نتراحم وأن نتواضع .

أما الأسباب التي تعين على تحقيقه هذه الأخوة فأعظمها سلامة الصدور ولن تستطيع أن تجد الأخوة والمحبة بين المسلمين إلا بسلامة الصدر ، ولذلك قال الله- U - مبيناً لنا أن النعيم والخير يكون بسلامة الصدر لما أراد أن ينعم أحبابه وأولياءه في الجنة قال-تعالى- : { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} فلا أخوة وفي الصدور شحناء وبغضاء وكراهية واحتقار للناس ، لا يمكن أن تتحقق أخوة الإسلام وفي القلب بقاء الجاهلية وفي القلب نعرات الجاهلية وفي القلب

أسقامه وأمراضه ، من أحسن أن بينه وبين المسلم يصلي لله ويقوم بحقوق الله أن بينه وبينه فجوة من مال أو دنيا فليعلم أن في قلبه مرضاً وليسأل الله- U - أن يعافيه حتى يكون موطأ الكنف لعباد الله المسلمين ، كان الفقراء والضعفاء إذا دخلوا على سفيان الثوري رفع مجالسهم وجعلهم في صدر المجلس وكان يجلسهم مع أغنى الناس حتى قال القائل ما كان أعز الفقراء في مجلس سفيان الثوري-رحمه الله برحمته الواسعة- وهكذا ينبغي علينا أن تحقق هذه الأخوة بسلامة الصدر ، ولذلك قال- r - : ((لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تهاجروا وكونوا عباد الله إخواناً)) .

ومما يفسد الصدور هذه الدنيا لأن الناس إذا أحبوا الدنيا تكالبد عليها وتخسر القلوب بهذه الدنيا ، فإياك ثم إياك أن تجعل بينك وبين أخيك في الله شيئاً من الدنيا إنما تحبه لله وفي الله حتى إنك إذا دخلت المسجد ورأيت أحداً يصلي في المسجد أحببته لله لعلمك أن الله يحب صلاته ، وإذا رأيت عبداً يتصدق على المسلمين أحببته وتمنيت ما هو عليه من الخير ، وإذا رأيت عالماً أو معلماً للخير أو داعية إلى الله أو طالب علم أو غيرهم ممن يقوم بالخير والإحسان للمسلمين أحببته لله وفي الله إنك إن فعلت ذلك ذقت حلاوة الإيمان قال- r - : ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار وأن يحب الرجل لا يحبه إلا لله)) سلامة الصدر .

أما الأمر الثاني : الذي يعين على تحقيق هذه الأخوة فينبغي للمسلم أن يعلم أن الله فرض عليه محبة المسلمين وأن هذا من الدواعي التي يدعوا إليها دينه وأنه عبد مأمور يمتثل ما أمره الله به فإذا فعل ذلك كانت محبته قربة وطاعة لله - **U** - ، وامتثالاً لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة الصحيحة عن رسول الله - **r** - .

أما الأمر الثالث : الذي يعينه على تحقيق الأخوة وانتشار المحبة والألفة فهو السلام إفشاء السلام قال - **r** - : ((لا تدخل الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)) ، ومما يعين على زيادة المحبة محبة الناس لك ، وكذلك قوة الرابطة بينك وبين إخوانك تعاطي الأسباب التي تزيد من الإلف والقرب فإذا رأيت الناس لا تعبس في وجوههم ولا تحتقرهم ولا تلمزهم ولكنتكون موطأ الكنف طليق الوجه ، كان - **r** - طليق الوجه بالسرور -عليه الصلاة والسلام- إلا إذا خطب أو ذكر الله احمر وجهه وانتفخت أوداجه- صلوات الله وسلامه عليه- تعظيماً لحرمات الله ، أما لو لقيك أخوك المسلم فإنك تهش في وجهه وتبش وتظهر المودة والمحبة فإن هذا مما يزيل الضغناء من القلوب ويزيد المحبة ، فإن الابتسامة تزيل ما في الصدر ولعل بسمة واحدة أن تزيل عن المكروب كربه فإن المسلم يكون مهموماً مغموماً من زوجته أو أهله أو أولاده فإذا خرج إلى أخيه المسلم فهش في وجهه وبش تبددت همومه وزالت همومه فإن من الناس من جعلهم الله

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

خيراً لأنفسهم وخيراً على الناس فالوجه الطليق حسنة قال - **r** - : ((لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق)) .

كذلك مما يزيد المحبة والمودة حفظ اللسان أن تحفظ كرامة إخوانك المسلمين فلا تستطيل في أعراضهم فلا تسبهم ولا تشتمهم حتى ولو كنت مازحاً إياك وكسر خواطرهم ولمزهم أو احتقارهم أو انتقاصهم ، حتى أثناء المزاح تتقى الكلمات الجارحة والكلمات المؤذية تكون طيب اللسان فإن الله طيب أهل الجنة طيب أقوالهم وأفعالهم وقال عن ملائكته أنهم يقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين .

-نسأل الله العظيم رب العرش الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا الحب فيه اللهم اجعلنا ممن أحب بحبك وعادى بمعاداتك اللهم اجعلنا سلماً لأوليائك حربا على أعدائك نحب بحبك من أحببت ونعادي بعداوتك من عاديت.

السؤال :

طالب العلم أحوج ما يكون إلى الإخلاص فكيف يتزود من هذه العبادة ؟

الجواب :

لا إخلاص إلا إذا فتح الله-عز وجل- على عبده ، الإخلاص منحة ربانية وعطية إلهية ، ومن ذاق حلاوة الإخلاص وجد لذة الدنيا وسعادة الآخرة ، وفي الدنيا جنة قبل الآخرة وهي جنة المخلصين كلما كمل إخلاص العبد

كمل نعيمه وسروره بها ، وإذا عاش العبد مخلصاً لله طابت أقواله وطابت أعماله وطيب الله سره وظاهره ، ووضع له القبول ووضع له التوفيق والسداد وفتح في وجهه أبواب الخير كلها ، فليس هناك أعظم ولا أجل ولا أكرم عند الله -عز وجل- ولا أسنى ولا أسمى مرتبة من مرتبة المخلصين الذين بلغوا بها درجات المحسنين - جعلنا الله وإياكم بمنه وكرمه منهم وهو أرحم الراحمين- .

الإخلاص هو سر السعادة وباب الفضل والزيادة ، وما فاز من فاز إلا بالإخلاص ، أسرار في القلوب بين العبد وبين علام الغيوب ، أحب الله أهلها لأنهم لايرجون في الدنيا مدحاً ولا ثناءً ولا سمعة ولا رياء ، توجهوا إلى الله قلباً وقالباً ، ظاهراً وباطناً أخلصوا له سراً وجهاراً ليلاً ونهاراً ، يرجون جنةً ويخافون نار ، المخلصون هم الذين عرفوا ربهم ، ومن عرف الله كمال المعرفة أخلص له كمال الإخلاص ، هنئاً لمن عرف الله امتلئت معرفة الله بقلبه فأصبح يقول لله ويعمل لله ولا يبالي بأحدٍ سوى الله ، هي العبادة وهي الدين الصادق والالتزام الحق قال شيخ الإسلام-رحمه الله- : " بل إخلاص الدين لله هو الدين الذي لايقبل الله ديناً سواه " والله لو تفطرت قدم العبد قائماً بالليل وتقرحت أحشاءه وأمعاءه صائماً بالنهار لم يلتفت الله-عز وجل- إلى قليلٍ أو كثير من أمره ما لم يرد وجه الله عز وجل-- الإخلاص هو أساس كل شيء في صلاح العباد في دنياهم وآخرتهم ، فعلى المسلم دائماً أن يتهم نفسه بعدم الإخلاص حتى يسموا

إلى درجات المخلصين ، وأعظم ما ينال العبد به الإخلاص دعاء الله وسؤاله يسأله في جميع مضان الإجابة أن يجعله من المخلصين خاصةً إذا ابتلي بهذا الدين فأراد حفظ القرآن أو حفظ السُّنة أو طلب العلم أو غشيان حلق الذكر أو الجلوس مع الصالحين دائماً يتفقد نيته هل يريد وجه الله أو يريد غير الله ، فإن أراد وجه الله سأل الله أن يزيده من هذه الإرادة وهذا القصد { وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً } انظروا كيف تعبير القرآن { وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ } أراد الآخرة يعني قصدها في الدنيا بجميع ما فيها من مدح الناس ومن مراتبها ووظائفها وزينتها وزخرفها لم يدخل قلب هذا المريد لله-عز وجل- ، { وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ } إرادة تامة كاملة فكل أمر يختص بطاعة الله-عز وجل- لا تلتفت فيه إلا إلى الآخرة { وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ } هذا أول شيء نية صالحه في القلب ، بعد صلاح القلب تصلح الجوارح { وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا } فقـــد يكون الإنسان مخلصاً لكنه ضعيف العزيمة ضعيف النفس لا يَجد ولا يجتهد في طاعة الله-عز وجل- ؛ لكن قال الله : { وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا } وسعي الآخرة أقوال وأعمال ترضي ذي العزة والجلال ، أقوال وأعمال صادقة إن قال قال صدقاً ، وإن تكلم تكلم عدلاً وحقاً ليس بذي زوغ ولا بذي كذب ولا غش ولا تدليس ولا نفاق ولا رياء يقول لله ويعمل لله-عز وجل- يتمنى أن أعماله وأقواله لم ترها عين ولم تسمعها أذن ولم تخطر على قلب بشر ؛ لأنه يريد الله ولا يريد

غيره ، فمن بلغ هذه المرتبة فتح الله له أبواب الرحمة ، والعجيب أنك تمر بفتن فتأتي تصلي فيفتح الله -عز وجل- على العبد باب مدح الناس أو يلقي كلمة أو محاضرة فيأتي من يمدحه أو يزكيه فإذا انصرف عن هذا المدح والثناء وكرها ومقته ولم يلتفت إليه وأصبح المدح عنده والذم بمنـــزلة واحدة رفعه الله -عز وجل- فأخلص أكثر وامتحن ولا يزال يمتحن حتى يبلغ أعلى درجات المخلصين { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } أي والله إن الله لمع المحسنين ، والله ما خسرت أقوالهم ولا خابت أعمالهم لما أرادوا وجه ربهم وهل ضاعت هذه الدنيا وقست القلوب وساءت أحوال الناس إلا بترك هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الدين والصراط المستقيم ، الإخلاص هو أساس كل فلاح وكل خير وربح ونجاح يتفقد الإنسان نفسه في كل كلمة وكل عمل أن يريد به وجه الله ولا يريد به أحداً سواه -فنسأل الله بعزته وجلاله أن يجعلنا وإياكم مـــن المخلصين- ، وبالأخص في طلب العلم فيسأل الله في الدعاء .

ثم يكثر تلاوة القرآن وسماع القرآن والتأثر بالقرآن ؛ لأن القرآن يهذب سلوك العبد يهذبه ظاهراً وباطناً ويدعوه إلى الإخلاص في جميع شؤونه .

كذلك يكثر من قراءة سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- والتأمل والوقفات في تلك السيرة العطرة التي كانت لرسول الأمة -صلوات الله عليه وسلم- وهو إمام المخلصين والمحسنين -صلوات الله وسلامه عليه- .

كذلك - أيضاً - مما يعين على الإخلاص قراءة سيرة السلف الصالح -رحمهم الله- والزهد في الدنيا ، والطمع في الآخرة بعلم الإنسان أنه لاشك زائل حائل ، وأن كل ما على هذه الدنيا فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ، كفى المخلص أنه نظر إلى هذه الدنيا فوجد أهلها قد هاجوا وماجوا ورتعوا فيها وبلغوا أعلى مراتبها فانتكست بهم إلى أسوء الأحوال وأخبث مآل -نسأل الله أن يعيذنا من ذلك بعزته وهو ذو العزة والجلال- فلما نظر العاقل الحكيم إلى أحوال أهل الدنيا كيف أن التاجر يجمع أمواله فيكد ويتعب وينصب وإذا به تأتيه منيته من قهر في ماله ، وكيف أن العزيز يُعز في قوته وجبروته فيجعل الله قاصمت ظهره في ذلك الجبروات والطغيان ، مكرت الدنيا بأهلها فأذاقتهم كؤوس المنايا مرة فتجرعوا مرارها وخرجوا من الدنيا صفر اليدين حتى إذا وقفوا بين يدي الله -عز وجل- لم يجدوا عملاً يرجونه لآخرتهم ، وأما المخلصون فإنهم عاشوا في الدنيا فقراء من غناها وصرفت قلوبهم عن عزها وثناها وأصبحوا لله -عز وجل - في جميع شؤونهم وأحوالهم فهم في الدنيا قالباً وفي الآخرة قلباً ، نظروا إلى القبور وأهوالها فقدموا لها من صالح الأقوال والأعمال ما جعله الله نوراً في القبور من ظلمتها وأُنساً في اللحود من وحشتها ، وانتقلوا إلى

الآخرة فإذا تكلموا أو قالوا أو عملوا أحسوا أنهم واقفون بين يدي الله يسألهم الله عن هذا القول هل أرادوا به وجهه وابتغوا به ما عنده ، فقالوا وهو صادقون : اللهم أردنا وجهك وابتغينا ما عندك فقال الله : صدقتكم ، وقالت الملائكة : صدقتكم فانصرفوا إلى جنان النعيم في مقام الفضل والإحسان والتكريم .

-نسأل الله برحمته ومنه وكرمه أن يجعلنا الله وإياكم من المخلصين ، وأن يرحمنا برحمته ، وأن يعمنا بواسع عفوه ومغفرته وهو أرحم الراحمين - .

السؤال :

كيف يعالج طالب العلم العجب بالنفس والاغترار بالعلم والحسد ؟

الجواب :

الله المستعان هذه الآفات العجب والاغترار والحسد ، طالب العلم مهيأ ؛ لأن يكون وريثاً للعلماء وهذا يحتم عليه أن يتخلق بالأخلاق الفاضلة وأن يسعى للدرجات العالية الكاملة ، وليعلم كل إنسان أن طلاب العلم في مجالسهم وبعد خروجهم وجلوسهم مع الناس في مجالس العلم أو بعد خروجهم أو اجتماعهم مع العوام في أثناء طلب العلم ممتحنون مختبرون فلا يزال الله يسلط عليهم البلايا ويمتحنهم ليهلك من هلك عن بينة ويحي من

حيّ عن بينة ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، فطلاب العلم ينقسمون في هذا الامتحان :

من طلاب العلم من أصلح الله قلبه وزكى نفسه فسعى دائماً في صلاحها واستقامتها وكمالها فوطنها على طاعة الله ، وثبتها بالله على مرضاة الله ، فهو دائماً يتفقد نقصه ليكمله وكسره ليجبره وعيبه ليسأل الله أن يستره فإذا كان بهذه الحالة لا يزيده طلبه للعلم إلا حرصاً على الفرائض اجتناباً للرذائل والبعد عن سفاسف الأمور .

من طلاب العلم من إذا ابتدأ حِفْظَ القرآن نسي كل شهوة وعف لسانه ، وعف سمعه ، وعف بصره ، وعف فرجه واستقامت أحواله لله -عز وجل- مستشعراً أنه يتحمل المسؤولية وأنه سيقف أمام الناس هادياً مهدياً فيسعى بهذه الأخلاق الفاضلة أن يزكي نفسه سريرةً حتى يزكيه الله علانية .

من طلاب العلم من إذا ابتدأ طلب العلم تعلم له الصمت وحسن السمت والوقار والخشوع والقرار ، فاستنار وجهه بطاعة الله واطمأن قلبه لمرضاة الله -عز وجل- فمبجرد أن تراه وأنت تعرفه بالأمس تحس أنه قد دخلته رحمة من الله -عز وجل - قال إبراهيم النخعي عن السلف : كانوا إذا طلب الرجل منهم العلم ظهر في وجهه وسمته ودله .

ومن طلاب العلم من إذا ابتدأ طلب العلم لانت نفسه فأصبح ذليلاً للمسلمين كما قال الله -تعالى- : { فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِين } فتجده من أذل خلق الله لعباد الله المؤمنين فتجده على أحسن الأحوال وأكملها وأفضلها .

ومن طلاب العلم من إذا ابتدأ طلب العلم حرص على أن يتهم نفسه دائماً بالقصور وهو من خيار عباد الله -عز وجل- في الوقاية والسلامة من كل الآفات والشرور ولكنها نفوس زاكية وهمم عالية فإذا وطن طالب العلم نفسه على ذلك وخصوصاً إذا كان يحتك بالعلماء ويكون قريباً من العلماء مصيبة عظيمة والله أن يأتي إنسان لا يعرف للأدب ولا للأخلاق ولا يعرف سماع الكلام يعني حينما يوجه لا يتوجه يريـــد أن يمشي مع العلماء كيف ما يشاء ؟! وبالأخص إذا كان في مجالس العلم وأمام الناس فهذه والله قاصمة ظهر وبلية ؛ لأنه ربما جاء واقترب من العالم فتصرف تصرفات كل من يرآه من بعد يظنه من أقرب طلاب العلم فهو يسيء إلى إخوانه من طلاب العلم ، ولذلك كل من يحتك بالعلماء عليه أن يراقب نفسه وأن يوطن نفسه على أكمل أفضل وأحسن وأجمل إذا لم يتواضع طلاب العلم فمن يتواضع ؟! وإذا كان طلاب العلم فيهم العجب والغرور فمن الذي يسلم من هذه الآفات والأدران ؟! فلا يعرف طالب العلم إلا بعمله ولا يعرف إلا بسمته ودله وحقيقته ، فمن كان لله كان الله له ، وليعلم كل إنسان أنه والله لو مليئ قلبه بالعلم فأصبح العلم يجري في دمه وعرقه فإنه لا ينال من الله شيئاً ما لم يرد وجه الله ويعمل بعلمه ، لايظن أحد أن الناس غداً ستركع له وتذل إذا رزق لساناً بليغاً أو رزق علماً

كثيراً فإن الله ذكر قوماً هلكوا وضلوا وأضلوا فقال -تعالى- : { فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } الإنسان ينتبه ويحذر ، الناس تنتظر الفضائل لا تعرف الإنسان بالغرور والعجب وبالتعالي وبالتكبر وبالحسد وباحتقار الغير والنظر إلى الغير نظرة النقص واحتقار الناس بألوانهم أو أحوالهم أو أشخاصهم أو أنسابهم أو مراتبهم أو وظائفهم هذه أمور طلاب العلم أرفع وأقدس وأنفس منها ، طلاب العلم حملة كتاب الله ، وورّاث الشريعة من أولياء الله ، طلاب العلم أنوار ينتظر أن يُهتدى بها بعد الله-عز وجل- { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } هذا النور من يحمله ؟ العلماء ثم طلاب العلم من بعدهم فهم طلاب العلم اليوم العلماء غداً بإذن الله-عز وجل- ، فعلى كل طالب علم أن يعلم أن هذه الآفات وأن هذه الشرور أمرها عظيم

أولاً : أن العجب والغرور من أعظم الأسباب التي يُمقت بها العبد قل أن تجد إنساناً معجباً بنفسه إلا وضع الله له المقت بين عباده-نسأل الله السلامة والعافية- سواءً في أمور الدنيا أو أمور الدين فإذا وجدته-والعياذ بالله- متهالكاً لا ينظر أحداً سالماً غيره وهذا العجب يا إخوان لا يشترط فيه أن الشخص إذا مشى ينفخ صدره أو تتغير مشيته أو يتغير قوله لا .. ، العجب في بعض الأحيان يحدث بتبديع الناس واحتقار الناس واحتقار أهل العلم وغمط أهل العلم واتهامهم في عقائدهم وأفكارهم والدخول فيهم هذا عجب ، إنسان معجب بنفسه حتى ظن أنه هو الناجي وغيره الهالك

هذه من الزلقات التي يستدرج بها العبد من حيث لا يعلم ، ولذلك أمثال هؤلاء المغترون الذين -نسأل الله السلامة والعافية أن يعافيهم ولا يبتلينا- إذا لم ينتبهوا ويبتعدوا عن هذه الآفات فإن الله سيمكر بهم ، ولذلك قال بعض العلماء : من تعلم العلم ولم يعمل به مكر الله به ، ومكر الله -عز وجل- ولذلك تجد من يحسد الناس في علمه والحسد من أعظم الآفات في العلم فإذا أصبح حسوداً -والعياذ بالله- لا يريد غيره بمجرد ما يأتيه شخص بعلم أو حكمه يسبه أو يشتمه أو يبحث عن لمزه أو غمزة فيه يحاول أن يجعل الناس كلها لا تنظر إلا إليه فهذا -نسأل الله السلامة والعافية- على كل مسلم أن يعلم أن الدين دين الله وأن الكلمة كلمة الله ، وأن الحق باقٍ ما بقي الملوان وتعاقب الزمان ، ولو قال به أضعف الناس ، ولو قرره أفقر الناس ، ولو بينه أحقر الناس عند الناس ولكنه عظيم جليل عند رب الجنة والناس ، كم من أناس من أهل العلم مرقع الثياب قد لايجد الواحد منهم نعلاً ينتعل به وهو خير من ملء الأرض من غيره عند الله -عز وجل - بهذا العلم ، لو تقرأ في سير السلف الصالح وأئمة العلم الذين سادوا الدنيا علماً وعمل كان الرجل منهم لا يجد طعامه ولا يجد كساءه ولربما يمر عليه اليوم واليومان ولا يجد طعاماً يطعمه ولربما يغشى عليه في مجلس العلم ولكنهم زكت أرواحهم وسمت فطهر الله سيرهم ، وأبقى في العالمين حبهم وخلّد في الخلائق ذكرهم بما كان بينهم وبين الله من سلامة الصدور وحسن النية والصدق في هذا العلم وطهارة

النفوس كانوا أبعد الناس عن الغرور ، العالم منهم يملء قلبه علماً بكتاب الله وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم ويجلس في المجلس ولا يشعر به أحد ، كان سفيان الثوري -رحمه الله- إمام الدنيا علماً وعملاً هذا المحدث الفقيه -رحمه الله برحمته الواسعة- كان إذا جلس في مجلس يجلس حيث ينتهي به المجلس حتى قال بعض من يَذْكُر عن سيرته : ما رؤي يوم من الأيام قد تصدر مجلس وهو إمام في علمه وعمله -رحمة الله عليه- ما رؤي متصدراً مجلساً إلا أن يكون معلماً ! هنا التصـــدر أمـــا الدنيا لا يتصدرون { تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً } الغرور والعجب هؤلاء هم الذين يريدون العلو في الأرض بغرورهم وعجبهم فكان -رحمه الله- يجلس حيث ينتهي به المجلس .

وأما الأمر الثاني فكان مما عُهد عنه أنه كان إذا جلس في المجلس ضم ركبتيه ووضع يديه -رحمه الله- فلم يشعر أحد أن سفيان هناك ، لكن كل هذا لايكون إلا بسريره بين العبد وبين الله ، والله لو أخلص الإنسان لله -عز وجل- ونقت سريرته لله -عز وجل- لم يبال بغرور الدنيا وزينتها وانصرف قلبه كله لله -عز وجل- .

فنسأل الله بعزته وجلاله أن يطهرنا من هذه الأخلاق .

أما بالنسبة مما يحذر من العجب والغرور :

أولاً : أن العجب يمحق بركة العلم والعالم وطالب العلم لاخير له في علمه إلا إذا بورك له فيه وأي نعمة يعطاها العبد ولا يبارك له فيها فلا خير فيها ، ولذلك كان من دعائه المأثور -عليه الصلاة والسلام- : ((وبارك لنا في ما أعطيت)) فإذا أعطاك الله علماً وأردت أن يبارك لك فيه فإياك والعجب وإياك والحسد .

كذلك - أيضاً - أن العجب إذا تمكن من قلب الإنسان فإنه -والعياذ بالله- يطمس منه الحكمة فقل أن ينطق لسانه بحكمة فتستغلق عليه الأمور ، ولذلك تجد البعض وعنده من الفهم وعنده من الحفظ والذكاء والأمر الذي فُتح عليه من العلم أمراً عجيباً ولكن لاتجد ذلك إلا بالله ثم بسلامة الصدر لن تجد عالماً فتح عليه في علمه واستنار قلبه بالعلم بشيء أعظم ولا أزكى من طهارة القلب وسلامة الصدر إذا سلم من الحسد وسلم من العجب والغرور وكان في نفسه ليس عنده عجب ولا غرور طهر الله هذا القلب فأصبح وعاء للخير فإذا نزلت فيه أنوار الهدى والتنــــزيل لم تشبها شائبة ولم تختلط بها الشوائب ولكن أهل العجب تلتبس عندهم الأمور ، ولذلك تجد المعجب إذا جئت تناقشه في مسألة يثور ويغضب ويفرض رأيه ؛ ولكنه لايستطيع أن يفهم قول غيره ولايستطيع أن يفهم حجج غيره فلذلك ينطمس في بصيرته ويذهب عنه خير كثير والحسد من الأسباب العظيمة التي توجب للإنسان الحرمان .

فنسأل الله بعزته وجلاله أن يجعلنا من المؤطئين أكنافاً الذين يألفون ويُؤلفون

السؤال :

يشكل علي التوازن عند إزدحام الفرائض خاصة بين السهر في طلب العلم والصلاة فهل الأولى طلب العلم أم الجمع بين الفضيلتين ؟

الجواب :

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أمابعد :

فإن طلب العلم من أحب الأعمال إلى الله- U - من سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر ، وطلب العلم من أجل الأعمال وأحبها إلى الله-سبحانه- . والصلاة والمشي إلى الصلاة والخطى إلى الصلاة إيضاً من الطاعات إلا أنها إذا كانت صلوات النافلة فإن طلب العلم أفضل منها ؛ لأن فضل العلم على العبادة كفضل العالم على العابد كما قال- r - : ((كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر وليلة التمام)) ، فالأفضل طلب العلم ولاشك أنه إذا استطا ع أن يمشي إلى حلق العلم وأن يسير إلى حلق العلم فإن الله يكتب له الأجر ويكتب له المثوبة ويعظم له ذلك ؛ لأن الله أخبر أنه يرفع أهل العلم درجات فالمشي إلى حلق العلم واحتساب الأجر فيها مع الإخلاص وإرادة ما عند الله-

سبحانه- من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله- U - ويحرص طالب العلم على السعي إلى طلب العلم .

أما لو تعارض طلب العلم مع قيام الليل والصلاة بالليل فالأفضل لطالب العلم أن يجمع بين العلم والعمل وأن يجعل له حظاً من قيام الليل وحظاً من صيام النوافل ؛ لأن الله-تعالى- يبارك له في علمه إذا كان مصحوباً بالعمل فقيام الليل يقوى على طلب العلم ويشحذ الهمة على الخير فإن الله-تعالى- يقول لنبيه : { إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً} فالله-تعالى- يوفق من قام بالليل للخير وهذا مجرب فإنك إن قمت بالليل أصبحت طيب النفس نشيطاً وأصبحت قوي العزيمة على الخير ، ويحرص طالب العلم على أن يجعل له حظا من قيام الليل وأن يجعل له حظا من الصلوات ولا شك أنه لو سهر وكانت عنده مسألة أو مشكلة أو نازلة أو كان عالماً يعلم المسلمين أو خطيبا يحضر لخطبة فتعارض ، هل يقوم الليل أو يتم الخطبة ويضبطها ؟ فالأفضل أن يضبط الخطبة لأنه إذا ضبط الخطبة انتفعت أمم وكان الخير متعدياً وإن قام في الليل كان خيره منحصراً فالأفضل أن يقدم ما يكون فيه النفع للعامة على النفع للخاصة ، ولذلك قال العلماء : الفضل المتعدي مقدم على الفضل القاصر .

السؤال :

كيف يمكن لطالب العلم أن يستفيد من سؤال العالم ، وما الأدب الواجب مراعاته ..؟؟

الجواب :

هذا باب واسع جداً مسألة لو أردنا أن نتكلم عن آداب طالب العلم في السؤال نحتاج إلى الفجر أدب السؤال وأدب طلب العلم لاشك أنه أمر عظيم وأحاديث النبي- r -وماورد عن الصحابة -رضوان الله عليهم- بتأدبهم مع النبي- r - ، الأدب الكامل أن تكثر من قراءة سيرة الصحابة مع النبي- r -وأن تحسن النظر في هذه السيرة التي كان عليها الصحابة -رضوان الله عليهم-كانوا مع النبي- r -كأحسن وأفضل وأكمل وأجل ما أنت راءٍ من صاحب مع رسوله-رضي الله عنهم وأرضاهم- ، ولذلك قال العلماء : اختار الله لنبيه-عليه الصلاة والسلام- خير الكتب وأفضلها وأشرفها ، وكذلك اختار له خير صحب فخير أصحاب لنبيه أصحاب النبي-صلوات الله وسلامه عليه- و-رضي الله عنهم أجمعين- إذا أرد الإنسان أن يسأل أول ما ينبغي عليه إخلاص النية لأن الإخلاص سبب في كل خير وعلى قدر نية الإنسان يلهم ويوفق ويسدد فمن خلصت نيته في العلم فتح الله عليه أبواب الرحمة ويسر له الأمر من حيث لايحتسب .

ثانياً : إذا جاء يسأل خاصة إذا كان السؤال أمام الناس أو كان مضنة

عجب العالم به أو عجب زملائه ونحو ذلك يخلص لوجه الله فيسأل وليس في قلبه إلا الله ، ولو سأل ما الذي يعين على الإخلاص في السؤال ؟ يعين على الإخلاص في السؤال أن تعلم أنك إذا سألت لله فكل حرفٍ تجزى عنه من الله- I - ليس الثواب من العباد بل من الله وحده ، وإذا سألت لله وقعت مسألتك وجوابها في ميزان حسناتك لأنك أعنت على الخير والبر خاصة إذا كان معك الجاهل الذي يحتاج إلى معرفة هذا السؤال وجوابه ، خاصة إذا قصدت تعليم الناس ودلالة الناس أو جلست مع العالم فأحببت أن يستفيد الناس بسماع علمه وما أعطاه الله- I -إذا كنت معه في مناسبة والناس لاتشعر بقيمة هذا العالم فأخلصت لوجه الله وسألت من أجل أن يظهر العلم وأن يظهر فضل الوحي وفضل من خصه وشرفه بهذا الوحي فهذا كله مما يعينك على الإخلاص .

ثالثاً : أن تختار أفضل ما يسأل عنه فأعظم الثواب في السؤال أن يكون عن أعظم الأشياء وأحبها إلى الله- I -من مسائل توحيده والإيمان به وإخلاص العبادة له- I - والبعد عن كل شئ يشوب هذا الإخلاص من البدع والأهواء والضلالات وكل مايوجب ضلال الناس وفساد عقائدهم فهذا أعظم وأفضل مايكون السؤال عنه والجزاء من الله فيه أعظم وأتم للعالم والسائل .

ثم تسأل بعد مسائل التوحيد والإخلاص والعقيدة تسأل عن مسائل الأحكام من هدي النبي- r - في العبادات في الصلاة وفي الوضوء ، كيف

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

كان يصلي -عليه الصلاة والسلام-كيف كان يتوضأ كيف كان يصوم وبقّية العبادات الواردة عنه-عليه الصلاة والسلام- تسأل عن هديه فهذا الجواب فيه أعظم والأجر فيه أجزل من الله- I - .

كذلك أيضاً تسأل عن مايعنيك في خاصة نفسك وأهلك وولدك ومن استرعاك الله أمره فتسأل ما الطريقة ؟ وكيف الفكاك من الأمانات والحقوق والواجبات والمسؤوليات ، تسأل عما يكون سبباً في فكاك رقبتك من النار وخلوصك في الوقوف بين يدي الله- I -ونجاتك من تبعة العباد وحقوق العباد ، حتى إن الرجل لو أراد أن يستأجر عاملاً يعمل عنده يسأل العالم ما حقوق العامل ؟ وما الذي يجب عليه تجاهه وما الذي يجب له عليه ؟ ونحو ذلك من الحقوق ؛ لأنك إذا فعلت ذلك علمت ما الذي لك وما الذي عليك وأمكنك أن تسعى في فكاك نفسك من حقوق العباد إذا أردت أن تتزوج تسأل عن حقوق الزواج ، إذا أردت أن تتاجر تسأل عن مسائل التجارة فهذا مما ينبغي على الإنسان أن يحرص على السؤال عنه .

كذلك إذا عرفنا ما الذي يسأل عنه ينبغي أن تجتنب مالا يحمد السؤال عنه من الأمور التي فيها تكلف وتنطع وتشدد في الدين وهي المسائل التي كرهها الله-سبحانه- لعباده قال- r -كما في حديث أحمد في المسند :((إن الله أحل أشياء فلا تحرموها وحرم أشياء فلا تحلوها وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها)) وفي رواية ((فلا تسألوا عنها))

فالمسائل التي فيها تنطع وفيها تشدد ينبغي للإنسان أن يبتعد عنها كأمور الغيبيات والسمعيات هذه أمور قفل الله- U - بابه عن العباد ، وأوجب عليهم أن يسلموا تسليماً ، وألا يخوضوا في مثل هذه المسائل وأن يبتعد الإنسان عن مسائل الجدليات وعلم الكلام والسفسطة ، ومثل مايورده أهل العقول الرديئة على السنة من الشكوك والشبهات . نعم رد الشبهات مطلوب لكن لاتشغل بها ولاتشغل بها وقتك ، ولذلك نجد القرآن الكريم دائماً يحرص على بناء الأصل وتقرير العقيدة في الأصول وشحذ الهمم والأخذ بمجامع القلوب إليها ، ولايشتغل الإنسان بالسؤال عن هذه الشبهات خشية أن تقع في نفوس بعض المرضى إلا إذا كان من العلماء أو طلاب العلم ممن يجب عليه بيان الحق أو بيان السنة فيجب عليه أن يسد هذا الثغر وأن يتعلم وأن يتقن معرفة هذه الشبهات كيف ترد وكيف جوابها وكيف تنقض .

كذلك أيضاً ماينبغي على الإنسان أن يراعيه بعد أن يعرف ما الذي يسأل عنه يعرف كيف يسأل ، والله- I - جعل لكل شئ حقاً وقدراً فالعالم إذا أراد الإنسان أن يسأله ينبغي أن يحسن اللفظ وأن يحسن العبارة وأن يعرف دلالة هذه العبارات فقد يقصد شيئاً ويسأل عنه بعبارة لاتمت إلى هذا الشئ بصلة ، وقد تحدث اللبس عند العالم فيجيب عن مسألة أخرى ، وقد تحدث لبساً آخر عند السامع فيفهم أن هذا الجواب لهذا السؤال والواقع بخلاف ذلك فالواجب على الإنسان أن يتحرى في الألفاظ وأن يشرح

للعالم شرحاً واضحاً وأن يكون كلامه وسؤاله مبيناً ليس فيه إشكال ولا لبس حتى يكون الجواب مطابقاً للسؤال .

كذلك أيضاً ينبغي عليه أن يراعي حفظ حرمة العلماء وإجلالهم لأن الله- I -يقول:{ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ} فلا يقول أيها الأخ يخاطب العالم نعم هو أخ في الإسلام ولكن ليس العالم كالجاهل وليس العلماء كعامة الناس بعض الناس يجلس في المجالس فإذا جاء يسأل العالم يقول أيها الأخ أو أيها الأخ الكريم أو يكتب سؤاله ويقول الأخ الكريم ماحكم كذا وكذا ؟ هذا لاشك أنه نقص في احترام العلماء وتقديرهم ، ومن انتقص عالماً وقصد ذلك فهو آثم ، ولذلك يقولون إن انتهاك حرمة العالم ليست لحق العالم فقط بل لحرمة الدين ومن هنا كان الاستخفاف بهم أو سبهم أو شتمهم ليس كالاستخفاف بسائر الناس أو سبهم أو شتمهم فلا ينبغي أن نخاطب العلماء كما يخاطب عامة الناس ، ولذلك كتب- r - إلى قيصر و إلى كسرى كتب وقال:((إلى قيصر عظيم الروم أمابعد أسلم تسلم أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ..فإن توليت فإنما عليك إثم الإريسين ..إلخ الحديث)) وخطابه -عليه الصلاة والسلام-بما ينبغي أن يخاطب به من له شأن في الدنيا فكيف بمن له شأن الدين ، فينبغي احترام العلماء وتقديرهم وتوقيرهم والدعاء لهم .

كذلك أيضاً من آداب السؤال أن السؤال في مجامع الناس ليس كالسؤال في الخاصة فهناك أمور يحسن السؤال عنها في مجامع الناس ولا يحسن

تركها للخاصة والعكس هناك أمور لايحسن السؤال عنها أمام الناس . وعلى الإنسان أن يتقي الله - U - في العلماء وخاصةً من لهم حق على الإنسان كالعلماء الكبار الذين لهم حق على الأمة لاينبغي إزعاجهم بمسائل محرجة والله إنك لن تُدْخل مسألة محرجةً على عالم صغير أو كبير إلا آذيته وإذا آذيته فالله حسيبك لأن النبي - r - يقول في الحديث الصحيح يقول الله -تعالى-:((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)) فكون الإنسان يتقصد المسائل المحرجة ودائماً يسأل العالم ويحرجه في أمور أمام الناس ، أو يحاول أن يسأله حتى يقف العالم عليها ويعلم أنه لايجيب عنها فيختارها لكي يسأله أمام الناس كل هذه أمور ينبغي للإنسان أن يبتعد عنها ، فإن أذية العلماء عظيمة وعادة الله - I - فيمن آذاهم معلومة ؛ لأنهم قاموا بثغور الدين وحملوا أمانة رب العالمين الذي ائتمنهم عليها ، فكل من تعرض لسبيلهم وقف في طريقهم فالله يكفيهم وكفى بالله حسيباً وكفى بالله وكيلاً ، ينبغي للسائل أن يضع هذا في حسبانه وأن يتقي الله- U - إذا سأل ولا يحتقر بعض الأحيان يكون من تسأله من مبتدئي طلاب العلم فإذا كان من مبتدئي طلاب العلم وعنده علم عما تسأله فإن له حقاً وله قدراً فينبغي أن تحفظ له هذا الحق ، وجماع الخير كله في تقوى الله - U -ومن يتق الله يلهمه ويسدده ويجعل له من كل همٍّ فرجاً ومن كل ضيقٍ مخرجاً ، والله تعالى أعلم .

السؤال :

ما هو الطريق الصحيح لطالب العلم في حال الاختلاف في المسائل العلمية حتى تتآلف القلوب ولا تتنافر ؟

الجواب :

بسم الله ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أمابعد :

أولاً : ينبغي أن يعلم المسلم أنه ما تكلم بكلمة ولا تفوه بعبارة أو جملة في هذا العلم إلا وهو مسئول بين يدي الله- U - هذا العلم أمانة ومسئولية تحتم عليه أن يجعل الجنة والنار نصب عينيه ؛ ولذلك لما قال الإمام ابن دقيق العيد : قضى في قضية وكان من القضاة في مصر قال له الخصم : ظلمتني أو جرت عليَّ ، وفي بعض الأخبار يقولون إنه قال له : هذه الكلمة لم ترد بها وجه الله أو شيئاً من هذا ! فقال-رحمه الله- : " والله ما تكلمت بكلمة منذ أربعين عاماً إلا وأعددت لها الجواب بين يدي الله " ، كل ما يقوله طالب العلم في المناقشات كل ما يقوله في الفتاوى ، كل ما يقوله في التحصيل مكتوب عليه ومسئول عنه بين يدي الله- U - ؛ ولكن السؤال عن العلم ليس كالسؤال عن سائر القول كل ما يقوله الإنسان مكتوب ومسئول عنه ؛ ولكن السؤال عن العلم سؤال خاص ؛ لأنك تنسبه إلى الدين وإلى الشرع ، فأنت تفتي بأن الحكم الله في مسألة كذا وأن الواجب كذا وأن المندوب كذا وأن المستحب كذا ، فينبغي أن

تجعل الجنة والنار نصب عينيك وأن لا تفتي ولا تتكلم إلا وعندك أثر يمضي بك إلى أن يبلغ بك إلى سنة رسول الله - r - كما قال الله -تعالى- : { إيتوني بكتاب من قبل هذا أو أثاركم من علم إن كنتم صادقين } فالعلم الصادق هو العلم الأثري الذي إذا تكلم فيه الإنسان بنى على العلماء والأجلاء قال الإمام الشافعي -رحمه الله- : " رضيت بمالك حجة بيني وبين الله " يعني إذا قال الله عمن أخذت هذا العلم أقول عن مالك ، فإذاً المسائل الخلافية والمسائل التي فيها فتوى إجماعية ، أو خلافية كانت مسئولية ، وأمانة وكل كلمة تتكلم بها أنت مسئول عنها .

إذا ثبت هذا تنتقل إلى الأمر الثاني وهو : أننا نتبع ولا نبتدع ، وأننا نسير على أثر من مضى كما قال الإمام مالك -رحمه الله- : حق على كل طالب العلم أن تكون فيه سكينة ووقار وأثر لمن مضى قبله ، فإذاً لا بد أن يكون عندك أثر ، فمن هنا طالب العلم الموفق المسدد أول ما يحرص عليه أن لا يكذب في العلم من الكذب في العلم أن يجتهد وهو ليس بأهل للإجتهاد من الكذب في العلم أن يجلس يناظر أخاه ليس عنده حصيلة علمية تأهله للمناظرة وليس أخوه الذي يناظره أهل أن يناظر من الكذب في العلم أن يلوي النصوص ويجيب عنها برأيه واجتهاده ، والله شهيد من فوق سبع سماوات أنه ليس في قلبه ذرة من علم في هذه المسألة ، وأنه ليس في قلبه علم في هذا الحديث ، وأنه ليس في قلبه علم من هذه الآية يأخذ النصوص يفسر الآيات يجتهد في شرح الأحاديث وليس عنده بينة ، فمثل هذا يعلم

علم اليقين أنه مقدم على نار جهنم فليستقل ، أو ليستكثر هذا هو الضلال المبين أن لا يكون الإنسان على بينة ودليل وحجة يخبط خبط عشواء ، ويناظر ويجادل ، ويقعد ويأصل وكأنه قد بلغ في العلم شؤاً كثيراً !! هذا خطر هذا زلل يستعاذ منه كل طالب أن ينبغي أن يستعيذ بالله من فتنة الغرور بالعلم ، ولذلك للعلم طفرة خاصة لطالب العلم المبتديء قالوا : أوله طفرة وآخره خشية وكسرة يعني انكسار لله - Y - .

فينبغي على طالب العلم أن يوزن نفسه بميزان الورع ، وأن يعلم أن كل آية وحديث أنها خصم له بين يدي الله إن قال فيها بدون العلم لابد أن يقول بحجة ، وأن يسير على سبيل ومحجة ، وما الذي جعل تفسير الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- لما تأتي إلى تفسير بن عباس لا يجاوز يمكن مأتين صفحة وهو تفسير للقرآن كله ؛ لأن القوم قد زموا ألسنتهم بزمام الورع والخوف من الله ، فكانت الكلمة لا تخرج إلا وهي محسوبة معدودة ينظر هل هي مبنية على نور الكتاب والسنة ، ثم إذا كانت الكلمة فيها زيادة الزيادة حتى لا يسأل عنها بين يدي الله ليس في كلامهم حشو ليس في كلامهم تلفيق ليس في كلامهم إدعاء ولا تعالم كلام موزون يدلك على أحقيته وأنه مصيب للسنة أنه مصيب للبينة بما فيه من النور أنوار الكتاب السنة ، ولذلك كما قال العلماء : " كلامهم قليل عظيم البركة" ، لما بني على الكتاب والسنة لا يجادل طالب العلم في المسائل إلا وعنده حصيلة وأساس يبني عليه .

الأمر الثالث : إذا كان طالب العلم قد حصل الأهلية للمناظرة فليسأل :
أولاً : من يناظر من هذا الذي أمامه المشكلة أنه يجلس طلاب العلم يتناظرون والكل لا يعرف من الذي أمامه لا يجوز لك أن تناظر شخصاً وأن تبحث المسائل وتناقش في المسائل وأنت تعلم أن الذي أمامك ليس بطالب العلم متأهل للمناقشة والمناظرة إنك إن فعلت ذلك أعنته على المنكر ، أعنته على الإثم العدوان ، أعنته على تفسير النصوص على رد سنة ، وقد يرد السنة فيضل ضلالاً مبيناً ، فالله الله أن تكون سبباً في هلاك أخيك ، أو تكون عوناً للشيطان على أخيك لو أن طلاب العلم كفوا أنفسهم المئونة واقتصروا على الطلب والتحصيل هذا الذي كان عليه السلف الصالح السلف الصالح ما كانوا يعرفون كثرة الكلام طالب العلم الآن يمكن تمضي عليه السنة ، أو السنتين -إلا من رحم الله- ما تمضي عليه السنة ، أو سنتين إلا إذا جلس مع شيخه وكأنه من العلماء الكبار يناظر ويناقش حتى لما يأتي يسأل لا يعرف أدب السؤال كان بالأمس من أجل خلق الله ، فإذا جلس بعد سنة أو سنتين وكأنه أصبح ينظر نفسه أنه سامت العلماء أو قارن العلماء وهذا هلاك ؛ لأنه دخل في النيات دخل في المنهج دخل في السبيل .
ينبغي على طالب العلم أن لا يناقش إلا من يرى أنه أهل للمناقشة أهل من جهته العلمية يعني عنده علم يؤهله للمناظرة المناقشة ، فإذا علمت -رحمك الله- أن الذي أمامك طويلب علم وأنه مبتدئ قل له يا أخي كف

عما تقول وتوصيه بالحق وتقول له يا أخي مثلك لا يتكلم في المسائل مثلك يطلب ويتعلم ثم يتكلم ، قالوا اذهب فتعلم ثم أت فتكلم وهو لم يتعلم ويؤصل ويقعد ، ثم يأتي ويناظر قل له يا أخي ما مثلك يناظر أنا أشفق على مثلك هذا مكان دحض مزلة حارت فيه أفهام العلماء وحصل فيه من المصاعب والمتاعب لأئمة كبار في المناظرات والمسائل الفقهية .
الأمر الرابع : إذا كان أهلاً للمناظرة وأهلاً للمناقشة ، فهناك أمور ينبغي أن ترتب قبل المناظرة والمناقشة :
أولاً : تنظر إلى قلبك ما الذي تريده من هذه المناقشة ؟ وما الذي تريد من هذه المناظرة ؟ إن أردت وجه الله لا يزال لك معين من الله يكون به توفيقك وتسديدك وإلهامك ورشدك متى ما أخلصت النية لله - U - ، ولذلك قال الإمام الشافعي : " ما ناظرت أحداً إلا وددت أن يظهر الله الحق على يديه " تجرد تام وإخلاص تام وتوجه إلى الله -جل وعلا- ، فأي مسألة يعني قد تكون المسألة أحياناً مع عوام ، فلذلك ينبغي أن يزنها الإنسان بهذه القواعد كلها ، فإذا رأيت أن الذي أمامك أهل للمناظرة تبدأ بنفسك بالنية لا تقصد العلو ، ولا تقصد أن لا تفرض عليه شخصيتك فإن من أعظم وأكرم الله به أهل العلم وهذه من النعم العظيمة الجليلةً الكريمةً كانوا يعرفون العالم الحق بهذه الصفة وهي التي ذكرها الله في القرآن أن العالم الحق لا يريد علواً في الأرض أبداً : { تلك الدار والآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض } فلا تجد العالم النظيف

النقي التقي الورع الذي يخاف الله- U - يريد أن يتعالى على الناس ، أو يريد أن يظهر قوته ويظهر مكانته على الناس لا أبداً ، هو يعلم علم اليقين أن ما بينه وبين الله يكفيه ، وأنه إذا كان ما بينه وبين الله خالصاً لوجهه يراد به ما عنده أنه على خير وسداد وما بعد ذلك لا يسأل عنه ولا يكفي ، ولذلك تجد العلماء الأجلاء إذا جاءهم الشخص يناظرهم أو يناقشهم وهو أهل للمناظرة تجد الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين- يتناظرون ويتناقشون يختلفون والقلوب لا تتغير والنفوس لا تختلف ؛ لأن النوايا صالحة كان يقول بعض العلماء غالباً لا تصدق نية الإنسان مع غيره في أمر إلا ألهم الرشد ، وما اختلف اثنان ولا تشاور اثنان في أمر وهم يريدون وجه الله إلا ألهمم السداد والصواب أبداً ، فالنية قبل المناظرة والمناقشة .

النقطة الثانية بعد تصحيح النية عند الأهل الذي تريد أن تناقشة القواعد والثوابت تعرف ما هو الأصل فتقول له هل الأصل قولي أو قولك أنت تقول بالوجوب وأنا أقول بالندب هل الأصل وجوب هذا الشيء أو ندب ؟ أنت تقول بالتحريم ، وأقول أنا بالكراهة هل الأصل تحريمه أو حله ؟ فإذا أثبتم الأصل نقول نحن على الأصل ولننظر من الذي خالف الأصل قال هذا حرام والأصل في الأشياء حلها نقول إئت-رحمك الله- بدليل من كتاب الله وسنة النبي- r - يدل على حرمة هذا الشيء وإلا لزمك بالبقاء على الأصل الموجب لحله . ثوابت واضحة .

ثم هناك قواعد أئمة العلم-رحمهم الله برحمته الواسعة ، وأنار قبورهم بأنوار الساطعة وجزاهم عن أمة محمد خير الجزاء- ما تركوا لنا شيئاً إلا وفصلوه وبينوه حتى المسائل المفروضة ، فالقواعد موجودة هناك قواعد وثوابت طالب العلم لو قرأ الأصول يعرف كيف يستدل بالدليل ، ثم طريقة الاستدلال لها درجات ومراتب كل درجة استدلال بمنطوق واستدلال بمفهوم .

أما المنطوق النص الظاهر المؤول استدلال بالمفهوم ، مفهوم صفة ، مفهوم شرط ، مفهوم علة ، مفهوم لقب ، كل مفهوم له درجته ، له دليله الذي يدل على حجيته ، له درجته إذا عارض غيره ، له درجته إذا عارض الغير نقلي إذا عارض الغير عقلي ، كل شيء مصنف مرتب قواعد زاكية وعلوم باقية ؛ ولكن من الذي يقرأ لسنا بحاجة أن نأصل من عند أنفسنا بل ينبغي علينا في المناظرات والمناقشات أن نبدأ من حيث انتهى القوم ، ولا نبدأ من حيث بدأوا لأنهم كفونا المئونة ، ولذلك كان التابعون يبنون على الصحابة وأتباع التابعين يبنون على التابعين ، والصحابة ، وهكذا كانت الأمة يبني بعضهم على بعض-فنسأل الله العظيم ، أن يلهمنا هذه السبيل القويم- .

والنقطة الأخيرة : أنه إذا أسفر الدليل وبانت المحجة والسبيل والحجة ، فعلى المسلم أن يتق الله وأن يكون رجَّاعاً إلى الحق ، فإذا تناظرت مع أحد وعلمت أن الدليل دليله وأن السبيل سبيله فقل : الحق معك وجزاك الله

خيراً عما قلت ، وأنا مسلم بما ذكرت ، وأنا راجع عما قلته ، فإن الرجوع إلى الحق ليس فضيلة فحسب يقولون الرجوع إلى الحق فضيلة بل فضيلة وفريضة فهو فريضة على الإنسان واجبة وفضيلة للمسلم يدل على شرفه ، وعلو مرتبته ، وحبه لربه وقصده لما عند الله - I - من أجله وجنته ودار كرامته ، فالمسلم يزن نفسه بهذه الموازن الثابتة ويجعل الخلاف في حدود واضحة ومعانٍ بينة .

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى ، وصفاتك العلى ، أن تهدينا للحق في ما اختلفوا فيه ، اللهم إنا نسألك الصواب والرشاد ، ونسألك اللهم الثبات على الحق والسداد ، وأن تختم لنا بخاتمة أهل الخير والرشاد .

السؤال : سائل يقول : أشهد الله بأني أحبكم فيه وسؤالي فضيلة الشيخ : أنا طالب مبتدئ في طلب العلم ، وقد أقبلت الإجازة كما تعلمون وأرجو من الله أن يوفقني في اغتنامها ، فأرجو من فضيلتكم بيان وذكر بعض الضوابط التي تعينني على ذلك ؟

الجواب :

أحبك الله الذي أحببتني من أجله وأشهد الله على حبكم فيه وأسأل الله أن يجمعنا بهذا الحب في دار كرامته .

أما بالنسبة للإجازة فأفضل ما تغتنم به الإجازة طلب العلم ؛ والسبب في ذلك أن الله جعله طريقاً إلى الجنة ، وقد ينشغل الطالب وغيره أثناء الأيام

العادية عن طلب العلم ؛ ولكن إذا وفقه الله في إجازته فحضر مجالس الذكر وحفظ كتاب الله وحفظ ما استطاع من سنة النبي - r - وانتهل من مناهل العلم شرح الله صدره ونور قلبه وحبب الخير إليه لأن النبي - r - لما قال : ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة)) قال بعض العلماء : فيه دليل على أن طالب العلم يوفق للعمل الصالح الذي ينتهي به إلى دخول الجنة ، وانظر إلى أهل العلم فإنك تجدهم ينالون رحمة الله ، ويخوضون في رحمة الله - U - ، فهم في عناء طلب العلم والسفر من أجله ، والرحلة والتغرب والسهر والتعب والنصب ، فإذا بهم في جميع ذلك ينالون الأجر والمثوبة من الله ، فإذا حصلوا العلم حملوا هم العمل فعملوا بما علموا فكانوا أقرب إلى السنة ، وأقرب إلى الطاعة والخير والبر ، والعلم بما يرضي الله -سبحانه- فيفعلوه وما يغضبه فيجتنبوه ، فهم يخوضون في رحمة الله - U - بعد تعلمهم وبلوغهم لهذه المرتبة ، حتى إذا أصبحوا من العلماء دلوا على الخير ، وهدوا إلى الطاعة والبر بإذن الله وتوفيقه فعظَّم الله أجورهم ، وثقَّل موزاينهم ، وجعل الخير والبركة فيما يقولون ، فشرفهم وكرمهم فجعلهم ورثة للأنبياء والمرسلين ، يقيمون حجة الله على خلقه ، فمثل هذه الغاية الكريمة وهذه المنـــزلة الشريفة العظيمة خليق بالمسلم أن يسعى في تحصيلها وطلب أسبابها والجد والاجتهاد لبلوغ أعلى مراتبها ، فالموفق السعيد من وفقه الله لبلوغ أعلى درجات العلم فهو يجد ويجتهد - خاصة في الفرص في وقت الفراغ -

فخير ما يتواصى به طلب العلم ، وقد قال- r - : ((من يرد الله به خيراً يفقه في الدين)) فلعل الله -سبحانه- أن ينشر لك من رحمته ، والله يحب من عبده أن يظهر له ما يحب- I - فالله يحب هذا العلم ويحب هذا العلم لأنه وحيه الذي أوحاه في كتابه ، وعلى لسان رسوله- r - ، فالمتمسك بهذا الوحي ، والحريص على تعلمه وإمضاء الوقت والعمر وإفناء العمر في هذا لا شك أنه من خير عباد الله وأصلحهم ، ولقد اختار الله لهذا العلم من كل زمان عدوله ، واختار من كل أون أفاضله وأهل الصلاح والخير فيه فهنيئاً لمن وفقه الله لاغتنام الاجازة في طلب العلم

وأما الأمر الأول : تنظيم الوقت وتنظيم الإجازة في طلب العلم فترتب لك دروساً معينة أو ترتب لك متوناً معينة تحفظها ، وتتعلمها ، وتضبطها ، وتقوم بحقوق العلم تجاهها حتى إذا انتهت العطلة إذا بك قد وجدت حصيلة من الخير ، ولا شك أن من طلب علماً والتمس علماً فأصابه رفع الله به درجته بذلك العلم بقدر ما تصيب من العلم ، لو حضرت مجلس علم واحد واستمعت إلى آية من كتاب الله فعلمت حلالها وحرامها وشرعها ونظامها وتعلمت ذلك فإن درجتك بعد خروجك من هذا المجلس غير درجتك التي كنت فيها قبل أن تجلس ، فإن الله يرفع أهل العلم درجات ، فهنيئاً لمن رفع الله درجته في هذه الإجازات ووفقه لاغتنامها في طلب العلم .

أما الأمر الثاني : بعد تنظيم الوقت في طلب العلم فالرفقة الصالحة البحث

عن قرين صالح ؛ لأن الوقت طويل والإجازة ولو كانت شهراً أو أكثر من شهر فإنها طويلة وقد يمل الإنسان فيحتاج إلى من يعينه فيبحث عن إنسان صالح يعينه على طلب العلم ، وإن كان يستطيع بنفسه أن يطلب ويجد ويجتهد ويجد في ذلك الراحة فهذا أفضل .

كذلك مما يوصى به في اغتنام هذه الإجازة : خاصة لمن يريد أن يوفقه الله أيضاً في تعلمه وطلبه للعلم قيام الليل والأعمال الصالحة ، فإن الإنسان أثناء الدراسة وأثناء الشغل لا يستطيع أن يُحصِّل كثيراً من الطاعات ، فإذا كان في إجازة وفي فراغ فليحاول قدر استطاعته أن يجعل له ورداً من كتاب الله يقوم به في ليله ، يجعل له حظاً من كتاب الله يأخذ على نفسه في هذه الإجازة أنه يختم القرآن كل ثلاثة أيام ، يعرض قوله وفعله وظاهره وباطنه على كلام الله- U - يعرض شئون حياته وهمومه وغمومه على كلام الله- I - ، فطوبى ثم طوبى لمن جعل الله القرآن ربيع قلبه ونور صدره وجلاء حزنه وذهاب همه وغمه ، وجعله سائقه وقائده إلى-رضوانه العظيم والجنة- ، طوبى لمن جعل كتاب الله نصب عينيه يفرح للأفراحه ، ويحزن لأحزانه وأتراحه ، إن ذكرت الجنة طار شوقاً إليها ، وإن ذكرت النار سُقط فزعاً منها ، طوبى لمن اغتنم مثل هذه الساعات والأوقات في تدبر هذا القرآن العظيم ، سعادة العبد في الدين والدنيا والآخرة كتاب الله- Y - ، ووالله ما سعد السلف-رحمهم الله- ولا نالوا المراتب العالية والمنازل السامية إلا بفضل الله ، ثم بهذا القرآن : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي

لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} القرآن وما القرآن ؟! : { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} ، فالعبد الصالح الموفق إذا جاءه الفراغ اغتنمه قبل شغله ، فلو مرت عليك هذه الإجازة وقد حصلت منها ختم القرآن كل ثلاث ليال ، أو حصلت فيها صيام الأيام الفاضلة من الإثنين والخميس ؛ لربما جاءت عليك أيام الشغل وقد اغتنم الخير ؛ لأن الطاعة تدعو إلى أختها ، وكم من أناس في أوقات الفراغ شغلوا فراغهم بالطاعات فأصبحوا لا يستطيعون تركها ، فثبت الله أقدامهم عليها ، قال بعض العلماء : إن الاعتكاف من فضائله ومما شرعه الله في رمضان أن يعتكف المسلم ؛ لأنه بهذا الإعتكاف يقوى على قيام الليل ، فلربما خرج من معتكفه وهو محافظاً على قيام الليل وختم القرآن كل ثلاث ليال ، وكذلك بالنسبة لبقية الطاعات .

كذلك مما يوصى به في اغتنام هذه العطلة النظر في أحب الأعمال إلى الله- U - أحب الأعمال والطاعات التي منها وأشرفها وأكرمها بعد توحيد الله ، بر الوالدين فيحرص الموفق والشاب الصالح أن يكون أبر الناس بوالديه فأيام العطلة تغتنمها في قضاء حوائج الوالدين ، ولا تعلم أن هناك حاجة يحتاجها الوالد أو الوالدة إلا أظهرت من حبهم والتذلل لهم وقضاء حوائجهم ما يرضي الله عنك قال-تعالى- : { وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} أيام الدراسة أنت مشغول وتتعذر بأعذار وسع الله صدورهم فقبلوا عذرك ، أما في الفراغ

لا تسمع بحاجة لوالدك ولا والدتك إلا جثيت عند قدم الوالد والوالدة مستجيباً ملبياً لهما تلك الحاجة ، فهذا من أعظم القربات وأحبها إلى الله- I - ، بر الوالدين الذي ينشر الله به الرحمة ، ويضع به التيسير والتوفيق ، فالبار ما سلك سبيل خير إلا سهله الله له ، ولا طرق باب خير إلا فتحه الله في وجهه ، البار موفق حيثما كان ، لأن بعض الإخوان في أيام الإجازة قد يكون سبباً في عقوق الوالدين فيسافر ويتغرب عن والديه فيتحمل والداه المشقة والعناء إن جاءت الدراسة شغل عنهما ، وإن جاءت العطلة سافر عنهما فمتى يكون البر !! متى تكون النظرة الجميلة الجليلة نظرة الرضى من والدك ووالدتك لك . إذا كنت بعيداً عن الوالدين في أيام دراستك وأيام عطلتك إذا كنت مشغولاً عنهم في أيام فراغك وأيام عملك ، فليحرص الموفق السعيد على أن يجعل له في هذه الاجازة أوقاتاً يتعرض فيها لرحمة الله ، ولدعوة صالحة من والده ووالدته .

أما إذا كانا أمواتاً فيجتهد في ذكرهما بالدعوات الصالحة والترحم عليهما وسؤال الله- U - أن يفسح لهما في القبر وأن يلطف بهما في الحشر والنشر ، فيسأل الله- U - لهما من الخير دائماً وهو فارغ مادام أنه في إجازة وبعيداً عن شغله . اللهم اغفر لابي وارحمه اللهم اغفر لأمي وارحمها ، وانظر كيف القرآن يقول : { وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} يقول بعض العلماء : عجبت من هذه الآية أن الله-تعالى- يقول : { وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا} ، ما وقفت الآية عند هذا لأنك لو قلت رب ارحمهما

كأنك متفضل على الوالدين فقال : { كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً } أي : أنك ما لك فضل على والديك إنما ترد شيئاً من حقهما عليك ، وفضلاً من فضلهما عليك ، فبر الوالدين من أحب الطاعات ، فهنيئاً لمن وفقه الله للنظر في حوائج الوالدين ! فلو علم أن والدته غائبة عنه فسافر لها واغتنم أيام الإجازة فأقبل عليها وأدخل السرور عليها ، وقضاء حوائجها ، والتمس رضوانها ، وهكذا الوالد يسافر إليه ، ويسلم عليه ، ويسأل عن حاله ، ويقضي حوائجه ، فتصبح هذه الأيام تخفف من غربته عن والديه .

كذلك أيضاً من أحب الطاعات الحرص على مجالس الصالحين عمارة الأوقات بمجالسة الصالحين ، إذا علمت إخواناً صالحين تزورهم دائماً ، وتجلس معهم ولك عليهم حق أن يحبوك في الله وأن يعينوك على طاعة الله ، وأن يثبتوك على مرضات الله ، ولهم عليك حق أن تعينهم على طاعة الله ، وأن تسكن قلبك حبهم في الله ، وودهم في الله ، وأن تتمنى لهم الخير وتحب لهم كما تحبه لنفسك ، فإذا اجتمعت القلوب في مثل هذه الأوقات وأنست بالأخيار أصبحت نفسك مطمئنة راضية مرضية فإذا بك في رضوان من الله مع أهلك وولدك .

كذلك أيضاً ينبغي للمسلم أن ينظر في الحقوق والواجبات مرتبة ، فلا يذهب لزيارة الصالحين على حساب حقوق الأبناء والبنات والزوجات بل ينبغي أن يبدأ بالأهم فالأهم ، حتى أولاده يدخل السرور عليهم حتى لو أنه أراد أن يأخذهم في سفر أو نزهة مباحة فهذا مما يرضي الله يدخل

السرور عليهم بالمباحات التي ليس فيها من حرام ولا توسع في الحرام ، فاغتنام الإجازة في مثل هذه الأمور من توفيق الله للعبد .

وعلى المسلم أن يعلم أن الدنيا فانية وأن العمر قصير ولا يدري الإنسان متى يوافيه أجله ، فهنيئاً لمن جعل الموت نصب عينيه ! فاغتنم فراغه قبل شغله ، وصحته قبل مرضه ، وشبابه قبل هرمه ، وهنيئاً لمن تنتهي عليه هذه الأيام ما هي إلا أيام يسيرة وتطوى صفحات الإجازة تطوى صفحات الإجازة على أقوام سموا إلى المراتب العالية ، والأعمال الصالحة الزاكية . فبيضوا صحائفهم بالأجور وثقلوا موازينهم بالأعمال الصالحة ، وأقوام-نسأل الله السلامة والعافية- قد تكون امتلأت صحائف أعمالهم بالسيئات والموبقات والمهلكات-نسأل الله السلامة والعافية- ، والحسنة تدعو إلى أختها ، والسيئة تدعو إلى شر منها ، فعلى الإنسان أن يحذر كل الحذر ، وأن يحرص كل الحرص على اغتنام هذا الوقت ، واعلموا أن ذلك كله لا يكون إلا بتوفيق الله وحده ، فاسأل الله دائماً التوفيق فقل اللهم إني أسألك التوفيق اللهم لا تحرمني من توفيقك بذنب يكون مني .

نسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، أن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، والله - تعالى – أعلم

السؤال :

إذا كثرت المسائل الفقهية على طالب العلم فما الطريقة المثلى لضبطها ؟

الجواب :

الطريقة المثلى لضبط العلم تحتاج إلى أمرين :

الأمر الأول : بين طالب العلم وبين الله - U - فمن أراد أن يفتح الله عليه في علمه وأن يوفقه في فهمه وحفظه وضبطه فينبغي أن يكون بينه وبين الله إخلاص يقوده إلى الخير ويثبته على الطاعة والبر .

فأول ما يوصى به طالب العلم أن تكون سريرته لله ومن أخلص لله - U - ثبت الله قلبه على الخير وشرح صدره للطاعة والبر وجعل العلم ميسرا له على قدر إخلاصه .

أما الأمر الثاني الذي يوصى به : طالب العلم فالأخذ بالأسباب التي تعين على ضبط العلم وإتقانه والقيام بحقوقه وأول ذلك أن يطلب العلم من أهله ؛ لأن من طلب العلم من العلماء وأخذه عنهم فإنه يتصل سنده إلى رسول الله - r - وهذا العلم المأخوذ عن أهله علم موروث ، والعلم الموروث الحق هو الذي يهتدي به صاحبه ويهدي به غيره فالواجب أن يبحث عن عالم متمكن في علمه فإذا أراد أن يطلب العقيدة فإنه يبحث عن العالم المبرز فيها ، وإذا أراد أن يطلب حديث رسول الله - r - فينبغي أن يبحث عن المبرز فيه ، وإذا أراد أن يطلب الفقه والأحكام فإنه يبحث

عن من تبرز في ذلك ونبغ فيه بشهادة أهل العلم فإذا وجد مثل هذا عض عليه بالناجذ وأعطاه حقه في ضبط علمه وتحصيله وإتقانه ، وإذا حضر مجالسه راعى حرمة العلم وأدب العلم حتى لا يمحق الله بركة علمه فتلطف مع العلماء في سؤالهم واختر الأسئلة المناسبة والأوقات المناسبة ، ولا يضيق على العلماء ولا يحرج عليهم في الأوقات الحرجة كأوقات نومهم وأوقات راحتهم وأوقات استجمامهم ، ويكون سؤاله تلطفاً ويكون سؤاله بحثاً عن الحق دون جدال ولا مراءً ، فإذا وفق الله طالب العلم لأخذ العلم عن أهله وألبسه الله لباس التقوى وجعله من أئمة الخير والرضى فظهرت شمائل طلاب العلم الطيبة الكريمة في قوله وفعله وعلمه أحبه العلماء ، وإذا كان طالب العلم محبوباً عند العالم فذلك أدعى للقرب وإذا اقترب طالب العالم من شيخه كان ذلك أدعى لضبط العلم وإتقانه .

أما الطريقة فيما بينه وبين هذا العالم وما يأخذه عنه فينبغي أولاً أن يوطن نفسه على الجد والتعب والنصب في تحصيل العلم لا يفتر ولا يتعب ولا يسأم ولا يمل فإذا أراد أن يطلب العلم فليعلم أن العلم فيه تعب وفيه نصب فإذا جلس في مجالس العلم وجاءته السآمة والملل دفعها وجد واجتهد وأقبل على العلم مهما كانت الظروف ومهما كانت الصعاب ، وإذا كانت عنده ظروف ضحى بها من أجل هذا العلم ، ومن كانت له بداية محرقة جعل الله له النهاية المشرقة ، ومن جد واجتهد فإن الله - I - لايضيع أجر من أحسن عملاً ، فينبغي على طالب العلم أن يهيئ الأسباب

، منها أولا قراءة الدروس قبل مجالس العلم يقرأ المرة والمرتين والثلاث والأربع .

ثانياً : أن يحضر مجالس العلم وقد فهم فهما مبدئياً فيما قرأ أو أراد أن يقرأه على الشيخ .

ثالثاً : يهيئ الأسئلة التي يريد أن يسألها والإشكالات التي يريد أن يستشكلها فإذا سمع الدرس أو جلس في مجلس العلم فعليه أن ينظر إلى مستوى العالم فإن كان يستطيع تحصيل جميع ما يقال حصله بالحفظ والضبط ، وإن كان لا يستطيع أخذ زبدة قوله وحاصل قوله وعلم أن الله - I - سيبارك له في هذا العلم فيأخذ كل مسألة حكمها والدليل فلا تأخذ المسألة مجردة من الدليل لابد من الدليل ؛ لأن الدليل هو الحجة لك بين يدي الله - U - من نص الكتاب ونص السنة ونص إجماع الأمة . ودليل النظر الصحيح أن المبني على الوحيين ، ثم بعد ذلك إذا انتهى من اختصار أو جمع ما في الدرس رجع إلى بيته فأكب على ذلك العلم فقرأه المرة والمرتين لا يسأم ولا يمل ، وهو يعلم علم اليقين أنه ما من حرف يكتسبه وما من حرف يسمعه وما من حرف يفهمه إلا ويعلي الله به درجته ومنـــزلته ويستديم شكرا لله - U - فقد تأذن الله بالزيادة لمن شكر فمن جلس في مجالس العلم وقدر العلم وأحس أن كل كلمة من العلم فضل من الله ساقه إليه لا بحوله ولا بقوته : { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً } فيقوم من مجلس العلم وهو يقول : الحمد

لله الذي علمني ما لم أكن أعلم ، فإذا شكر الله بارك الله له في علمه وتأذن له بالزيادة فيما يصل إليه من شيخه ، وبذلك يكون علمه علم خير وبركة ، والأفضل والأكمل أن يختار من طلاب العلم من يثق بدينه وجده واجتهاده فيختاره قرينا له في الطلب فإذا تيسر له ذلك فإن عليه أن يختم هذا العلم بما يسميه العلماء بالملخص فيكتب ملخصاً لدروسه ويعتبر هذا الملخص مرجعاً له في كل حين يقلبه وينظر فيه حتى يحفظه حفظاً تاماً يكون منطلقاً له في تعليمه للغير

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً ، وأن تجعل ما تعلمناه وعلمناه خالصاً لوجهك الكريم موجبا لرضوانك العظيم .

السؤال :

هل يجوز للشخص أن يعمل بعدة أقوال في المسألة الواحدة ؟

الجواب :

بسم الله ، الحمدلله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

الناس على ثلاث مراتب ينبغي على طلاب العلم أن ينتبهوا لذلك من كان منهم عالماً يعرف الصحيح من الضعيف ويعرف الثابت من غير الثابت ، يعرف دلالات النصوص وما ينبغي تقديمه عند الاختلاف

وترجيحه عند التعارض فالواجب عليه أن يتقي الله وأن يعمل النصوص القوية وأن يرجحها ويأخذ بها على وفق ماقرره أئمة الإسلام ودواوين العلم ، لا يجوز له أن يُلَفِّقَ بين الأقوال ولا يجوز له أن يترك الاجتهاد في النصوص ؛ لأنه مأمور بالاجتهاد به هذا شخص بلغ مرتبة الاجتهاد ، فالواجب عليه أن يختار أصح الأدلة سنداً وأصحها متناً وأقواها دلالة ، وأئمة السلف والعلماء -رحمهم الله- لم يتركوا لنا شيئاً (يعني) من الاختلاف إلاَّ وقد بينوا لنا وجه الترجيح فيه وضوابط الترجيح وأصول الترجيح ، فلا يعذر هذا العالم ، ولذلك يقولون يحرم على المجتهد أن يقلد ؛ لكن من ؟ الذي حفظ كتاب الله ، وحفظ أحاديث النبي - r - وخاصةً ما يتعلق منها بالأحكام وَأَلَمَّ بالقواعد المعتبرة في اللغة في لسان اللغة ، والقواعد المعتبرة في الأدلة في ثبوتها سواءً من ناحية أدلة الكتاب وأدلة السنة من حيث القراءات في القرآن ومعانيها ، وكذلك - أيضاً - السنة الأحاديث الصحيح منها والضعيف إلى غير ذلك مما ذكرناه ، فيجب عليه أن يجتهد ، ثم ما توصل إليه بالاجتهاد أنه راجح لا يكتم الحق ، بل يعمل به ويدعوا إليه ويبين وجه رجحانه ، هذا بالنسبة للمجتهد .

النوع الثاني : وهو العامي الذي لا يميز بين صحيح الأشياء وضعيفها ، وبين النصوص قويها وضعيفها ، فهذا بالإجماع كما حكاه الحافظ ابن عبدالبر والحافظ ابن حجر والإمام ابن القيم وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم رحمة الله عليهم- بالإجماع أنه يجب عليه أن يبحث عن عالم يثق

بدينه وعلمه ويعمل بفتواه ، يختار عالماً واحداً ؛ لأنه مايستطيع أن يتذبذب بين أكثر من عالم ؛ والسبب أننا نقول له لا تأخذ من أكثر من عالم ، واضح ؛ لأنه ربما كان هذا العالم يأخذ بظواهر النصوص وهذا يأخذ بالمعاني ، فإذا جاء في مسألة في الصلاة وعمل بقول هذا ربما كان قول هذا راجحاً عنده للظاهر ، ثم يأتي في المعاملات ويعمل بقول هذا ويكون نفس الدليل ووجه الدلالة التي ردها في الصلاة هي التي يعمل بها في البيوع ، وحينئذ يحدث عنده مناقضة للشريعة .

مثال ذلك : - مثلاً - لو أن هذا العالم يأخذ (بدلالة منطوق أو دلالة مفهوم ويرى أن مفهوم العدد حجة) وجاء وقال في الطهارة : إن ما دون القلتين ينجس بملاقاة النجاسة أنت تأخذ بقوله وتعمل بقوله فإذا بك كل شيء دون القلتين ينجس بملاقاة النجاسة وتتعبد الله بهذا ، ثم يأتي مفهوم العدد في مسألة من مسائل البيوع ويكون هذا الشيخ الآخر الذي لا يرى مفهوم العدد حجة قد عمل بمفوم عدد فيها ، فحينئذٍ تتعبد الله بقولين متناقضين وأصلين متعارضين هذا الذي جعل العلماء -رحمهم الله- يجعلون أصولاً للحنفية ، وأصولاً للمالكية ، وأصولاً للشافعية ، وأصولاً للحنابلة ، ماهو مسألة تعصب ، بل مسألة اختيار وجه معين تتعبد الله- U - به . هذه أمور مضت عليها قرون الإسلام ما أنكرها أحد ولا ردها أحد ، ولذلك تجد شيخ الإسلام يقول : هذه أصولهم - يعني للحنفية أنهم قالوا بهذا القول إعمالاً لأصولهم لأنهم تعبدوا الله بشيء واحد لا يتناقضون -

فيه فالتلفيق بين الفتاوى : يأتي لعالم ثم يأخذ قوله في الصلوات ولا يأخذ بقوله في الزكاة ، ويأخذ بقول ثالث في الحج هذا تعارض ، إذا رضيته حجة في الصلاة فإنه حجة في الزكاة وحجة في الصوم ، يكون حجة لك أمام الله - U - ترضى بقوله وتسير على هذا القول ؛ لإنك لو أصبحت تتذبذب بين أكثر من عالم لَفَّقَت بين الشريعة وجعلت الشريعة ملفقة ، فلو قلنا لمثل هذا : يجوز فعله لأجزنا في الشريعة التلفيق ، وحينئذ تتناقض وتتعارض أصول الشريعة ، ولا يمكن أن يستقيم هذا لا دلالة نقلية ، ولا دلالة عقلية هذا من حيث العامي ما الدليل الشرعي على أن العامي يجب عليه أن يقلد ؟

الدليل الشرعي قوله -تعالى- : { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} : { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ } فرض عليه أن يرجع للعلماء إذا لم يكن عنده علم ولا يختص بالعامي الذي لا يعرف الدليل ، فطالب العلم يكون عامياً ؛ لأنه إذا لم يُحصِّل المسألة ولم يضبطها على يد عالم فإنه عامي فيها يأخذ بقول من هو أعلم منه ويتعبد الله ما دام أن الذي أعلم منه عنده دليل وعنده حجة وحينئذ النوع الثاني - وهم العوام - : يجب عليهم الرجوع إلى العلماء ويختارون عالماً يثقون بدينه وأمانته .

هؤلاء العوام لو أنهم وجدوا ثلاثة أقوال للعلماء فماذا يفعلون ؟

هل يأخذ بقول هذا أو هذا أو هذا ؟ إذا جاء في مسألة فسمع أن ثلاثة علماء أجلاء أفتوا فيها بأقوال متعارضة فهل يقال له بالأختيار أو يقال

بالترجيح ؟ قال بعض العلماء : يختار أيها شاء ويتعبد الله - U - به لكن بشرط ألا يكون عن هوى ، وقال بعضهم : يختار أيسرها ؛ لأن الدين يسر ، وإذا تعارض الأشد والأيسر فقد كان النبي - r - ما خُيِّر بين أمرين إلاَّ اختار أيسرهما ، فقالوا : تيسير من الله - U - فيعمل بأيسر الأقوال ، وقال بعض العلماء : يأخذ بالعزيمة ؛ لأنها هي اليقين من حيث الأصل ؛ لأنه مأمور ومكلف بالشرع لأنه بلغه العلم ، ومن أثبت العزيمة فقد ازداد علماً وحفظاً ، ومن أخذ بالرخصة لم يثبت هذا العلم ، والمثبت مقدم على النافي ، ولا شك أن أخذه بالأحوط أكمل لدينه وأتقى لربه وأعظم لأجره - لا شك في هذا ، ومن أهل العلم من قال محل هذا الخلاف عند الاستواء الكامل . وما المراد بالاستواء الكامل ؟ قالوا : العامي إذا تعارضت عنده ثلاث فتاوى أو عالمان أفتى كل منهما بقول آخر : ينظر أولاً إلى فقه كل منهما ، فإن كان أحدهما يشهد له بالفقه باستنباط العلم أكثر فالطمأنينة أن الحق معه أكثر فيأخذ بقوله ، والدليل على ذلك أن الصحابة كانوا يرجعون في بعض المسائل إلى بعضهم دون بعض ، فكانوا يرجعون إلى أمهات المؤمنين في شأن النبي - r - في بيته ؛ لأنهن أعلم وأفقه ، فقالوا : إذا كان هناك مرجحات ترجح له عالماً على آخر مثل أن يشهد له بالفقه أكثر فإنه يقدم هذا الذي شهد له بالفقه أكثر ، إذا استووا في الفقه وكل منهما عالم وفقيه ومشهود له بالفضل وبالمرتبة الراسخة في العلم قالوا ينظر إلى أصلحهما وأكثرهما عبادة ، فلو استوى

عندك عالمان جليان لكن أحدهما أكثر خوفاً من الله - U - وإن كان العلماء الأصل فيهم أنهم يخافون من الله - U - ولكن هناك أمور : فمثلاً تجد أحدهما يتورع من الأمور المشتبهة ويخاف الله - U - وتجد عنده نوع من الخشية لله والإنكسار أكثر قالوا : فهذا مرجح أكثر ؛ لأن العبادة تعين على الوصول إلى الحق أكثر ، وزهد الإنسان وصلاحه مرضاة لله - U - ، والله يوفق ويسدد أهل طاعته فيتولى الأصلح أكثر ممن هو دونه صلاحاً ، ولذلك قال -تعالى- : { إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} فولاية الله له أتم وأكمل فيُقَدَّم ، ومن هنا قالوا يرجح في الفقه ، فإذا استووا في الفقه يرجح في العبادة والصلاح .

بقيت المرتبة الثالثة : وهي مرتبة طالب العلم ، طالب العلم هو الذي عنده أصول صحيحة . وما معنى قولنا أصول صحيحة ؟ ماهُوَ شخص جاء يفتح الكتب ويستكبر أن يجلس مع العلماء ، ولا طالب صحف يبحث ويأخذ العلم بالمطالعات ويقول : - والله - هذه المسألة بحثتها - والله - هذه المسألة راجعتها ، والله هذه المسألة ... أصبحت كتب العلم رخيصة ، كل شخص عنده خمسمائة ريال يستطيع أن يُوْجِدَ مكتبة عنده ، وهذا - والله - لا يعذر لك أمام الله - U - على أن تجلس في مجالس العلماء ، وليثق كل إنسان يصدر للأمة ويخرج للأمة بهذه الطريقة أنه قد غش أمة محمد - r - . ما يجوز هذا ، مايجوز أن يتلقى العلم من الكتب ويتكبر عن الجلوس مع العلماء والتتلمذ عليهم ومعرفة كيف أخذ السلف ؛ لأن هذا

العالم الذي أخذ العلم عن العالم اتصل سنده إلى النبي - r - فحري بك أن يتصل سندك إلى النبي - r - ، أما أن تأخذ من الكتب ، والأدهى والأمر من هذا أن يقول قال شيخنا فلان وهو لم يقرأ عليه ؛ لكن قرأ كتبه ، وهل كل شخص قرأ كتاباً أصبح صاحب الكتاب شيخاً له ويقول قال شيخي شيخ الإسلام ابن تيمية ؟! هذا غش لذلك تجد بعضهم يقول : صححه شيخنا فلان وضعفه شيخنا فلان هذا تدليس ما يجوز ؛ لأن الذي يسمعه يظن أنه جلس عند العالم وتربى على يد العالم ، العلم لا يكفي فيه التلقي عن الكتب ، لابد من أخذ العلم عن العلماء ، ومن هنا قال العلماء -رحمهم الله- في قوله -عليه الصلاة والسلام- : ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء ، ولكن يقبضه بموت العلماء)) فقال : ((يقبضه بموت العلماء)) ما قال بذهاب الكتب ، وهذا يدل على أن العلم كما قال بعض العلماء : في هذا الحديث دليل على أن العلم سنة يؤخذ من أفواه العلماء ، يؤخذ من أفواههم بالتلقي المباشر ، فطالب العلم الذي جلس مع العالم . من هو طالب العلم الذي عنده تمييز :

أولاً : قرأ الأصول إذا كان طالب علم في الفقه . قرأ الأصول كاملة تامة بمختصر من المختصرات يعرف فيه كيف يفهم وماهي الأحكام الشرعية ؟ وكيف يستنبط وهي التي تسمى بالبدهيات والأمور الأساسية في أصول الفقه .

ثانياً : قرأ الفقه على قول واحد بالدليل ، ليس هناك حرج أن تقرأ مذهباً

بالدليل ، الحرج أن يأتي شخص ويأخذ مذهباً ويتعصب عليه ويرد نصوص الكتاب والسنة ، أما أن يقرأ الفقه على مذهب بدليله فهذا أمر أجمعت عليه الأمة . الظاهرية يأخذون بفقه الظاهرية ، الحنفية ... المالكية ... الشافعية ... الحنابلة ، لن تجد عالماً من علماء المسلمين إلا وقد قرأ الفقه على أصل من الأصول ؛ لأنه ما يمكن أن يقرأ الفقه إلا هكذا ، ولن تستطيع الآن أن تأخذ حكماً في شرح حديث أو كتاب فقه إلا وجدت عالمه ينتسب إلى مذهب من مذاهب الإسلام ، هذا شيء أجمعت عليه الأمة ، ما يستطيع أحد أن يكابر فيه ؛ إنما الذي رده العلماء وانكره العلماء التعصب المقوت المذموم الذي ترد فيه نصوص الكتاب والسنة وتلوى أعناق النصوص لاتباع الرجال هذا هو المذموم ، أما أن تأخذ مذهباً تقرأ فيه بدليل وحجة (يعني) لو جئت تقرأ كتاب الصلاة على مذهب بدليله ما هو هذا المذهب ؟ لمّا تأتي وتقول قرأت على مذهب الإمام أحمد فرضاً فإن الإمام أحمد قرر بعده هذا القول وقرره أئمة درسوا أصوله وتعبدوا الله بدراسة مليئة بالورع والخوف من الله ألا ينسبوا إلى أمامهم إلاَّ ماهو صحيح ، وكتبت هذه الكتب في عصور مليئة بالعلماء ودواوين الإسلام الذين هم حجة ومثلهم يملأ العين ويملأ الأرض علماً وعملاً . وهذا أمر ما يستطيع إنسان أن ينكره ، هذا موجود ومن قرأ كتب الطبقات والتراجم وجد فحول العلماء الذين كانوا يتكلمون في هذه المذاهب ويقعِّدونها ويؤصلونها ، فإذا قعّدوا هذه المذاهب وأصّلوها

وذكروا أدلتها وجئت أنت وتقرأ بدليل ولقيت الله - U - تتوضأ وتصلي وتزكي وأنت آخذ بقول إمام من أئمة السلف كما لو أخذت بقول الإمام أحمد . هل إذا اتبعت الإمام أحمد وصليت كصلاته التي اتبع فيها النبي - r - ضللت ... إذا كنت تتبعه على هذا القول وتيسير على هذا القول معناه أنك ضللت ! أبداً ما ضللت ؛ لكن إنما يكون الضلال إذا خالف الإمام أحمد - وطبعاً ما نظنه يخالف ، وإنما لم يبلغه حديث أو لم تبلغه حجة وتبلغك - ، فتقول : لا ... قول الإمام أحمد أرجح ، يقال لك : هذا حديث النبي - r - تقول : لا قول أبي حنيفة أرجح أو قول مالك أرجح لا ... ، هذا هو المذموم .

ولذلك انظروا قبل مائة سنة ، أو قبل مائتي سنة - حينما كان يقعد الفقه بأصوله وأدلته - تجد الذي يتصدر للفتوى ديواناً من دواوين العلم ، يزخر بالعلم ويعرف كيف يقعّد ويأصِّل وينظِّر ؛ لكن الآن تجد الذي يتصدر للفقه ما تدري هو في السماء أو في الأرض ، تارةً يأخذ بالمفهوم ويراه حجة ، وتارةً لا يراه حجة ، وتارة يناقض نفسه بنفسه ؛ لأنه لم يلتزم أصلاً صحيحاً فنحن نقول : لابد من التأصيل . طالب العلم إذا كان ما بلغ درجة الاجتهاد فإنه لا يجوز له أن يأتي ويفهم الآيات والأحاديث من عنده ؛ لأنه ما عنده أهلية للاجتهاد ؛ وإنما يجب عليه أن يبقى ويدرس كتاباً كاملاً في العبادات والمعاملات على يد عالم يعرف ما هي أصوله وماهي ضوابطه من خلال التلقي والضبط ، حتى إذا مضت

عليه السنون وعرف هذا السبيل والطريق تبحر في العلم وتبحر في الأصول وعرف ما الذي خالف فيه شيخه فيما يظهر أن الصواب خلافه فأخذ بالحق وترك قول شيخه مع أنه يعتذر لشيخه بالدليل ، وحينئذ تستبين المحجة هذا هو الذي كان عليه أئمة الإسلام . فشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- قرأ مذهب الحنابلة وتتلمذ على مذهب الإمام أحمد وقعده حتى أصبح إماماً مجتهداً فيه ، وأول شيء كان طالب علم فأخذ هذا المذهب وقرأه بدليله ، ثم بعد ذلك نبغ فيه حتى أصبح حجة في المذهب يقرر ويؤصل حتى إن الإمام المرداوي -رحمه الله- في الإنصاف يذكر ويقول : واختار الشيخ ، وأصبحت له اختيارات حتى في المذهب ويرد على أصحاب الإمام أحمد ويقول لهم : أنتم تقولون : إن مذهب أحمد هذا وهذا خطأ فإن المعروف من مذهبه كذا وكذا ويرد على أصولهم ، فبلغ درجة الاجتهاد في مذهبه ، ثم بعد ذلك ارتقى إلى مرتبة أعلى وهي الاجتهاد المطلق ، فإذا كان الإنسان طالب علم ما يعامل الناس معاملة المجتهد المطلق ، بعض طلاب العلم في زماننا هذا يجلس في مجلس العالم أو يقرأ للعالم أو يسمع شريطاً للعالم وهو يريد أن يناقش هذا العالم ، ويقول قرأت في المغني وقرأت في المجموع ، أنت مقلد . إذا قرأت في المجموع والمغني فأنت مقلد ، ما ترد قول من يقعِّد وينظِّر بأصول وضوابط بقولِ مقلدٍ ، وهذا يقع حتى في علم الأسانيد وعلم الرواية حينما تأتي وتقول صححه فلان وترى شيخاً يفتي في مسألة أو يدرس في حلقة بحديث يراه

صحيحاً ثم تأتي تقول له لا ... هذا حديث ضعيف فيقول له لماذا ؟ فيقول لأن فلاناً ضعفه . أنت مقلد ، وهذا الذي يقعِّد هذا الحديث ترجح عنده أنه حسن ، وترجح عنده أنه صحيح ، فهذه أمور لا بد أن توزن بالموازين الصحيحة هناك من هو مقلد ، العامي يجب عليه أن يقلد ، وهناك من هو طالب علم وسط - بين مرتبة الاجتهاد والتقليد وهناك من بلغ درجة الاجتهاد .

ذكر هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى فليُرجع إلى مبحث التقليد والاجتهاد ، وذكرها - أيضاً - الإمام ابن القيم -رحمه الله- في أكثر من موضع من كتبه وأشار إلى هذه المراتب كلها ، حتى في الأعلام أشار -رحمه الله- إلى هذه المسألة ، وكذلك أيضاً الحافظ ابن حجر -رحمه الله- أشار إليها في الفتح ، والحافظ ابن عبدالبر -رحمه الله- في الانتقاء وغيره من الأئمة ، فعدوا هذه المسألة ، ومظانها : مسألة (الاجتهاد والترجيح) .

والذي أوصي به : في مسألة اختلاف الفتاوى - كما ورد في السؤال - أنه يأخذ بمن يوثق بدينه وعلمه ويرتضيه حجة بينه وبين الله فيأخذ بقوله ويعمل به ، وحينئذ إذا لقي الله - U - بمن يوثق بدينه وعلمه فقد لقي الله بحجة ؛ لأن الله -تعالى- قال له : { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ} وهذا سأل أهل الذكر ورجع إلى أهل العلم وأهل الذكر والتزم حده ، وأعود وأنبه على أنه ينبغي على طالب العلم أن يفرق بين مرتبة الاجتهاد ومرتبة الاتباع ،

فإذا كان في مرتبة لا تؤهله للاجتهاد فواجب عليه أن يتبع من هو أعلم ، وكذلك - أيضاً - إذا أراد أن ينتقد أو أراد أن يرجع إلى أمر ، فكم كنا مع بعض العلماء نحضر دروسهم ونسمع فتاويهم فنستعجب من بعض الأشياء وكنا نتأدب ؛ لأننا لم نبلغ مابلغوه من العلم فلما قرأنا المطولات ورجعنا إلى الأصول وجدنا ما ذكروه قد أسفرت عنه الحجج واستبانت له الأدلة من كتاب الله وسنة النبي - r - .

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يعصمنا من الزلل ، وأن يوفقنا في القول والعمل .

السؤال:

طالب العلم يجد تثبيطاً من أهله وزوجته وبعض أقاربه فما هو المعين على دفع هذه الأمور ؟

الجواب :

بسم الله ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أمابعد :

فإنه لا معين إلا الله - I - ، والله - U - إذا وفق عبده وسدده وألهمه وأرشده وجعل الآخرة أكبر همه ومبلغ علمه وغاية رغبته وسؤله ، ورزقه البصيرة التي يعرف بها الحق من الباطل والهدى من الضلال والخير من الشر ، فإن الله - I - إذا أنعم عليه بهذه النعمة سرعان ما يتجه إلى ما فيه

صلاح دينه ودنياه وآخرته ، اعلم -رحمك الله- أنه ليس هناك أعز ولا أكرم من هذا الوحي ، هذا النور الذي أوحى الله به إلى نبيه- r - ، وامتن به على أهل الشرائع من قبلنا وجعل كتابه مهيمناً على جميع الشرائع ، وهذه الرسالة خاتمة الرسالات ، وهذه الأمانة خاتمة الأمانات ليس هناك أكرم عند الله من العلم ، ولشرف هذا العلم قرنه الله بأحب الأشياء إليه فقال -سبحانه- : { يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} ما قرن بهم شيئاً ثالثاً - أبداً - إنما الإيمان والعلم ، فليس هناك أكرم على الله- U - بعد الإيمان من العلم ! وإذا عَلِمَ الإنسان أن سعادته وعزه وكرامته وشرفه ورفعته بهذا العلم ، وأقبل عليه صدق الإقبال وأحبه صدق المحبة ، وتفانة في ذلك الحب ، وذلك الإقبال فإن الله يرفع درجته في العلم أكثر ، ولذلك قالوا في الحكمة المشهورة : " من كانت له بداية محرقة كانت له نهاية مشرقة " والبداية المحرقة تبدأ من النفس ، ثم الزوجة والأولاد والإخوان والأخوات والحي والأسرة والجماعة ، ثم الناس حتى تنتهي إلى ما شاء الله- U - أن تنتهي إليه ، ويختلف الناس في هذا ، يسلط الله عليك في كل لحظة ، وفي كل حين وأنت في العلم بلاءً تبتلى به ، وهذا البلاء إما أن تعرض عنه وتتوكل على الله مقبلاً على العلم فترفع درجة ، وتزداد من الله قرباً ؛ لأنك تقدم به الثمن وصادق الحب لآيات الله- U - ، وأحاديث رسول الله- r - ، السلف الصالح-رحمهم الله- خرجوا من الديار وفارقوا الأوطان والأحبة

والإخوان ، ديار ألفوها ، ومنازل سكنوها ، وأحبة جاوروهم ، ولو عرضت عليهم أموال الدنيا ما اختاروا عنهم بديلاً ، ولا عن سبيلهم تحويلاً ؛ ولكن ما وجدوا شيئاً يسليهم عن أهلهم وذويهم وقرابتهم ووالديهم والناس جميعاً مثل العلم !! فحملوا أمانة هذا العلم ، وتغربوا ، وسافروا ولقوا المشاق ، والمتاعب ، والمصاعب ، فرأوا الموت أمام أعينهم وهم مسافرون متغربون ، وتعرضوا للمشاق والمتاعب والفاقة حتى إن بعض أهل الحديث كان يصرع من شدة الجوع حمل هموم الأمة في حفظ حديث رسول الله - r - حتى كان يغفل عن طعامه وشرابه -فنسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، أن يسبغ شآبيب رحماته على تلك القلوب الطاهرة التي حملت لهذه الأمة أزكى وأشرف وأكمل ما يحمل وهو العلم ، فإن أردت أن تسير على نهجهم ، وأن تتبع سبيلهم ، وأن تثق الثقة الكاملة بالله - U - أن الله يخلف عليك ، فمن ترك شيئاً لله - U - عوضه الله خيراً منه .

أخي في الله .. لا أدعوك إلى ترك أهلك ، ولا إلى معاداة جماعتك وزوجك لا .. إنما أعط كل ذي حقٍ حقه ، وضع الأمور في نصابها ، طالب العلم الموفق يبدأ أول شيء بحقوق نفسه ، ويعطي النفس حقها من الراحة والاستجمام ، وما فرض الله عليه تجاهها ، ثم يبدأ بمن يعول يعطي أهله من الأنس والراحة ويجعل هناك أوقاتاً منظمة للزوجة وللأولاد ، ويجعل هناك أوقاتاً معينة للجد والعلم يحس في هذه الأوقات أنه على ثغر من ثغور

الإسلام والمسلمين - خاصةً هذا الزمان - الذي قل أن تجد من يحمل للأمة أحكام شريعتها ، أو يفقه في دين ربها ويبصرها ويدلها على صلاح دينها وآخرتها ، فإذا جاءت هذه الساعات ودنت هذه اللحظات فلا الأبناء ولا البنات ولا الإخوان ولا الأخوات ولا الأهلين ولا الزوجات ، تقبل إقبالاً صادقاً على العلم وتتفرغ فيه للعلم وتعطيه كليتك حتى يفتح الله - U - عليه وهو خير الفاتحين ، هذا هو المنبغي أن يرتب الإنسان وضعه وظروفه بما يستطيع أن يحقق به ضبط العلم والقيام بالواجبات والمسئوليات .

الزوجة والأهل لهم حق معين ، والخطأ الذي يضر طالب العلم حينما يتجاوز الأهل والأولاد هذا الحد الذي هو غايتهم وكفايتهم ، فإذا تجاوزوا هذا الحد توقفهم وتقول لهم : أنتم لكم كذا وكذا إلا في الظروف المعينة والمناسبات الخاصة تعطيهم بقدر ، وتدخل السرور عليهم ، وتتسامح بعض الشيء يكون عندك نوع من التسامح هذا شيء لا يستطيع أحد أن يرسم لك فيه منهجاً ؛ لكن ثق ثقةً تامةً أن من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، كثير من طلاب العلم يعني بعض الأحيان تأتي على طالب العلم من الهموم والغموم والكروبات في أهله وولده ، ويحمل مثل الجبال هموماً لا يعلمها إلا الله ، والله إنها تتبدد كالريح السافية ؛ لأن الله تولى أمره خاصةً إذا كان كثير التلاوة للقرآن كثير الذكر لله كثير الاعتصام بالله قوي اليقين في الله ما نزل به شيء إلا أنزله بباب الله

فإن الله يكفيه ، وتجد طالب علم مقصراً في ذكر الله - U - ، مقصراً في الطاعات ينشغل كثيراً بالعلم انشغالاً جافاً عن غذاء روحه وطمأنينة قلبه ، فتجد الهموم تقسى عليه ؛ لأن هذه الهموم درجات لطالب العلم فالذي يكون على درجة من الصلاح والخير ، وكلما تعلم سنة طبقها والتزمها وعمل بها تجد أثرها على سلوكه وعلى تصرفاته وعلى أهله ؛ لأن الله - I - يجعل للعبد المؤمن الصالح التقي النقي وداً في القلوب كما قال - تعالى - : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمَانُ وُدًّا} وهذا الود هو الذي يكون مفتاح كثير من الخير على العبد في أهله وولده وبين الناس ، فالمقصود أنه ينبغي على طالب العلم ألا يجعل أهله بينه وبين الله ، ويكون من الذين شغلتهم أموالهم وأهلوهم عن طاعة الله ، فإن الله عتب على أقوام تخلفوا عن النبي - r - في ساعة الخير والبر في الجهاد في سبيل الله ، وقالوا : شغلتنا أموالنا وأهلونا ، فانشغلوا عن خيرٍ عظيم وثوابٍ كريم ، فلا ينبغي للمسلم أن يجعل أهله بينه وبين الله - U - بل عليه أن يجعل أهله وراء ظهره ، وأن يجعل الآخرة نصب عينيه ، وأن يتولى الله -سبحانه- ، ومن يتولى الله ويستكفي الله - U - ما أهمه وأغمه كفاه الله وحماه .

نسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا ممن تولاه ، وأحبه صدق المحبة فتأذن له بحبه ورضاه - .

السؤال :

إذا أراد طالب العلم أن يقرأ كتب الفقه فما المنهجية في ذلك ؟

الجواب :

بسم الله ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أمابعد :

الله المستعان لو نجلس إلى الفجر في منهجية الفقه ما يكفي ! ، الفقه علم عظيم ليس بالأمر الهين والمنهجية في قراءة المتون والشروح والمطولات يعني الكلام عليها متشعب ؛ لكن على كل حال طبعاً :

أولاً : لابد من متن يقرأه طالب العلم في الفقه .

ثانياً : لابد من شيخ يضبط ذلك المتن ويعرف دليل مسائله من الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم والأدلة العقلية المبنية على الأدلة النقلية ، فإذا وُجد المتن المناسب والعالم الذي ضبط الفقه وضبط ذلك المتن الشيخ الذي تريد أن تقرأ عليه إسأله هل قرأت هذا المتن على أحد هل عنده إجازة هل اتصل سنده ما تقرأ لكل واحد كل من هب ودب ما يصلح هذا.

كذلك - أيضاً - ينبغي أن يكون شيخاً واحداً ما تقرأ كتاب العبادات على شيخ والمعاملات على شيخ ؛ السبب أن الفقه له أدلة فإذا كان الشيخ الأول يدرسك بطريقة وبأدلة أو رجح بطريقة فالآخر لا يتفق معه في نفس الطريقة ، وهذا الذي جعل العلماء -رحمهم الله- يدونون علم

الأصول حتى لا يصبح الشخص متلاعباً بالأدلة فتارة يرى المفهوم حجة في العبادات ولا يراه حجة في المعاملات ، ومن هنا كانوا يقولون : من أقوى ما تكون دراسة الفقه إذا درس معه الحديث على شيخ واحد والتفسير فيصبح استنباطه لأدلة الكتاب والسُّنة على منهج واحد وطريقة واحدة لا تتعارض ولا تتناقض ، ما الذي جعل العلماء يجعلون أصول الفقه عند الحنابلة ، المالكية ، والشافعية ، والحنفية -رحمة الله عليهم- ، والظاهرية لماذا دون ؟ يعني الإمام ابن حزم -رحمة الله عليه- من أغير الناس على الكتاب والسُّنة كغيره من العلماء والأئمة ؛ ولكن ألف في الأصول ؛ لأن الفهم له طريقة معينة فلابد أن تفهم ، إذا كان تقرأ على الشيخ زيد مثلاً كتاب الصلاة ، ثم تقرأ على الآخر كتاب الزكاة طيب الشيخ زيد يرجح أن المفهوم حجة ويقرر لك فيما بينك وبين الله أنك تتعبد بمسائل مبنية على دليل المفهوم ، ثم جاءك الشيخ الآخر وإذا به لا يرى هذا المفهوم حجة ويبطل مسائل فيها دليل المفهوم فكيف يكون الدليل هنا حجة وهنا ليس بحجة هذا الذي جعل العلماء يقولون : أنه لابد من القراءة على مذهب واحد ؛ لكن لا يتعصب له الإنسان من أجل ما تضطرب عنده الموازين وتختل يقرأ على مذهب بالدليل ويكون العالم الذي يقرؤه ضابطاً للأدلة .

فإذا ضبط المسائل وضبط أدلتها ، يرتقي بعد ذلك إلى القول المخالف ، ثم وجه المخالفة ، ثم الترجيح حتى يصل إلى درجة الاجتهاد ، ولذلك ما من

عالمٍ ولا إمام ويصل إلى درجة الاجتهاد إلاَّ بعد أن تمذهب على مذهب ، فحول العلماء والأئمة كلهم أخذوا بمذهب ، نجد مثلاً الحافظ ابن عبدالبر -رحمه الله- كان مالكياً وقرأ مذهب الإمام مالك ، ثم اجتهد في المذهب ونبغ فيه حتى أصبح من أئمته ، ثم خرج حتى أصبح إماماً مجتهداً له أصوله ، كذلك الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية قرأ في مذهب الحنابلة وكان يقول : وبه قال أصحابنا .. ، بل في بعض الأحيان يقول : ونُسب هذا القول إلى إمامنا والصحيح أنه لا يقول بهذا ، ويجتهد حتى في داخل المذهب ويناقش أصحاب المذهب نفسه ، كذلك - أيضاً - الحافظ ابن حجر -رحمه الله- كان شافعي المذهب ، الإمام النووي كلهم كانوا على مذهب ؛ لكن لا يتعصب الإنسان لقول يصادم حجة من كتاب الله وسنة النبي- r - ، فإذاً قضية المذهبية ضبط للأصول فإذا غّلي فيها غلواً شنيعاً حتى تصبح كأنها حجة وبرهان لا ، وإذا احتقرت احتقاراً كاملاً فأصبح الشخص مذبذباً لا ضابط له ولا أصل لم يجد فقهاً ولذلك انظر إلى الذي يتفقه على أصلٍ واحد وانظر إلى الذي ليس له أصل يتفقه عليه ، وانظر إلى طالب العلم الذي يدرس بدراسة متأنية راعى فيها ضوابط العلماء- رحمهم الله- بالتسلسل والتدرج والذي يقرأ بدون هذا التسلسل وهذا التدرج تجد البون بينهما بوناً شاسعاً ، وتجد الذي يضبط الفقه ضبطاً دقيقاً يعطيك القول في العبادة ، ثم تسأله مباشرة عن مسألة في البيع فيجيبك ، ثم تسأله عن مسألة في آخر الفقه في القضاء والأيمان والنذور فيجيبك ،

العلوم عنده مرتبة منظمة أخذت على شيخ بضابط بأصل واضح يعرف ما الذي له وما الذي عليه ، فكانوا يقولون : فقه الأوائل كالبناء المستحكم لماذا تجد في بعض الأحيان عند بعض الفقهاء أقوالاً غريبة يكون له قول غريب مثلاً في المعاملات ؟

السبب أنه لما دخلوا في هذا الباب كانوا لاينظرون إلى آية آو حديث كانوا يجمعون أحاديث الباب وأدلة الباب ، ولذلك عندهم في كل باب ما يسمونه بالأصل ، والأصل هو الآية والحديث الذي تفرعت عليه مسائل الباب فيدرسون هذا الأصل ، إذا كان عام ما الذي خصصه ، وإن كان مطلق ما الذي قيده ، وإذا كان له محترزات وقيود واستدل بالإجماع أو بأصول شرعية وقواعد شرعية ضبطوا هذه الأصول وحرروها ، فتجد القول في مسألة غريباً ؛ لكن السبب أنهم ضبطوا ذلك بأصلٍ واحد فلم يختل عندهم هذا الأصل وصاروا فيه بمنهج واحد فتجدهم يضبطونه ، وفي بعض الأحيان تجد الشخص يقرأ المسألة يقول هذا القول غريب ما له دليل لا من كتاب ولا من السنة ؛ لأنه يريد دليلاً على المسألة بعينها .

مثلاً : عند المالكية -رحمة الله عليهم- قال مالك في مسألة المساقاة : إذا كان الزرع تتبع الأرض التي فيها زرع في حدود الثلث وما زاد عن الثلث فلا يتبع ، يأتي شخص ويقول : انظر كيف الرأي ثلث ما الدليل على الثلث وغير الثلث ، فتجد الإمام مالك -رحمه الله- لمّا سمع قول النبي- r - لسعد : ((الثلث والثلث كثير)) قال : العبرة عندي بعموم اللفظ فلا

بخصوص السبب ، اللفظ يقول : ((الثلث كثير)) فهو يريد أن يمنعه من الوصية بالكثير فنطق بالثلث فإذا كان الذي يتبعه يسيراً اغتفر ، وإذا كان كثيراً لم يغتفر ما الضابط الذي يفرق بين الكثير وغيره؟ قال النبي- r - : ((الثلث والثلث كثير)) انظر هذه مسألة في المساقاة في بطون مسائل الإجارات عند المالكية أنها نوع من الإجارات المجهولة ، تأتي إلى مسألة في أوائل العبادات المسح على الخفين قال : إذا كان الخف مخرق وكانت فيه خروق تصل إلى ثلث الخف أثرت ، وأما إذا كانت دون الثلث لم تؤثر ، أخذ أصلاً عاماً وضابطاً عاماً ما اختلف عنده لا في عبادة ولا في معاملة طيب إذا جاء واحد ويقرأ وكان يرجح ((الثلث والثلث كثير)) وجاء في مسألة العبادات وقرأت عليه على أن الثلث وأخذت ضابط الثلث في العبادات على هذا الأساس ، ثم قرأت باب الأنكحة أو باب البيوع على شيخ آخر لا يرى الثلث ولا يرى الثلث كثيراً كيف يكون الحال ؟ هنا ترى نص حديث رسول الله- r - حجة وهنا لا تراه حجة ، هنا تختل الموازين ((يفقه في الدين)) يأخذ أصلاً ويسير عليه وينضبط به أنا أقول طبعاً هذا الحديث فيه نظر ؛ لكن نقول أنظروا إلى استنباط العلماء هو يقول : بدل ما اجعل ضابط للقليل والكثير باجتهادٍ من عندي أجعل ضابط ورد الشرع به وعندهم الاستئناس بالوارد .

تجد مثلاً عند الحنفية -رحمهم الله- مثلاً تارة يقولون : إن العبرة بالاثنين للتكرار فإذا وصل إلى الثلاث خلاص صدق عليه أنه متكرر إذا جاء يعلم

الصيد الكلب الذي -أكرمكم الله- يعلم الصيد طبعاً الشرط أنك تدعوه يأتيك تصيح عليه صيحة بينك وبينه يعرفها تشليه فينشلي فيشمل هذا أنك تصيح عليه صيحة فيأتي ، ثم تصيح عليه صيحة تحرشه على الفريسة يستجيب إذا كرر هذا مرتين عند الحنفية ناديته فجاء ثم ناديته فجاء ثم حرشته مرة فأجاب ، ثم حرشته المرة الثانية فاستجاب فجأه ظهر لك صيد فحرشته بعد المرة الثانية فذهب وأمسك بالصيد وجاء به ميتاً حل أكله ؛ لأنه معلم خلاص صدق عليه أنه متعلم بعد المرتين فجعلوا أن المرة الثانية تقول له في المرة الثانية دخل في التعليم ، بناءً على هذا صار أصل عندهم ، التكرار في العادة هذا بالنسبة للصيد ، جاءوا في العادة المرأة التي أصابها الحيض إذا كان المرأة عادها ستة أيام وانضبطت ستة أيام ، بعد سنة ، سنتين ازداد يوماً فوجئت يوم من الأيام وأصبح الحيض سبعة أيام في الشهر الأول تحسب ستة واليوم السابع استحاضه تصوم وتصلي ، في الشهر الثاني إذا جاءها في الشهر الثاني وعادوها ثبتت عادها بالشهر الثاني وانتقلت إلى كوها معتادة بسبع لا بستٍ ، إذاً ضبطوا هذا الأصل عبادةً ومعاملةً .

في بعض الفقهاء قالوا : لا الجمهور عندهم أنه لابد من الثلاثة ، لابد من الثلاث في مسألة العادة ولايحكم بكوها حائض انتقلت عادها من عدد إلى عدد إلا إذا تكررت ثلاثة أشهر بمعنى واحد وعدد واحد ، بناءً على ذلك الفرق أن الحنفية ينقلوها ، والجمهور لا ينقلوها ، لو أنه قرأ باب العبادات

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

على شيخ يرجح الاثنين ، وتعبد الله - U - بهذا ثم جاء في باب الصيد على شيخ يرجح الثلاثة إذاً تختل هذا فقط في أمثلة بسيطة فكيف بالأدلة والنصوص ووجه الاستنباط هناك أمور في أصول الفقه تحار فيها العقول يعني يمكن المسألة من المبحث ، أو الفرع من المسألة من المبحث تجد فيها أصلاً يحار فيه العقل ، فهذه أمور ليست بالهينة لا يظن أحد أن الفقه لقمه سائغة مسائل وأنه إذا جـــاء وقرأ باباً أو كتاباً أنه انتهى وأصبح فقيهاً أبداً وقد يقرأ مثلاً كتاب النكاح ، كتاب الصيد ، كتاب الأيمان ، كتاب النذور ولكنه ليس بفقيه ، ولو قرأه بالمذاهب الأربعة بأدلتها وردودها والمنقاشات والنقاش التي وقعت فيها فليس بفقيه ؛ لأنه لن يستطيع أن يجد الشريعة مقطعة الأوصال ؛ وإنما يجدها تامة كاملة مترابطة الأجزاء .

ومن هنا تجد القصور فيمن يأخذ حديثاً في مسألة لا ينظر معه إلى أحاديث أخر ، ولا ينظر معه إلى أصول عامة وقواعد عامة في البيوع وفي المسألة كل هذا يرجع إلى جمع النصوص ، ولذلك كانوا يستحبون في قراءة الفقه أن يجمع في قراءة الفقه والحديث والتفسير على أصلٍ واحد ، ثم بعد ذلك يتوسع ولا يتعصب ، فإذا قرأ على هذا الأصل وكان الأصل مقعداً صحيحاً ، وجاءه غيره أدرك فضل الله عليه بضبط ذلك المأصل وعرف قيمة ما وهبه الله - U - ، وإن كان الذي قرأه ضعيفاً ووجد ما هو أقوى منه رجع إلى الحق فالرجوع إلى الحق فضيلة وفريضة.

وبناءً على ذلك لابد :

أولاً : أن تكون قراءة الفقه باختصار أن تكون قراءة الفقه مرتبه على منهج السلف بقراءة المتون المختصرة ، ثم أدلتها ، ثم يتوسع طالب العلم بعد ذلك ، ويشترط أن يقرأ على شيخ واحد وعلى أصلٍ واحد حتى لايتذبذب ولا يتناقض .

الأمر الثاني في قراءة الفقه : أن تكون المنهجية في القراءة طبعاً هذا أول شيء المنهجية في اختيار الفقه وطريقة قراءته ، ثم بعد ذلك على ذلك الشيخ أن يُعلم طالب الفقه التصورات والأحكام ، فلا ينتقل إلى حكم مسألة حتى يتم تصورها ، لا تقرأ مسألة بأدلتها وردودها قبل أن تتصورها أول شيء تصور المسألة ، والتصورات تحتاج إلى معرفة كتب اللغة ، وكتب المصطلحات المتخصصة ، ثم بعد ذلك بعد أن يضبط هذه الأشياء يتصور المسائل ، ثم بعد أن يتصور المسائل يتصور أحكامها وهذا يحتاج معه إلى مقدمات في أصول الفقه ويحتاج معه إلى تبيسط بعض القواعد الفقهيه والأصول العامة في الشريعة حتى يفهم بها ، ومما يعين على ضبط الفقه أن طالب العلم دائماً يحرص على قلة المسائل ، أخرج من درسك وعندك ثلاث أو أربع مسائل ولا تشتت نفسك ، ثم اجلس طيلة الأسبوع أو طيلة اليوم وأنت تكرر هذه الثلاث مسائل حتى تمل يعني طلاب العلم اليوم بمجرد ما يجلس في الدرس ويفهم المسألة ويتصورها يجد أنه قد انتهى ! أبداً أقرأ المسألة قبل جلوسك في مجلس العلم وأثناء جلوسك في مجلس العلم وذاكر فيها ، ثم بعد أن ترجع راجع وراجع إذا وصلت درجة الملل

ستجلس يوم تجلس للفتوى والسؤال وأنت منهك البدن مشتت الذهن قل أن تُخطِئ في حرفٍ واحد من توفيق الله- U - ؛ لأن من كانت له بداية محرقة من كان جد واجتهد في تحصيل هذا العلم وتعب وجلس ، وكانوا يجلسون من بعد صلاة الفجر إلى صلاة الظهر وهم يكررون أربع مسائل أو خمس مسائل في الفقه وبهذا يضبط العلم ، أما الشخص يريد مثلاً في العطلة الصيفية أن ينتهي من كتاب العبادات وإن كان تيسر معه المعاملات شيء طيب ، وإن كان مع الفقه الأصول فأطيب وإن لَحّقَ بهذا التفسير والعقيدة.. ما يحصل هذا ((إن المنبت لا ظهراً أبقى ولا أرضا قطع)) - يا أخي في الله - ليست القضية أن يخرج الإنسان إلى الناس ؛ ولكن القضية أن يرضي رب الجنة والناس وأن ينصح لدين أمة محمد- r - ، فإذا وقف فقيهاً وقف على أرض ثابتة فجعل الله له النور فيما يقول والحق الذي يبلغه من رسالة الله- U - لعباده.

فنسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، أن يلهمنا السداد والصواب ، إنه ولي ذلك والقادر عليه –

السؤال :

فضيلة الشيخ : استفدنا كثيرا جزاك الله خيرا من هذه الدورة ، ولكن ما الطريق والسبيل إلى ضبط هذه المسائل . وجزاك الله خيراً ؟

الجواب :

بسم الله . الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ؛ أما بعد :

فضبط العلم وإتقان العلم أمر مهم لطالب العلم ، وكل طالب العلم يأخذ الأحكام الشرعية مبنيّة على أدلّتها من الكتاب والسنّة وإجماع العلماء -رحمهم الله- والنّظر الصحيح ، ويحسن ترتيبها وإتقانها ومراجعتها وفهمها لاشكّ أنه سيبارك له في العلم -بإذن الله تعالى- . فالذي أوصي به بعد الإخلاص لله - U - أن يحرص طالب العلم على وقته ، وهذه الوصية كان العلماء -رحمهم الله- والأئمة يشدّدون فيها ، فرأس مال طالب العلم في الدورات وفي الدروس العلميّة أن يحفظ وقته بعده ، إذا وجدت طالب العلم يأخذ العلم ويرجع إلى بيته ينكبّ عليه يحسّ أن عنده أمانة وعنده مسؤولية وأنه مسؤول عن هذا العلم بورك له في وقته ، وسيرى بركة ذلك ، وسيرى كيف أن الله - I - سيخرجه للأمة بالعلم النافع وكيف سيضع له القبول وكيف يتولى الله أمره ؛ لماذا ؟ لأنه إذا قدم الجد والاجتهاد صدق مع الله - U - ، ولا يكون ذلك إلا بفضل الله ثم معرفة قيمة هذه النصوص من الكتاب والسنة وكلام العلماء ، فالفضل لله ثم لأئمة الإسلام ودواوين العلم -نسأل الله بعزته وجلاله أن ينور قبورهم وأن يرفع درجاتهم وأن يجزيهم عن أمة محمد - r - خير الجزاء- لا تضع

وقتك وطالب العلم يقوم من الدورات من الدروس العلمية لكي يأخذ الكتاب أو الورقة التي سجّل فيها الملاحظات فيرمي كتابه لكي يسهر مع هذا ويجلس مع هذا ويباسط هذا فليبكِ على نفسه، ووالله، ليمرن عليه يوم يبكي بكاء الندم والحرقة على التفريط في هذا العلم النافع، والله، لا أسعد منك ولا أعز منك وأنت تسمع كتاب الله وسنة النبي - r - ، وليس هناك أشرف من هذا العلم الذي بين يديك ، ومن ظن أن هناك أعز منه في علمه فقد ازدرى نعمة الله - U - عليه .

اعرف قيمة هذا العلم واعلم أنه أعز ما تمضي فيه وقتك ، الإمام ابن عقيل الحنبلي الإمام الذي كان آية يقال : إن كتابه الفنون كان أكثر من خمسمائة مجلد ، هذا العالم لا يوجد فن إلا وخاض فيه من سعة علمه ، يذكر عنه ابن الجوزي أنه قال : إني لا أحل لنفسي يعني أمر محرم على نفسه هذا من باب المبالغة على النفس لما شعر بالمسؤولية عن الأمة إني لا أحلّ لنفسي أن تذهب مني لحظة دون أن أكون في علم يعني بدون أن أستفيد منها في العلم، فلو ذهب سمعي فلو كَلّ سمعي وبصري ويدي عن كتابة العلم أشغلت فكري حتى أجد الفائدة يعني أشغلت فكري للتّفكر في العلم حتى أجد الفائدة فأدوّنها ؛ نفعاً للأمة ، وإني قد بلغت عشرة ثمانين يعني دخل في الثمانينات جاوز الثمانين، وأنا أشد طلبا للعلم وحبا له مني في العشرين ، عمره فوق الثمانين والنشوة والقوة والحماس للعلم أكثر مما

وجده وعمره في العشرين ؛ لأن الله بارك له ، لكن بالجد والاجتهاد طالب العلم الذي لا يراجع العلم هذا مسكين ، يستكثر من حجج الله عليه يورد نفسه الموارد .

أخي الكريم رتّب وقتك ، نظّم وقتك ، واعلم أنّ هذا العلم يحفظ في الليل والنهار، ويراجع وتكرّس جهدك عليه .

المطلوب: أوّلا : أن تعرف المسائل، كل مسألة تكتبها، تضع لها عنوانها، ثم تضع معنى العبارة في المسألة، ثم حكمها، ثم الدليل، إن كانت خلافيّة قلت على الراجح حتى تفهم إذا خالفك أحد ما تنكر عليه ، وتبيّن لك دليل، المهم أن يكون عندك حكم بالدليل حتى إذا وقفت بين يدي الله في هذا الفقه ؛ لماذا تعمل وتقول ؟ تقول : قلتها يارب في كتابك وقال نبيك - r - تذكر حجة ودليلاً، مادام عندك الحجة والدليل مستنبطة من الكتاب والسنة فأنت على هدى وعلى نور.

إذا ضبطت المسائل رتبت المسائل إذا عندك قوة لفهم المسائل والردود والمناقشات أنا أنصحك أن لا تدخل في الخلافات، طلاب العلم المبتدئون لا يدخلون في الخلافات، وبعض طلاب العلم لا يشعر بنفسه إلا إذا كان الدرس فيه خلاف، وقالوا وقلنا وردود ومناقشات عنده يحس أنه تعلم لا أول شيء تأخذ الأساس، وتضبطه بدليله ، وتأخذ على قول واحد ، وتضبط بالدليل، اقرأ لكتاب شيخ الإسلام -رحمه الله- وهو يشرح العمدة حينما كان على مذهب الإمام أحمد -رحمه الله- مجتهدا في المذهب، واقرأ له في مجموع الفتاوى، تجد أنه قد أخذ العلم بالتدرج، ضبط أقوال الفقهاء وحرر مقاصدهم وأدلتهم ثم بعد ذلك خرج للأمة مجتهدا .

فطالب العلم الذي يدخل للخلافات والردود والمناقشات يتشتّت ، ولذلك ينبغي على طالب العلم دائما حتى في المحاضرات لما تحضر لأحد احرص على أنك تكون مركّزا ولا تشغل من يحاضر لك بالاعتراضات بالمناقشات تضيع وقتك وتضيع على الطلاب الفائدة والعائدة ، هذا يذهب الكثير من بركة العلم.

اترك الشيخ يشرح ويذكر مسألته بالدليل إذا ارتضى قولا للسلف بالدليل يقرر المسألة على ما ظهر له ويتبين له إن وجدت من هو أعلم منه وأردت أن تأخذ عنه فلا بأس لكن من حيث الأصل تتقيد ولا تتشتت. إذا تلخيص الدروس وهذا يكون ببيان صورة المسألة ، أمثلة المسألة ، حكم المسألة ، دليل المسألة ، ثم تضع عندك جدولا عن كتاب الصوم : ترتّب أبوابه ترتّب مسائله ، ثمّ تبدأ تراجع ، هذا الملخص عند العلماء شيء لطالب العلم يعتبر أصلاً، فإذا بدأ بمتن مدعم بالدليل وأخذ يحفظ ويركز سيفتح الله عليه بعد ذلك ، ويكون المنطلق يكون هو الأساس ، وعلى هذا الأساس يبني ، وعندها يكون كالذي جعل له أصلا وفرّع عليه

، ما تلتبس عنده المسائل ، يعرف أن هذه المسألة مشى عليها لدليل ، وأنه خالفها لدليل ، وعندها يفتح عليه في الفهم ، ويفتح عليه، لكن معلومات مرتبة ومنظمة .

أما إذا دخل في المناقشات والردود ودون تأصيل ودون ترتيب فما مَثَل هذا إلا كشخص أعطي الدرر والجواهر والكنوز ولو جلس عند أعلم الناس ولا يرتّب أفكاره فسيضيّع عليه علمه، مثل الشخص الذي يأخذ الجواهر والدرر ويضعها في المستودع، إن وضعها مرتبة في أي وقت يحتاج إلى أي شيء يذهب إليه بسرعة ويعرف أين مكانه ولا يخطئ غالبا -بإذن الله- . والعكس إذا جاءت المعلومات هذه ردود ومناقشات وأقوال وأدلة إذا بها تدخل فإذا به يوما من الأيام يطلب منه شيء يذهب إلى غيره ، ويعيا في وجود ما يريد ، هذا كمثال والله ضرب لنا المثل ، ولذلك حرص العلماء على القواعد والأصول والاختصار في البداية .

أنا أوصي بهذا طلاب العلم في كل الدورات والدروس إذا بدأ باختصار وتركيز فبإذن الله سيفتح الله عليه وأهم شيء الحرص على الوقت والمراجعة . والله -تعالى- أعلم .

السؤال :

فضيلة الشيخ : قد يشكو كثير من طلاب العلم عند إقبالهم على طلبه من وجود المضايقات والهموم والمعوقات ؛ ولذلك يشعر البعض بانقطاعه عن العبادة وإقباله على العلم فهل من توجيه تزيل به هذا الإشكال . وجزاكم الله خيرا ؟

الجواب :

بسم الله . الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ؛ أما بعد :

فإن الله ابتلى عبده المؤمن في هذه الدنيا ، فهو من غم إلى غم ومن همّ إلى همّ ، ومن كرب إلى كرب ، حتى يقف على آخر أعتاب هذه الدنيا ، وقد رفعت درجته ، وعظمت عند الله مترلته، وكُفّرت ذنوبه وخطاياه ، فكم من مهموم مغموم خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وكم من مهموم مغموم رفعت له درجاته في الفردوس من رضوان الله - U - عليه .

هذه الدنيا دار ابتلاء ، ودار مشقة وعناء ، وهي دار الدناءة ، يرفع فيها الوضيع ، ويوضع فيها الرفيع، ويكرم فيها الفاجر، ويهان فيها البر، ويؤذى فيها ولي الله ، فلم يجعلها الله لأوليائه ولا جعلها لأصفيائه ، ولا

جعلها لأحبابه ؛ إذ يقول r : ((لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر فيها شربة ماء)) .

فجعلها الله ابتلاء لأوليائه ، تضيق عليهم بشدائدها ، وتؤذيهم بفتنها ومحنها ، ولا يزال العبد الصابر المؤمن قد وجه وجهه إلى ربه ، وأسلم قلبه لخالقه ، متوكلا على الله ، مفوضا أمره إلى الله، لسان حاله ومقاله : حسبنا الله ، قد استكفى بالله ، فنعم المولى ونعم النصير .

هل قرأت في سيرة النبي - r - ، هل رأيته بأبي وأمي -صلوات الله وسلامه عليه- منذ أن أكرم بالرسالة ، فقد صُبّت عليه البلايا ، وأهين في طاعة الله ومرضات الله ، ورأى شدائد الدنيا وأهوالها، وكان كل ذلك كان فيه عليه الصلاة والسلام أصدق ما يكون إيمانا ، وأثبت ما يكون جنانا ، وأوضح ما يكون سبيلا ومنهجا وحجة وبرهانا ، لم يضعف عليه الصلاة والسلام في طاعة ربه ، ولم يجبن ولم يخف ، فما كان عليه الصلاة والسلام إلا ثابت الجنان ، سديد اللسان موفقا من العظيم الرحمن - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه- ، حتى رأى بأم عينيه عمه مجندلا على الأرض قد بقرت بطنه ، وسالت دماؤه ، وقُطعت أشلاؤه ، ورأى عليه الصلاة والسلام من الشدائد والمصائب حتى فقد البنات وفقد البنين - عليه الصلاة والسلام- وما زاده ذلك إلا حبا لله ورضوانا عن الله ، وما تأمل مسلم ذلك كله فرأى سيرة النبي - r - في جميع شؤونه وأحواله إلا

وجده من كرب إلى كرب ، ومن خَطْب إلى خَطْب ، إن دخل إلى بيته رأى الابتلاء من ربه ، وإن خرج إلى الناس ابتلي في نفسه وفي أصحابه وفي أحبابه ؛ كل ذلك حكمة من الله - Y - حتى وقف على آخر أعتاب هذه الدنيا ، وقد دنت ساعة الفراق ، فصاحت بنته : واكرب أباه! فقال -بأبي وأمي صلوات الله وسلامه عليه- : ((لا كرب على أبيك بعد اليوم)) .

الكرب في هذه الدنيا سنة من الله للأولياء والأتقياء والصلحاء تعضهم الدنيا فيهان ويذل ويضيق عليهم في أمورهم فلا يزيدهم ذلك إلا ثباتا ويقينا وصدقا .

نعم إنها الفتن والمحن التي تظهر بر البر وفجور الفاجر، تظهر صدق الصادقين، وثبات الموقنين، ورباط المرابطين، فتن تشع بها أنوار الإيمان في قلوب الموقنين المحسنين -جعلنا الله وإياكم منهم برحمته وهو أرحم الراحمين-.

أخي في الله أعظم نعمة من الله على العبد أن يفوض أمره إلى الله ، وأن يكون عنده اليقين أن أزمّة الأمور كلها بيد الله ، وأن الأمر كله لله ، وأن الله يغلب ولا يغلب ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وأن الدنيا بقضها وقضيضها وكثيرها وقليلها لا تزن عند الله جناح بعوضة ، وأن كل ما

يرى من فجور الفجار واعتداء الأشرار على الأخيار وتسلطهم على الصفوة الأبرار، وما يرى هو في طلبه العلم من ضيق الحال وسوء الحال كله ينتهي به إلى رحمة ذي العزة والجلال .

من هذه البلايا خرج الصادقون بصدقهم ، من هذه البلايا خرج الموقنون والمحسنون بثباتهم ، أي شيء تشتكيه هل قرأت أو رأيت أو نظرت ما مر بسلفك الصالح ، ليتك تعلم هذه الكتب التي بين يديك ، وهذه الحروف التي سطرت أمام عينيك، ليتك تعلم كيف سطرت ؟! ومن الذي سطرها ؟! وما الذي رآه من الشدائد والأهوال حتى إن الواحد منهم كان غريبا عن أهله غريبا عن وطنه لكي يحفظ حديث رسول الله - r - الذي بين يديك ، وكان الرجل منهم يتروي عن الدنيا وفتنها ومحنها لكي يبلغك آية أو حديثا أو حكما شرعيا ، فيا لله ، من أمة رأت في طلبها للعلم الشدائد بحق ، كان الرجل منهم يرى الموت أمام عينيه ، ولربما وجد الشدائد في نفسه وفي حاله ، أما أنت اليوم فآكل شارب ، آمن في سربك ، معافا في بدنك ، عندك قوت يومك .

أخي في الله في أي لحظة تستطيع أن تضيء المصباح فيشع بيتك نورا ، وكان السلف يضيء الواحد منهم الفتيلة أو يشعل الشعلة فلا يجد إلا ما يكتب به الكلمة أو الكلمتين ثم تنطفئ ، ثم من الذي يجد هذه الشعث ،

وأنت اليوم تخط بالأقلام الملونة وتفعل ما تشاء والصحف بين يديك وكان الرجل منهم لا يجد مدادا يمد به قلمه حتى يكتب .

أخي في الله أي نعمة ترفل فيها ، وأي منة تجدها حتى إن العلم أصبح بين يديك نائما على فراشك، تستمع إلى مسجلك فتسمع الأحاديث والعلوم ، وتسمع ما لم يخطر لك على بال ، أي نعمة ستقف بين يدي الله وتحاسب عنها.

يا طالب العلم دع الهموم عنك جانباوانظر إلى سعة رحمة الله عليك وفضله وجميل منته لديك، واعقد العزم ، وتوكل على الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم .

اترك عنك هذا التخاذل والتباطل والضعف ، واعلم أنه إن نزلت بك بلايا لن تساوي شيئا مما مر بالأولين، وأنها إذا نزلت بك لن تكون شيئا أمام الأنبياء والصديقين ، فارفع نفسك إلى تلك الصفوة المجتباة ، واعقد العزم على أن تثبت في هذه الفتن وهذه المحن ، وتستمر في كتابة العلم وطلب العلم وتصبر على همك وغمك لعل الله أن يجعل لك فرجا ومخرجا .

والله ، ثم والله ، لن ترى في هذا العلم إلا ما تقر به عينك في دينك ودنياك وأخراك إن صدقت مع الله ، وصبرت واحتسبت الأجر عند الله ، فإن هذا العلم عواقبه حميدة ، ونهاياته كريمة ونسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن يجعلنا وإياكم ذلك الرجل .

أوصيك أخي في الله :

أولا : أن تكثر من تلاوة القرآن مع التدبر، فإنها تقوي القلوب في الفتن والمحن ؛ خاصة في طلب العلم ، وتجعل لك وردا من الليل لا تتركه .

ثانيا : أن تكثر من الدعاء أن الله يثبتك على طاعته ، وأن يصرف عنك الفتن ما ظهر منها وما بطن .

ثالثا : استشعار نعمة الله عليك ، تحس أنك أسعد الناس ، من هذا الذي جلس بين يديك فجلس بين يديك كتاب من كتب مشايخ الإسلام وأئمة الإسلام بين يديك ، كتب يجدها في أي ساعة يأخذ كتاب من شاء من هؤلاء العلماء ، فاحمد نعمة الله - U - عليك ، وحس أنك في نعمة عظيمة ، المشكلة قل أن تجد طالب علم يشكر نعمة الله عليه اليوم ، وتجد الواحد منهم يقول نريد الشيخ أن يجلس معنا أربعاً وعشرين ساعة وهو لا يستطيع أن يشكر حتى لو جلس معه الشيخ ربع ساعة قل أن يقوم من

مجلس فيقول : الحمد لله والشكر لله على هذه الربع ساعة ، إن الله تأذن بالزيادة لمن شكر، فاشكر الله حتى يبارك الله لك ، واعرف نعمة الله - U - عليك إذا خطت يدك أو سمعت أذنك أو نظرت عينك حتى تحس أنك في نعمة فتحافظ عليها ، وإياك وأن تخذل أو تضعف ، وأكثر من الدعاء ، وصحبة الصالحين ، وقراءة سيرة العلماء العاملين .

نسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن يصرف عنا وعنكم الفتن والمحن ما ظهر منها وما بطن، اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، اللهم إنا نسألك إيمانا كاملا ، ويقينا صادقا ، وعلما نافعا ، اللهم خذ بنواصينا إلى ما يرضيك عنا ، اللهم خذ بنواصينا إلى ما يرضيك عنا، اللهم وفقنا لما تحب وترضى ، وألهمنا البر والتقوى ، واجعلنا من أئمة الهدى والموفقين للرضى ، يا من جل وعلا ، لا إله إلا أنت سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، والحمد لله رب العالمين .

السؤال :

فضيلة الشيخ : كيف تكون همتي صادقة في طلبي للعلم فلا أتشتت في الشواغل والمشاغل التي تضعفني في طلبي وما هي الأمور التي تعين على حصول المقصود وبلوغ الغاية والهدف المنشود جزيتم خيرا ؟

الجواب :

بسم الله . الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ؛ أما بعد :

فإن أعظم عطية يعطيها الله - U - لعبده أن يوفقه للخير، وهذا التوفيق للخير إذا صحبه صدق العزيمة، والعزيمة على الرشد، فكان من أهل العزيمة على الرشد فقد أفلح وأنجح، وربحت تجارته عند الله - U - ، ولذلك من الناس من يعرف الخير ولكن ليست عنده عزيمة على الخير، كم من أناس يعلمون فضل قيام الليل فمن هذا الذي يعمل بعلمه فيقوم الليل؟ وكم من أناس يعلمون فضل التسبيح والتحميد والاستغفار وتلاوة القرآن فكم من ساعات عمر لهم أمضوها في هذه الباقيات الصالحات والأعمال والطاعات كل ذلك بسبب حرمانهم التوفيق وعدم وجود العزيمة على الرشد، ولذلك يسأل العبد ربه أن يرزقه عزيمة على الرشد، ويسأل العبد ربه أن يسأله القوة على الخير، ويسأل العبد ربه أن يعيذه من العجز والكسل والخمول .

طالب العلم بحق إذا أراد عزيمة صادقة فليعلم أنه لا يحرك العزائم في القلوب إلا الإخلاص لله - Y - ومن ذاق حلاوة الإخلاص في قرارة قلبه زكت أعماله لربه ، وعندها والله لا يرتاح ولا يستجم في طلبه للعلم إلا

بطاعة تلو طاعة ، فإما أن تجده قارئا للعلم أو سامعا للعلم أو كاتبا للعلم أو مسافرا للعلم أو مقيما من أجل العلم حتى يصبح أمره كله في العلم وللعلم ، وهذا كله من توفيق الله - U - ومحبة الله للصادقين المجدين المثابرين الذين صدقوا مع الله فصدق الله معهم .

العزيمة في طلب العلم لا تأتي بالتشهي ولا تأتي بالتمني أساسها الإخلاص ، فإذا نظر الله إلى قلب عبده مخلصا لربه فتح الله عليه أبواب الرحمة ووفقه وسدده وأعانه.

الإخلاص مدد وروح قوية تمد العبد من الله بالنصر والتأييد والتوفيق حتى إنه ييسر له العالم الذي يتعلم عليه ، وييسر له مجلس العلم الذي يجلس فيه ، وييسر له العلم الذي يأخذه ، وليطيّبن بذلك العلم حيا وميتا متى ما طاب لربه بالإخلاص لوجهه ، فالله طيب لا يقبل إلا طيبا .

الإخلاص حتى ولو قلت أريد أن أذهب إلى الحرم فقط أن أجلس فيه في درس أو أجلس لقراءة القرآن : الإخلاص ، وما وجد السلف الصالح شيئا حركهم إلى الله أعظم من الإخلاص ، ولا وجدوا عناء ولا مشقة ولا بلاء أعظم من النية ؛ كما قال سفيان الثوري إمام من أئمة العلم والعمل يقول : ما وجدت أشد علي من نيتي إنها تتقلب علي .

يبتدئ طلب العلم فإذا به يرى العلماء وما هم فيه من الإكرام والإجلال فيتمنى أنه في ذلك المكان فيخسر ما بينه وبين الله فيصبح علمه رياء وسمعة.

يبتدئ طلب العلم فيجد أذية الطلاب ويجد منافسة الطلاب ويجد فيتقاعس ويتسخط ويتذمر فيكون مع المخلفين، وقيل اقعدوا مع القاعدين، ثم يأتي إلى طلب العلم فيجد الفتن والصوارف والشواغل والمشاغل، ويجد من يثبطه ومن يخذله فيقال له: أنت كل يوم تذهب إلى الحرم وكل يوم تأخذ هذا الكتاب : هل يأتيك برزق؟! هل يأتيك بوظيفة ؟! هل يأتيك بمال ؟! يجد من يخذله ويقتل هذه المعنويات الصادقة الزاكية التي تريد ما عند الله - U - فإذا به يحسن الظن بالله فيكون الله عند حسن ظنه : ((أنا عند حسن ظن عبدي بي)) فكم فتح الله من خيرات الدين والدنيا والآخرة على أقوام صدقوا لله في هذا العلم .

أخي في الله من أهم ما ينبغي أن تكون عليه الإخلاص لله - U - ، ولو أنك في كل لحظة وفي كل طرفة عين عاجلت جميع مصائبك بالعلم بالإخلاص صلحت أمورك .

الأمر الثاني مما يعين على شحذ الهمة الصادقة : أن تعرف قيمة هذا العلم ، وأن تعرف ما هو العلم الذي تطلبه ، وأن تعرف فتعلم أن هذا العلم

ينتهي بك إلى الجنة ، وأن أقواما أخلصوا في طلب هذا العلم فبوأهم الله الجنة بل بوأهم الله الفردوس الأعلى من الجنة ، وإن أقواما طلبوا هذا العلم لوجه ربهم فصدقوا مع الله في ليلهم ونهارهم وسرهم وعلانيتهم ، وجدوا واجتهدوا وشمروا عن ساعد الجد بعيدين عن الفتن بعيدين عن الشهوات والملهيات وأموال الدنيا ومتاع الدنيا ومغرياتها وفتنها فزكوا علمهم لآخرتهم حتى خبطوا على أبواب الجنة قد رفعت درجاتهم وعظمت أجورهم عند ربهم .

هذا العلم لا تكون به العزيمة إلا لما تعرف ما هو هذا العلم الذي تطلبه { تلك الدار الآخرة } التعبير باسم الإشارة للبعيد لعلو المنزلة : أين هي هذه المنزلة ؟ { تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين } فإذا عرفت ما هو هذا العلم طلبته ، من عرف قيمة الذهب من التجار سهر ليله وكدح نهاره وتذلل حتى للعامل الذي عنده من أجل أن يجد هذا الذهب ، فكيف بمن يجد ذهب الدنيا والآخرة وأعز من ذهب الدنيا وذهب الآخرة وهو رضوان الله - U - I ! وليس هناك شيء يبتغى به رضوان الله إلا ميراث الرسل ، وليس هناك أعظم من ميراث الرسل ، تعرف ما هو هذا العلم ؟ فإذا عرفت ما مقدار ما هو العلم لن تجلس مجلسا لأي عالم ولن تقرأ كتابا لأي عالم إلا ترحمت عليه بملء فيك مما تحس من عظيم حسنته عليك حينما علمك كيف تصلي

وتزكي وتصوم وكيف تعامل الناس ؟ ولذلك الغفلة عن هذه الخيرات والغفلة عن استشعار قيمة العلم هو الذي يكسر الهمة وهو الذي يثبط العزيمة ، كل فتن العلم تنكسر وكل محن العلم تذهب وتزول عند المعرفة بقدر العلم وبعلو مكانته ؛ ولذلك تجد طالب العلم منذ أن يخبط قدمه عارفا قدر العلم يستطيع أن يتأدب مع العالم ويتأدب مع طالب العلم ويتأدب مع الناس ويتأدب مع نفسه ويتأدب مع ربه ؛ ولذلك لا يستطيع شيء أن يشغله عن ذلك ، وما حرص الشيطان في تثبيط العبد مثل شغله، فتجد همته ضعيفة بتثبيط الشيطان ، فإن عجز الشيطان عن تثبيطه جاءه بالشغل ؛ ولذلك تجد بعض طلاب العلم يفتن في طلبه للعلم بالشغل، يشغل بشيء حتى في شيء لا يعنيه ، انظر إلى طالبي علم طالب يأتي ويجلس في الكلية وفي الدرس في المحاضرة وفي المسجد فتجده مصغيا منتبها يكتب القليل والكثير يستفيد، وطالب آخر يقول: لماذا يكون الدرس الساعة السابعة والنصف ؟ لماذا لا يكون الساعة الثامنة ؟ ولماذا يكون داخل المحاضرة لماذا لا يكون في الهواء الطلق ؟! ولماذا الشيخ أسلوبه كذا لماذا لا يكون كذا ؟! ولماذا لا يكون درسه في العطلة وغير العطلة ؟! فينشغل حتى يشغله الشيطان بما لا يعنيه ويتدخل حتى في أشياء لا تعنيه حتى -والعياذ بالله- يتردى فيغتاب العلماء ويستزلّ حتى تنكسر همته ويصبح مخذولا -والعياذ بالله- بسبب ذنبه ، تنشغل بما يعنيك وتقبل على هذا العلم صادقا لقد صحب أناس علماء كانوا بحالة حتى كان الواحد

منهم في آخر عمره لا يستطيع أن يتلفظ الكلمة فصبروا حتى سمعوا كلام العلم وطلبوا وجدوا واجتهدوا فأخذوا العلم على كل أحوالهم واشتغلوا بما يعنيهم عما لا يعنيهم ، وزكت نفوسهم وسمت باستنفاذ الأوقات كلها في ما يرضي الله - U - ، فاسم بنفسك ، واصدق مع ربك ، وأقبل على العلم مجدا صادقا يبارك الله لك، ويفتح عليك من واسع فضله والله ذو الفضل العظيم .

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

السؤال : فضيلة الشيخ : أرجو من فضيلتكم في بداية هذا العام الدراسي أن تذكّروا طلاب العلم بوصية خاصة . وجزاكم الله خيرا ؟

الجواب :

بسم الله . الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ؛ أما بعد :

فإن أجمع الوصايا للخير تقوى الله- U - ، ومن اتقى الله جعل له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ومن كل بلاء عافية ، ومن اتقـى الله ؛ وقاه ، وسدده ووفّقه في أمر دينه ودنياه

أوصي طالب العلم في بداية دراسته وطلبه للعلم أن يبدأ أول ما يبدأ بحق الله - I - ، ومن أدى حق الله على الوجه الذي يرضي الله أحبـه الله ، ومن أحبه وفقه وسدده ، ومن وفقه الله وسدده يسر له سـبيل القبـول ، وإذا يسر له سبيل القبول فقد أفلح ونجح وفاز فوزا عظيما - جعلنـا الله وإياكم بمنه وكرمه كذلك-.

فأوصي بتقوى الله - U - وأداء حق الله في العلم : وأول حـق لله - U - الإخلاص لوجهه ، فمن يقرأ القرآن ويقرأ أحاديث رسـول الله- r - ومن يقرأ في العلوم الشرعية عليه أن يعلم أنها يبتغى بها وجه الله ولا يبتغى بها شيء سواه ، وأن من طلب علما مما يراد به وجه الله لينـال بهـا عرضا من الدنيا لم يرح رائحة الجنة ، وأن طالب العلم إذا طلـب العلـم لوجه الله ووقف بين يدي الله -جل في علاه- في آخرته وسـأله الله عـن قوله وعمله وكان مخلصا لوجهه نجاه الله بفضله وكرمه ، فإذا قال : طلبت العلم لوجهك، وتعلمت لوجهك، وابتغيت ما عندك . قال الله : صـدقت . وقالت الملائكة : صدقت . وعندها يقول الله : اذهبوا به إلى الجنـة - فنسأل الله بعزته وجلاله أن يجعلنا من الصادقين- .

الأمر الثاني أن هذه الوصية يستصحبها في جميع أموره ، ومن الليلـة مـن الساعة هذه لا يكتب في العلم حرفا ولا يسمع حرفا فضلا عن كلمة عن عبارة إلا وهو يريد وجه الله ، وليعلم علم اليقين أنه ليس له من هذا العلم ولو تبحّر فيه فأصاب منه ما أصاب ليس له منه إلا ما أراد به وجه ربـه ، وأن الله سيحاسبه في ذلك ، ولم يخرج من بيته إلى كليتـه إلى ثانويتـه إلى دراسته إلا وهو يريد ما عند الله I .

الأمر الثاني من حق الله U من تقواه : أن يحرص كل الحرص علـى أن يتعلم ليعمل ، وأن يجعل هذا العلم في قوله وعمله وظاهره وباطنه وسـره وعلانيته حتى يزكيه الله بالعلم فيهتدي ، فإذا اهتدى في نفسه جعلـه الله هاديا مهديا ؛ قال تعالى : { والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر } . فجعلهم أئمة هداة لما اهتدوا في أنفسهم ، فبدأ الله أول ما بدأ : آمنوا وعملـوا الصـالحات فهذه هداية في النفس ، ثم قال وتواصوا بالحق وتواصوا بالصـبر. يبـدأ بنفسه ويبدأ بداية صادقة حينما يحس أنه ناقص يرجو الكمال مـن الله أن يكمل الله نقصه ، وأنه مكسور وأن الله يجبر كسره . يبدأ بنفسه فيحاسبها في القول والعمل والظاهر والباطن ، ألا وإن من أعظم ما يصلح الإنسان من نفسه قلبه ، فلا يصلح في هذا العلم إلا من زكى الله قلبـه ، زكـاه بسلامة الصدر ، وحب الخير للمسلمين ، ولن يكون طالب العلـم كمـا

ينبغي أن يكون طالب العلم إلا إذا نقى قلبه من : الحسد ، والشحناء ، والبغضاء ، واحتقار الناس ، وانتقاصهم ، وسوء الظن بهم ، والتهم، ونحو ذلك من جرائم القلوب ، بل من أسقامها وأمراضها ، فلن يفلح طالب علم مريض القلب ، ولن ينجح طالب العلم حقود أو حسود أو يحتقر الناس أو ينتقصهم أو فيه كبر أو عجب ظن أنه قد أخذ مقاليد الجنة يدخل فيها من يشاء ويخرج منها من يشاء .

ظن أنه مسلط على عباد الله بعلمه بمجرد أن يتعلم الكلمة أو الكلمتين وكأن الناس أسفل منه ، فيحتقرهم وينتقصهم ، ولا يستشعر الرحمة التي بعث بها النبي - r -فيكون كما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم من التواضع والرفق بالمسلمين ، لن يفلح ولن يصيب الكمال في هذا العلم إلا إذا زكى الله سريرته .

وانظر رحمك الله إلى طالب علم أو عالم أو داعية ربى الناس على أن يخافوا الله في إخوانهم المسلمين ، فيبدأ بصلاح قلوبهم كيف يخرج للناس هاديا مهديا ، وكيف يخرّج للناس أمناء رحماء يترسمون هدي النبي - r -.

لن يفلح في هذا العلم من يحتقر الناس لألوانهم أو يحتقر الناس لأمصارهم وأقاليمهم . أمة مصطفاة بعد الأنبياء وهم ورثة الرسل وهم العلماء وطلاب العلم هم المؤهلون من بعدهم بإذن الله . فالذي يخرج إلى الأمة

وعنده هذه الخلفيات وهذه الأمراض والأدران كيف سيكون هاديا مهديا ، وكيف سينتفع بعلمه وهو يحتقر إخوانه وينتقصهم . تبدأ بنفسك وتحاسبها حسابا عسيرا لكي تهتدي ، وليكون طلبك للعلم بداية لصلاح ما بينك وبين الله قبل أن يكون صلاح ما بينك وبين الناس ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، وعندها يكون العلم نافعا .

من الناس من تعلم من العلم القليل فهدي إلى صراط العظيم الجليل - Y - ومن الناس من حمل العلم أحمالا لكي يلقى الله - Y - وقد غضب الله عليه في قلبه وقالبه .

إياك أن تطلب العلم قبل أن تهذب نفسك . ابدأ بنفسك فارعها عن غيها ، وكل طالب علم بدأ بالكمالات وتطبيق العلم وإصلاح نفسه لطلب العلم وأن يكون أمينا صادقا لهذه الأمة المرحومة فيخرج إليها بقلب وقالب وجهه مثل قلبه من شيم الإسلام وأخلاق الإسلام ، من التواضع والمحبة والبشاشة واللين والرفق هذا يؤهل طالب العلم للكمال ، فإذا جئت إلى الدراسة وإلى مقاعد العلم فانطلق بهذه الأسس ، لا تنطلق انطلاق الهمج الرعاة الذين لا يفقهون ولا يعلمون ولا يطبقون هذا العلم ، فأنّى يصيب الفلاح أمثال هؤلاء ؟! ولذلك تجد بعض الناس يبلغ أعلى درجة في العلم وينال أعلى الدرجات وهو يفرّط في أبسط حقوق الإسلام ، فيمر على أخيه لا يسلم عليه ، فلم يزده العلم إلا حرمانا من الخير ،

حتى إنه يقول : أنا الدكتور أسلم على أمثال هؤلاء ! يا سبحان الله! لماذا ؟ لأنه لم يزك نفسه قبل طلبه للعلم ، فكيف سيزكي نفسه بعد أن نال الشهادات وارتفع .

عليك أن تتواضع عليك أن تعد أنك هالك إلا أن ينجيك الله ، وأنك تحت رحمة الله - I - هذه الأساسيات هي التي يفتح الله - U - بها على طالب العلم .

الأمر الثاني في إصلاح ما بينه وبين الله U : أن يشوب هذا العلم العبادة . عيب على طالب العلم يريد أن يتأهل للأمة عالما هاديا وهو لا يقوم الليل ولا يصوم الأيام المفضلة من الاثنين والخميس ، ولا يحرص على صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، ويفرّط في السنن الرواتب ، بل ربما حتى تمر عليه الليلة ولا يوتر . عيب على طالب العلم هذا ما يليق بطالب العلم .كيف غدا سينصح الناس ويؤهلهم ، يظن بعض الناس أن العلم أن يتحمل المعلومات ثم يتكلم ، يظن بعض الناس أن العلم هو تلميق العبارات ، وإحسان الخطب وتجميل الكلمات ، لا والله ، العلم ما وقر في القلب وصدقه العمل ، ولو تكلم الإنسان منذ أن ولدته أمه إلى أن يغيّب عن هذه الدنيا بشيء لن يطبقه ولن يعمل منه فلن يضع الله له البركة في قوله .

ومن بدأ في طلب العلم بهذه الأساسيات تجده إذا خرج إلى الناس خطيبا أو واعظا أو معلما أو مدرسا لن يتكلم بالكلمة إلا وأذن صاغية وقلوب واعية وجوارح تطبق ما يقول ؛ لأنه صدق مع الله في طلبه للعلم ؛ ولذلك الله عدل ، فمن بدأ طلبه العلم بالعمل والتطبيق زكاه الله علانية كما زكى نفسه لله سره عليك أن تجتهد وأن تعلم أن الله لا يخادع ، عليك أن توطن نفسك بالصدق والإخلاص والجد في سبيل العلم صعب ، ثم بعد ذلك يحرص على الكمال في العلم ، يبحث عن أعلم ومن يضبط هذا العلم ، وإذا كان في دراسة نظامية يحرص على أن يكون مستمعا مستفيدا أكثر من أن يكون مشاغبا متعاليا متكبرا ، فكم من طلاب علم هم في الفصول رحمة ، وكم من طلاب علم هم في الفصول نقمة وبلاء ، تجده يكثر الجدل حتى يقال إنه مناقش حتى يقال إنه ما شاء الله ضابط تجده يناقش قبل أن يفهم الكلام الذي يقال له ، وتجده يجادل قبل أن يعي الكلام الذي يناقش فيه ويجادل فيه ، وعندها يحرم العلم ، ومن معه يحرم العلم ، وعليك أن تكون حريصا على السماع قال بعض الصالحين لابنه : يا بني كن على السماع أحرص منك على الكلام ؛ لأن الله جعل لك أذنين ولسانا واحدا. الحكيم وطالب العلم له قلب يعي به :

أولا افهم ما يقال لك ، ثم بعد ذلك اسأل واستشكل . تحرص على آداب العلم مع مشائخك وأساتذتك وتحرص على أن تتذلل لهم ، ولذلك يقول

موسى بن عمران -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا ؟ المتكبر لا ينال العلم ، والذي يدخل الفصل وهو ابن فلان وعلان ما ينال العلم ، إنما يناله المتذلل لله - U - ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن ومدعو له بالفتح ينام على عتبة زيد بن ثابت - t - ويأتي إلى بيته ويأخذ بخطام دابته وإذا بالنهاية لن يقف في مقام إلا فتح الله عليه ، وكما ذل للعلم طالبا أعزه الله مطلوبا ، تقدم الثمن وتضحي . علي زين العابدين شرفا ونسبا سقطت عمامته على أبواب العلماء الذين كان يتلقى عنهم ، وكانوا يزدحمون على أبواب العلماء ، ومثل ما ترى الآن بعض الجهلة إذا رأى طلاب العلم يسألون العلماء يقولون : ما هؤلاء ! يا سبحان الله ! يزدحمون على الأسواق ويتقاتلون فيها ما يقولون ما يفعل هؤلاء ؟! ويزدحمون على سلعة الله الغالية وتجدهم يجدون ويجتهدون يقولون ما فعل هؤلاء ! المعروف منكر والمنكر معروف! تجدّ وتجتهد وليس معنى ذلك أن يتضارب طلاب العلم لا إنما المراد الحرص والشغف ، وكيف كان السلف لا يمنعهم الجد والاجتهاد في الطلب مع علو النسب.

الأمر المهم في العلم أن تضبط تقرأ العلم وتراجع و تكتحل السهر والتعب والنصب في مراجعة العلم حتى تكون أمينا على دين الله وشرعه . تحرص على أن تكون في أفضل الأحوال ، وتسأل ربك أنك لا تجلس مجلساً إلا

وجعلك الله أفضل من جلس ، ولن تصحب أيّ مدّرس يقف أمامك سيأخذ عنك الانطباع ، فإن استطعت أن تكون كأفضل ما يكون طالب العلم مع شيخه ومع معلمه فاحرص . احرص على ذلك فمن أرضى حملة كتاب الله وخاصة حملة القرآن وحملة العلم أرضاهم في أدبه وسمته وأسئلته ومناقشته واستفادته فإن الله يرضيه حيا وميتا . إذا لم يكن أهل العلم أولياء الله يقول الإمام أحمد فلست أدري من هم أولياؤه . تعين هؤلاء على رسالتهم فكم من علماء وكم من أساتذة أحبوا نفعاً للناس لما وجدوا طلاب علم صادقين ، وكم من طلاب علم حببوا في العلم بأخلاقهم وشمائلهم وآدابهم وزكاة نفوسهم وأعمالهم ، والعكس بالعكس .

فنسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن يلطف بنا ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

السؤال :

أنا أطلب العلم ولكن مشكلتي أني أحب المدح والثناء من الآخرين فما توجيهكم لي ؟

الجواب :

أخي في الله ، العلم الذي هو علم بحق هو الذي يكسر قلب صاحبه لله- Y - فأهل العلم هم أهل المعرفة بالله أعرف الناس بالله العلماء ، ولذلك لما عرفوا ربهم كملت خشيتهم ، وهم أعظم الناس تقوى لله- I - وأقربهم طاعة وامتثالاً له-جل شأنه وتقدست أسماؤه- وما تجده في نفسك من محبة المدح والثناء هذا لا يمكن أن يجتمع مع العلم ، وإذا اجتمع مع طالب العمل أهلكه ، وأوصيك ونفسي بتقوى الله- Y - وألا تلتفت إلى هذا الداء والبلاء إذا طلبت العلم فلا تنتظر مدحاً ولا تخف ولا تخش من ذم ، فإن الله- I - جعل ذم أهل الحق رفعة لهم إذا انتقصهم الناس ، وعزة لهم إذا أذلهم الناس ، وكرامة لهم إذا أهانهم الناس ، فليس عند الناس موت ولا حياة ولا نشور ولا عزة ولا ذلة ، بل العزة لله جميعاً ، فعليك -أخي في الله- أن تنتبه لنفسك وأن تعلم أنه لا يصلح لطالب العلم أن يحب المدح وأن يتشوف له وأن يطلبه ، ومن فعل ذلك فقد أُنفذت مقاتله-نسأل الله السلامة والعافية- ليأتين عليه يوم يقول الباطل ويمتنع عن الحق ؛ لأن الناس تمدحه ، فاتقِ الله ، وإياك أن تدخل في طلبك للعلم فتضر نفسك وتضر الناس ، العلم لا يجتمع معه طلب مدح الناس وثنائهم ، وإذا عرف العبد ربه واستقام القلب لله- U - لم يلتفت لمدح المادحين ولا لثناء المثنين ، ومن هنا لما قام بعض العلماء والأئمة فقام رجل فانتقصه وأهانه ، قام طلابه يريدون أن يهموا به ، فقال : دعوه ، هذا أعرف الناس بي ، يريد غمط نفسه واحتقارها ، وكان عمر - t - إذا

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

اعجبته نفسه حمل الحطب على ظهره ، ودخل وهو أمير المؤمنين- t - وأرضاه- فالعجب بالنفس ومحبة الثناء ومحبة المدح من الناس مرض ، فسل الله العافية ، وسل الله أن ينزع من قبلك ذلك ، ليس عند الناس خير ولا شر ، الخير والشر كله بيد الله- Y - الذي يعطي من شاء ويمنع من شاء إن أعطى بفضله ، وإن منع فبعدله ، فلا راد لحكمه ولا مانع لقضائه- I - فاتقِ الله في نفسك ، واتقِ الله في العلم واتقِ الله في طلبة العلم ؛ لأن من تعلم وهو يحب المدح سيضره ذلك في دينه وفي فتاويه وفي تعليمه للناس ، فينتصب للناس إذا مدحوه ، ويجد ويجتهد في علمه بقدر مدح الناس له ، ثم ينتقل ذلك إلى طلابه ومن يأتسي به ومن يقوده-نسأل الله السلامة والعافية- بل عليك أن تنصح لأمة محمد- r - وأن تكون على الحق ، وأن تنكسر لله ، وأن يكون من قولك وعملك وأن تظهر الدلائل على صدقك وإرادتك لوجه الله- Y - وكل من ابتلي بأمراض القلوب أثر ذلك في فهمه وأثر ذلك في فقهه وفي استنباطه وفي حفظه وفي دلالته وهدايته للناس ، كل هذا بسبب أمراض القلوب ، فاسأل الله العافية ، وخذ بالأسباب التي تبعدك عن هذه الأدواء وهذه الأسقام والعلل التي لا خير لها في دينك ولا في دنياك ولا في آخرتك ، وأكثر من الدعاء ، واقرأ سير السلف الصالح لعل الله أن يجعل لك فيها شفاء وغناء .

السؤال :

في عرض ضمام- t - المسائل التي فهمها عن النبي- r - كيف يستطيع طالب العلم التأكد من صحة ما حفظه وتعلمه وفق منهجية مناسبة ؟

الجواب :

هذا سيأتي -إن شاء الله- ؛ لأن الحديث فيه مسائل كثيرة ، وهو من أوسع الأحاديث ، وهذه المسألة من فروعها مسألة العرض على الشيخ ، خاصة في روايات الحديث ، وقد استدل الإمام البخاري في كتاب العلم بهذا الحديث كما سيأتينا بأن من قرأ على الشيخ أنه إذا قُرئ على الشيخ والشيخ يسمع جاز للسامع أن يحدث بإسناده للشيخ ويقول : حدثنا فلان وهو شيخه ، وهذا مذهب طائفة من السلف واستقرَّ عليه العمل ، كان فيه خلاف ونازع فيه بعض المتقدمين ثم استقر العمل عند الأئمة والمحدثين على أنه يروي بصيغة التحديث ، وسئل الحسن البصري-رحمه الله- عن هذه المسألة حينما كان يعرض عليه الحديث ، فيقول له : أعرضُ الحديث عليك وأنت تسمعه فأقول : حدثني الحسن أو لا ؟ فقال : قل حدثني الحسن ، فجعل العرض على الشيخ بمثابة قراءة الشيخ نفسه ما دام أن الشيخ قد أجازه وأقره ، ولذلك تجد بعض العلماء أو بعض الرواة يحتاط ويقول : قراءة عليه وهو يسمع قراءة عليه وأنا أسمع ، قراءة عليه وأنا

اسمع ، وبعض الرواة يقول : قراءة عليه بدون ذكر وهو يسمع ، منهم من يقول : قراءة عليه لكي يبين أنه لم يحدث به الشيخ باللفظ ، وإنما قراءة القارئ ، ومنهم من يقول : قراءة عليه لكي يبين أنه لم يحدث به الشيخ باللفظ ، وإنما قراءة القارئ عليه ، ومنهم من يقول : قراءة عليه وأنا أسمع ، أي أنني لم أقرأ بنفسي وإنما قرأ غيري وسمعت هذه القراءة وسمعها الشيخ فحينئذٍ يسندها تحديثاً إلى الشيخ - وهذا سيأتي -إن شاء الله- بيانه ، مسألة المنهجية في عرض العلم .

الأصل أن العالم إذا حدَّث بالرواية أو عَلّم الحكم في الدراية الأصل فيه أن لا يحدث ولا يعلم ولا يبين إلا ما يستوثق من نسبته للشرع ؛ وذلك لأن مقامه مقام المخبر عن الله وعن رسوله-صلوات الله وسلامه عليه- فإذا أراد أن يبين حكماً شرعياً ينبغي عليه أن يكون على السَّنَن بمعنى أن يتعاطى الأسباب التي تقوده إلى الصواب غالباً ويتحفظ في ذلك ؛ نصيحةً لله ولكتابه ولرسوله- r - ولأئمة المسلمين ولعامتهم ، فلا يجوز لأحد أن يتصدر لتعليم الناس وليست عنده أهلية ، وأيضاً لا يجوز له أن يأخذ كلام الكبار في العلم ويأتي يطرحه وهو لم يستوعب ذلك ولو كان عنده حفظ ولو كان عنده ملكة ؛ لأن هذا لا يأمن فيه من الخطأ والخلل ، فالأصل فيه أن الشيخ يبذل كل ما يستطيع أن يقول الصواب وأن يتحرى الحق ما استطاع إلى ذلك سبيلاً في الرواية والدراية ، ومن هنا ذكر الأئمة-رحمهم

الله - في مسألة التحديث عن رسول الله - r - إذا كبرت سن المحدث : هل يمسك هل هناك سن محددة ؟ فقالوا : الضابط أن لا يحصل عنده خلل ، فإذا أصبح يحس من نفسه أنه يخلط عليه أن يمسك عن الرواية حتى لا يعرض أحاديث رسول الله - r - إلى الخطأ ، ومن هنا الأصل عندنا أن الشيخ يبذل ما يستطيع لتحري الصواب .

ثانياً : طالب العلم يبذل كل ما يستطيع في ضبطه لقول الشيخ وكلامه ، فهناك مسائل ومجالس إذا جلس فيها طالب العلم لا ينفع أن ينقل إلا بالحرف ، وهناك مجالس يصوغ له أن ينقل بالمعنى وبالفهم ، فأما ما كان منها منضبطاً بالحرف فلا يجوز له أن يحدث ولا أن يقرأ ولا أن يبين مثل مثلاً رواة الحديث في بعض الأحاديث المتعينة بألفاظها التي لا تدخلها رواية المعنى ، فيه بعض الرواة الذين ما يحسنون النقل بالمعنى هذا يلتزم بالحفظ كما هو ويأتي بالكلام كما هو ، كذلك - أيضاً - في القراءات عن القرآن عن الأئمة لا يزيد فيها ولا ينقص ولا يدخل فيها الاجتهاد ، هذه يحفظ فيها طالب العلم كما سمع ، أعلى مرتبة لطالب العلم أن يحدث بما سمع يكون ضبط وإتقان وهذا الذي عناه النبي - r - بقوله : ((نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع)) فأعظم الناس أجراً في العلم من حفظ العلم وبلغه كما حفظ دون زيادة أو

نقصان ودون رواية بالمعنى هذا أعظم الناس أجراً في العلم سواء كان رواية أو دراية .

أما بالنسبة للأحكام الشرعية والمسائل والفتاوى : هذه يختلف فيها الأمر ، ما يسع فيها الرواية النقل بالمعنى فحينئذٍ يجوز أن ينقل الإنسان بالمعنى ، بشرط أن تتوفر فيه الأهلية لكي يفسر الكلام فلا يخطئ في المعنى الذي ينقل من كلام الشيخ ، وهذا أصل عند العلماء في جواز الرواية بالمعنى أن الرواية بالمعنى تجوز لمن يعرف دلالات الألفاظ ويأتي باللفظ الصحيح ؛ لأن هناك مترادفات وممكن أن يقوم اللفظ مقام اللفظ ويؤدي مثل ما وقع للصحابة -رضوان الله عليهم- ، إذا ثبت هذا فإننا نقول : إنه لا يلزم طالب العلم بأن ينقل حرفياً ، وإنما ينقل بالمعنى في الفتاوى والدروس والمجالس ؛ ولكن أفضل ما يكون وأكمل ما يكون أن يحرص على النقل بالنص ، الضوابط طبعاً الأصل في طالب العلم أنه إذا استقل ولم يستكثر يعني إذا جاء في طلبه للعلم وأخذ القليل وضبطه وابتدأ بالقليل وركَّز في القليل وبنى عليه فإن الله سيبارك له ، بمعنى أنه لا يتشتت فمثلاً إذا جاء إلى الدروس يبدأ بالخلاصة فيذكر خلاصة الدرس إذا كان في الدرس شرح وإسهاب أخذ خلاصة الشرح والإسهاب ، لكن من كلام الشيخ الذي يسمعه ليس من عنده ، هو إذا ما يستطيع يأخذ الشريط ويلخصه ، على كل حال إذا ضبط طالب العلم الخلاصة يتوسع بعد هذه الخلاصة ،

ومن هنا قالوا : لكل طالب علم ولكل عالم أصل يرجع إليه وهذا الأصل الذي يرجع إليه هو المختصر ، وإذا أرادت أن ترى أهل العلم الجهابذة وطلبة العلم المتمكنين فانظر إليهم كيف حرروا أصولاً يرجعون إليها ، هذا غالباً ما يضيع علمه ، أنه يكون عنده أصل لا يمكن أبداً أن يحضر مجلس من مجالس العلم إلا وعنده ملخص منه ، ولا يمكن لهذا الملخص الذي يكتبه بيده أن يرميه في درجه أو يرميه في مكتبه بل يرميه في صدره بكثرة المراجعة بكثرة إدمان النظر بمحاوله وضع أسئلة يستذكر بها ، إذا ابتدأ بهذه المختصرات فبإذن الله سيفتح عليه ، وهذه من أفضل الطرق في مسألة ضبط كلام الشيخ .

أما مسألة العرض على الشيخ : فطبعاً العرض في الحديث له طريق ، والعرض في الأحكام له طريق .

أما العرض في الحديث : فله طريق عند أئمة الحديث ومعروف عند أهل الاصطلاح .

وأما بالنسبة للعرض في الأحكام الفقهية والمسائل الفقهية : فالأمر يسير طالب العلم الآن الحمد لله تيسر عنده وجود المسجل ، فإذا سمع الدرس لخصه أو رجع إلى بيته وسمع الشريط ولخصه ، ثم أدمن قراءة هذا الملخص ومراجعته إذا أمكن أن يعرض هذه المعلومات ، شكَّ في شيء ، شكَّ أن

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

هناك سبق لسان من الشيخ ، هذا يقع وقل أن يصفو بل حتى أدركنا علماء وجهابذة كنا ندرك بعض أهل العلم أنه بعض الأحيان وهو من خيرة حفظة كتاب الله - U - لكن إلى درجة أنه يسبق لسانه في الآية فتأتي تقول له : يعني كيف يقع هذا الخطأ فيه ؟! فيقول : أنا حينما أذكر الآية اعتني بوجه دلالتها ؛ لأنه معتمد على حفظه فيلقي الآية وهو يفكر كيف يأتي بوجه دلالتها ، ولما أبتلينا بهذا وقعنا فيه ، فعبنا على غيرنا فابتلينا ، ومما أشهد به لله أني لم أسمع والدي-رحمه الله- يوماً من الأيام يخطئ في القرآن-رحمه الله- من شدة تحريه ، لكن حينما ابتلينا بالفقه ، الفقه في الأحكام يقع فيه بعض الأحيان يأتي الشيخ بآية ، خاصةً في المتشبهات ، سبق اللسان في الأحاديث في بعض الأحيان يكون لفظ الحديث : لا يجوز ، فيأتي ويقول : يجوز ، هذا يقع ؛ لأنه بشر ، لكن العبرة بالأغلب ، ومن تحمل عبء العلم ، العلم ثقيل ومن نظر إلى أن العلماء لابد أن يصيبوا ولا يخطئوا أو يثرب على أهل العلم أنه يكون عندهم سبق اللسان أو الخطأ فهذا مسكين ؛ لأن من عرف العلم لا يعيب أهله ، من عرف العلم وذاق تعبه وعناءه ومشقته ، كنا إذا أبلغنا بعضَ العلماء بعضَ السبق الذي يكون بعض العلم يتعطف ويتحنن ويتألم يقول : معذور ، ما يقول : خذوه فغلوه ، يقول : معذور ؛ لأنه يعرف ماذا حمل هذا الشيخ من العلم ، يأتي الشخص على العالم يأتي إلى حلقة العلم وهو لا يدري في ضبط المسائل وضبط الأدلة ووجوه الدلالات صحيحها ضعيفها

، ثم أفهام الناس في فهم ذلك ووعيه ، ثم الكلمة التي تحتمل عـــدة أوجـــه كيف يصوغ كلاماً بحيث يستطيع أنه يضبطه ، وبين مستويات طلبة العلم وبين مستويات العامة ثم بعد أن ينتهي من هذا كله يحمل هم الأسئلة التي ستأتي وما الذي يورد عليه ، وهل هذا الكلام يمكن أن يتخذ يتوسع فيمن يتوسع أو يستغله من يستغله كل هذه الأمور يحملها أهـــل العلـــم - رحمهم الله- فإذا كان الخطباء الذين لا يمثلون شيئاً مـــع أنهم حملوا حمـــلاً ثقيلاً لا يمثلون شيئاً أمام الأحكام الشرعية ، إذا كان الخطباء يتحملـــون الهم وهم يعرضون في خطبهم ، قيل لهشام بن عبـــدالملك : لِـــمَ شـــبت وبادرك الشيب ؟ قال : " مالي لا أشيب وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة " يعني أنه يطلع على المنبر ويخطب فيحمل هم الكلام ويحمل هم ما يختاره لمواجهة الناس ، فهذا كله يدل على ثقل المســـؤولية قـــال- I - : { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً } بين أنه قول ثقيل ، وكان أئمـــة السلف كانوا يظهر فيهم العلم ، يظهر فيهم العلم كيف يظهـــر بـــالفرح بالسرور أبداً والله كان إذا جلس العالم كأنه بين الجنة والنار ، وكان بعض العلماء وبعض الفضلاء يقول : إذا أردت أن ترى علم العالم فانظر إليه أنه يخاف الله والمفتي انظر إليه أنه يخاف الله ، حينما يجلس بـــين الشـــباب أو غيرهم كأنه يلهو ويضحك ويلعب وهو جالس يريد أن يتكلم في فتـــاوى شرعية ، هذا يدل على أنه إلى الآن ما وعى ما الذي ولذلك ترى البـــون شاسعاً بين الخلف وبين السلف وبين ما يحكى عن أئمة العلم أن الرجـــل

كان منهم إذا جلس للفتوى تعرق ولربما أخذته الشدة ولربما عبس وجهه ولربما " النبي - r - أحمرت أوداجه وانتفخت من شدة الغضب كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم " فإذاً حصل الخطأ من أهل العلم أو سبق اللسان أو غيره ممكن أن تراجع الشيخ وتضبط ، والشيخ يعذر في هـــذا ، وأنت تستطيع طالب العلم الذي فتح الله - U - عليه يستطيع أن يـــدرك المواطن الخفية ، وكل من صحب شيخاً يدرك ساعة غضبه وساعة ضـــبطه وساعة تشوش فكره ويستطيع عندها أن يدرك هل هنـــاك ســـبق لســـان فيتأكد ، ولا شك أن طول الصحبة أو مع الصحبة يتبين ؛ لأن الإنسان في باب خير وهؤلاء من طلبة العلم الذين نذروا أنفسهم نحسبهم ولا نزكيهم على الله بحمل هذا العلم لا شك أنهم إذا أخلصوا لله ســـيجدون مـــن الله عوناً معيناً ومؤيداً وظهيراً ولهم من الله من التوفيق والحفظ والرعاية ما الله به عليم ثم الخاتمة أنه والله وبالله وتالله ما نحن بشيء لولا فضـــل الله ، إن الإنسان حينما ينظر بشر ممكن أن يأتي فينسى ويسهو ولربما يخطئ ، ولكن الله لطف بالناس ببقاء العلماء ، ورحم الله هذه الأمة ببقاء العلماء الربانيين الذين يقولون بالحق وبه يعدلون ، ولولا الله ثم هؤلاء أهل العلـــم الـــذين يوثق بهم من مضى وممن بقي - نســـأل الله أن يبـــارك في أعمـــارهم وأن يعينهم وأن يوفقهم - لضاعت الأمة ، فالـــدين مؤتمن عليه هؤلاء ، فـــلا شك أنهم في حفظ الله - U - فطالب العلم يضبط حينما يعـــرف ، عنـــد

الشك عند الوهم نعم ممكن ، في بعض الأحيان يكون للشيخ أصل يرجع إليه كما في بعض الكتب والمؤلفات ويتأكد من نسبة هذه الأحكام إليه.

كذلك - أيضاً - إن تيسر في بعض مجالس الشيخ أن تعرض بعض مسائله ، يحضرها وينقح ، تعرَّض الشيخ للمسألة في فتوى ، ثم تعرَّض لها في درس ، يستطيع أن يقارن بين الدرس وبين الفتوى ، طالب العلم الذي يريد أن يسير في طلب العلم يعرف كيف يضبط هذا العلم وكيف يراجعه ؛ لأنه إذا حمل هم هذا العلم وضبطه فإن الله- I - سيوفقه ويعينه ، نسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن يعصمنا من الزلل وأن يوفقنا في القول والعمل ، والله - تعالى - أعلم .

السؤال :

فضيلة الشيخ : ما معنى قول الله –U- : { إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة } هل كان لداود تسع وتسعون امرأة، وهل أراد أن يأخذ من الجندي زوجته . وجزاكم الله خيرا ؟

الجواب :

هذا من الاسرائيليات الفاسدة المكذوبة على أنبياء الله المختلقة التي لا تصدق ، قضية داود عليه السلام- كان له يوم يختلي فيه للعبادة ويدخل إلى محرابه وطبعا لا يستطيع أحد أن يصل إليه فيختلي بربه ويتعبد ،

ففوجئ بالخصمين وهما ملكان أرسلهما الله إليه ليعلماه كيفية القضاء والفصل بين الخصوم ، والله يعلم أنبياءه ويبين لهم I ، فهو الذي علم داود وعلم سليمان وعلم الأنبياء وعلم العلماء ، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، فالشاهد أنهما دخلا على سليمان فلما دخلا عليه فزع قالا : لا تخف ، فزع لأنه ما يستطيع أحد أن يصل إليه فكيف وصلا مع كونه مسوّرا ، دخلوا على داود ففزع منهم فهذا الفزع ناشئ على أنهم دخلوا عليه وهو في محرابه وخلوته فسأله الأول وقال : إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب ، عز إذا غلب فألح عليه حتى أحرجه وعزني في الخطاب ، كان المفروض أن ينتظر داود حتى يتكلم الخصم ويقول : هل هذه الدعوة صحيحة أو غير صحيحة ، أو بعضها صحيح وبعضها غير صحيح ، فاستعجل عليه السلام وقال : لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ثم وصف الوصف العام فقال : وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض قيل إنها من الله –U- أكمل بها الآية ، وقيل إنها من كلام داود ، فصار خطأ الخصم وحمله تبعة الخصم أنه ظلم قبل أن يسمع منه هل هذا حقيقة أو لا ، ولذلك قال الله تعالى : { إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى } فجاء عتاب الآية متعلقا بصفة القضاء وهو أن يكون حكمه عادلا ، والقاضي موقفه حيادي بين الخصمين ، ولذلك ينبغي له أن يسوي بينهما حتى في النظر ، قالوا : يسوي بينهما في لحظه ومجلسه ومكانه ولا

يفضل أحدهما على الآخر فلا يدمن النظر لأحدهما أكثر من الآخر ، ولا ينظر إلى أحدهما شذرا وينظر إلى الآخر أبدا ، مسؤول أمام الله – U - عن هذا كله ، فمن شدة القضاء أن الله – U - أدب حتى نبيه فيه – صلوات الله وسلامه عليه - أنه كيف يحكم للخصم قبل أن يسمع من الخصم الثاني ، ولذلك بيّن الله تعالى وقال : { وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب } وسياق القصة والسباق محتكم إليه كله في تعليم القضاء ، قال بعض السلف ويحكى عن بعض أصحاب النبي – r - : الحكمة وفصل الخطاب فصل الخطاب البينة على المدعي واليمين على من أنكر قال إنها هي فصل الخطاب ؛ لأن الله يفصل بها خطاب الخصوم ، فالخصم إذا ادعى شيئا وجاء بالبينة فقد صدق ، وإن لم يأت ببيّنة فدعواه مردودة إلا أن يصدقه خصمه ، ولذلك جاء في حديث ابن عباس الذي صححه غير واحد عند الحاكم أن النبي – r - قال : ((البينة على المدعي واليمين على من أنكر)) ، ثم هذه البينة تطلب من كل مدعٍ في القضاء ولو كان أصدق الناس لو كان يعرف أنه من أصلح خلق الله وجاء يدعي على شخص يقال له احضر البينة ، عدل من الله – U - بين عباده .

والمدّعي مطالب بالبينةْ وحالة العموم فيه بينةْ

يعني ما ننظر إلى كونه صالحا أو فاجراً ، ولذلك قال r للأشعث – t - : ليس لك إلا يمينه ، قال الأشعث : يا رسول الله الرجل فاجر ويحلف ولا يبالي ، فقال r : ليس لك إلا يمينه ، ثم قال : لو يعطى الناس بدعواهم

لادعى أناس دماء أقوام وأعراضهم ، ولكن اليمين على من أنكر ، فالشاهد من هذا أن الآية لا علاقة لها بهذه الخزعبلات والترهات والأكاذيب التي اختلقها أعداء الأنبياء –صلوات الله وسلامه عليهم- عليهم من أنه كان عنده جندي ورأى امرأته فأعجبته ثم أرسله إلى الغزو حتى يموت ، هذا عبث ، وأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم- أرفع وأقدس وأطهر من هذا الكذب ولذلك ينبغي اعتقاد ما قاله أئمة السلف –رحمهم الله- في تفسير الآية الكريمة أن المراد بها تعليم الله - U - لنبيه الفصل بين الخصوم ، وهذا هو الذي عليه المعول . والله تعالى أعلى وأحكم .

السؤال :

فضيلة الشيخ : توفي والدي ولدي أم وإخوة ، وأنا أكبرهم وأريد الذهاب إلى خارج مدينة جدة لطلب العلم الشرعي ، فما نصيحتكم لي ، فهل أذهب أو لا . وجزاكم الله خيرا ؟

الجواب :

إذا توفي الوالد فإخوتك الصغار أيتام ، ومن أبر البر لوالدك أن تحسن لإخوانك وأن تحرص على القيام على شؤونهم ورعايتهم ، وهذا من أعظم ما يكون برا لأبيك ، ومن أعظم الأسباب التي يوفقك الله فيها في أمور دينك ودنياك وآخرتك أن توفق لبر الوالدين وأن توفق لصلة الرحم لأن

أقرب ذوي الأرحام إليك هم إخوانك وأخواتك ، ثم انظر كيف جمع الله لك الفضائل من رضى الأب في ذريته ، ورضى الأم حينما تنظر إلى ضعفها وانكسار جناحها بموت بعلها وفراق زوجها وإلى برك لإخوانك وإلى كفالة اليتيم حينما تضم إخوانك إليك ، وتشملهم بعطفك وحنانك وبرك وإحسانك وتصبر وتصابر وتحتسب الأجر عند الله ، فليس هناك رعاية ليتيم أعظم عند الله أجرا من رعاية اليتيم القريب، وليس هناك رعاية يتيم أعظم بركة وأعظم خيرا من رعاية اليتيم الأخ والأخت ، فهم ليس لهم بعد الله إلا أنت ، خاصة إذا كنت أكبر إخوانك فإنهم غالبا ما ينظرون إليك نظرة الأب ، وخاصة إذا الله وفقك ، وأسأل الله أن يوفقك أن تكون قويا في معونتهم وأن تشمر عن ساعد الجد والاجتهاد ، وأن تتوكل على الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم في الإحسان إليهم .

السفر إلى خارج جدة لطلب العلم خير وبركة ، وأخير منه أن تلزم رجل أمك وأن تبرها والدليل على ذلك أن رسول الله – r - كما في الصحيح من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أتاه رجل من اليمن فقال يا رسول الله أقبلت من اليمن أبايعك على الهجرة والجهاد ، فهو يريد أن يكون مع النبي – r - يتعلم منه ، ويأخذ عنه وليس هناك علم يؤخذ عن معلم أبرك ولا أفضل ولا أكمل من أخذه من رسول الله – r - ومع ذلك كان السؤال : أحي والداك ؟ قال نعم ، قال : ففيهما فجاهد، فانظر رحمك الله كيف رد رسول الله – r - الرجل إلى والديه ، فما بالك إذا كان الوالدان

حيين أمره أن يرجع إليهما ، فإذا كان الوالد قد توفي فالوالدة أشد ما تكون حاجة ، وأشد ما تكون محبة لقرب ولدها منها ، فلا تجمع لوالدتك بين مصيبتين ، وبين بليتين فراقها لبعلها وفراقك لها وإن الله – U - ذكر في كتابه قصة يعقوب لكي يعتبر أولوا الألباب ، فيعقوب –عليه السلام- من أولي العزم، ومع ذلك على أحد القولين ومع ذلك عليه السلام ابيضت عيناه من الحزن وتولى يبكي ويشتكي إلى ربه ما يجد من الحزن والألم لفراق ابنه ، لم يذكر الله قصة امرأة تفقد ولدها ، إنما ذكر قصة رجل .

فذكر الله قصة يعقوب حينما فقد ابنه يوسف –عليهما السلام- وهو يعلم أن يوسف سيعود إليه ، ومع ذلك تولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ، هذا الذي ذكره الله في كتابه لرجل يعلم أن ابنه سيعود إليه والرجل أكثر صبرا من المرأة بطبيعة الخلقة وبما فيه من القوة ، فما بالك إذا كانت المرأة تفقد ولدها ويبتعد عنها ولدها فلاشك أنها أشد عناء وتعبا وبلاء، ولذلك جعل الله للأم من الحق ما لم يجعله للأب ، جعل برها مضاعفا على بر الأب ، فجلوسك عند أمك ورعايتك لإخوانك الأيتام وكفالتك لهم أفضل وأعظم أجرا لك ، فإن أصبحوا بحاجة بحيث يتضررون بخروجك فإنه يجب عليك البقاء ، وأما طلب العلم فيمكنك أن تطلب العلم وأنت في الموضع الذي أنت فيه ، ولا يجب عليك أن تخرج مادام أنه قد وجد غيرك ممن تحصل به الكفاية ،

وعلى هذا فأوصيك ونفسي بتقوى الله والإحسان إلى أمك ورعايتها وإلى إخوانك وأخواتك الأيتام وغير الأيتام تحرص على أن تكون لهم نعم الأخ لإخوانه ، أسأل الله بعزته أن يوفقك لذلك . والله –تعالى- أعلم .

السؤال :

فضيلة الشيخ : أنا طالب في كلية القرآن في الجامعة أقرأ على بعض المشايخ بروايات مثل حفص وورش وغيرهما فهل لي أن أتوسع في ذلك أم أتّجه إلى الفقه والتفسير أقصد هل أتوسّع فيهما أكثر مما أتوسّع في القراءات . وجزاكم الله خيرا ؟

الجواب :

الأصل عند العلماء أن من تفرّغ لعلم تعيّن عليه أن يتقن هذا العلم ، فالذين تفرّغوا لعلم الأحكام الشرعية والفقه ومسائل الفقه فإنه يتعيّن عليهم ضبطه والذين انحصروا في علم القراءات ينبغي لهم ضبط القراءات وإتقانه ، والذين تفرّغوا للعلوم الأخرى كل بحسبه في الأديان والفرق والعقيدة فيضبط الأديان والفرق والعقيدة؛ لأن ثغر الإسلام مرتبط به ، وكل من تخصّص في كلية شرعية فعليه أن يستشعر المسؤولية أمام الله U ، وأن هذا الكرسي الذي يجلس عليه قد يكون الملايين حرموه بسببه، وأنه اختير من بين الملايين لكي ترهن رقبته ويقف بين يدي الله مسئولاً عن هذا العلم الذي يتعلمه، وبالأخص يعني إذا يُسّر له ذلك كما في الجامعة الإسلامية وهي معقل من معاقل الخير والعلم نسأل الله أن يباركها وأن

يبقيها وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين، فحينما يُستقدَم الشخص من بلاد بعيدة فيا ليته يحس أنه رسول قومه، وأنه مؤتمن أمام الله U ومسئول عن هذه النعمة، حينما تشبّه بأصحاب رسول الله r فشدّ رحله إلى هذا المكان الطاهر لطلب العلم، كما وقع من الصحابة رضي الله عنهم في هجرة الوفود التي وقعت بعد الفتح ، فهجرة الوفود هاجر الصحابة هجرة الحبشة، ثم هجرة من مكة إلى المدينة، ثم هجرة الوفود بعد الفتح لتعلم العلم النافع ؛ لقوله تعالى : { فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة } فالذي يتغرّب عن بلده لو أحس بالمسؤولية ، وأن هذه الكلية التي يدرس فيها أنه يمكن في بعض الأحيان على مستوى العالم الإسلامي يُنتظر منه أن يخرج حاملا لعلمها مشكاة هدىً ونور وصلاح وإصلاح وفلاح وتزكية وهداية للخير ، يا ليتنا نحس بهذه المسؤولية ، والله لو استشعر طالب العلم الذي ترك أهله وماله وولده وقرابته وحبه وزوجه من أجل أن يطلب العلم لأصبح غيورا على الدقيقة فضلا عن الساعة فضلا عن اليوم أن يستنفذ في غير هذا العلم الذي تغرب من أجله ، فالشاهد من السؤال أنه إذا تفرّغ في تخصص شرعي معين فعليه أن يضبطه ، لأنه لو كان مثلا تخصّص في علم القراءات ثم أخذ يجمع بين علم القراءات وغيره على حساب إتقان علم القراءات سيتخرج من أجل أن يعلّم علم القراءات وسيمكّن من علم القراءات ولكنه غير متمكّن ، والسبب في ذلك أنه لم يفرّغ نفسه كما ينبغي، والفرض فيه أن يفرّغ نفسه ، علم الأحكام الشرعية والمسائل

الفقهية يتعلم مادام أنه مسئول عن علم القراءات والقرآن وكفى بـذلك شرفاً وفضلاً أن يتعلم من الفقه ما يضبط به عبادته ومعاملتـه، ثم يتفـرّغ لضبط هذا الشيء الفرض العيني عليه ، وقد قـرّر العلمـاء أن فـروض الكفاية تنتقل فرض عين إذا تعيّنت على الإنسان بنفسـه ، ولا يستصـغر الإنسان ما هو فيه، فقد يدرس طالب العلم أحكام الفقه ويتقنها، ويحصل عنده شغف بأن يتعلم التفسير وعلوم القرآن ، ولكنـه يتفـرّغ في علـم الأحكام فيفتح الله عليه في علم الأحكام فيحصّل ما لم يحصله في غـيره ، والعكس فقد يتفرّغ لعلم القراءات، فيأتي زمـان ينحصـر فيـه علـم القراءات، ويعظم نفعه أكثر مما لو تفرّغ لعلـم الأحكـام في العبـادات والمعاملات ، إذاً عليه أن يحس بالواجب والمسؤولية عليه وأن يبتدئ بمـا هو آكد ، وهنا ننبه على قضايا منها حتى في غير العلوم الشـرعية، قـد يكون تخصصه في طب وأنا أقول هذا مما نعرفه من أصول الشريعة ، يكون تخصصه في الطب فتجده طبيبا، ولكنه أثناء دراسته للطب يصرف وقتـه بدل أن يتقن الطب إلى دراسة العلوم الشرعية ، وهذا لا نشك إن شـاء الله في حسن نيته ، ولكن بدل أن يخرج طبيباً نابغاً في طبه متقنـا للطـب يخرج دون ذلك ، وقد يخرج بطريقة لا يُبلي فيها بلاء حسـناً في طبـه ، نقول الشريعة لها من تفرّغ لها وقد كفاك المؤونة، وأنت تعيّن عليك الطب فيجب عليك أن تتقنه ، وليس بعيب على المسلم أن يتقن علم الطب ولا علم الهندسة ، الأمة تحتاج إلى ذلك ، حتى كان الإمام الشافعي يتحـرى

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

كما روى البيهقي عنه بسند صحيح يقول : كان يقول ضيّعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى، يقصد علم الطب ، وقال : لا أعلم علمـا بعد الحلال والحرام أنبل من الطب ، فالشريعة ما تحجر على الإنسان أنـه إذا جاء في كلية في أي تخصص مادام أنه يتقي الله ، ويريد أن ينفـع أمـة محمد r ، وأن يخرج للأمة بما يعينها ، ويجعلها في كفاية عن غيرها ، لكن التشتت وتشرذم الفكر فيجعل فكره تارة في هذا وتارة في هـذا ، ((إن المنبت لا ظهرا أبقى ولا أرضا انقطع))، فتجده لا هو أتقن العلم الـذي تفرغ فيه ولا هو أتقن العلم الذي اشتغل به خارجا عن تخصصه .

اجلس فيما أنت فيه ، وأتقنه حتى ترضى عن نفسك فيـه، ثم تحـوّل إلى غيره ، وهذا هو الذي يتعيّن على الإنسان الأخذ به أنه يتقن العلوم الـتي نُصّب لها وتعين عليه ضبطها ، وأسأل الله U لك التوفيق والرشد أنـت وإخوانك وجميع المسلمين ، ولاشك أنها نعمة من الله U أنعـم الله بهـا عليك أن تدرس هذا العلم العظيم وهو علم القرآن ؛ قال r : ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) فاحمد الله U أن شرّفك وفضّلك ، فكم مـن أناس شدوا الرحال لطلب الدنيا، وأنت تطلب أشرف شيء وأعظم شيء ، تطلب الذي أثنى الله عليه من فوق سبع سماوات { كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير } { بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم } { يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خـيرا كثيرا } فشهد الله أن الذي أعطاك خير كثير، وقد قـال r في الحـديث

الصحيح :((من أعطي القرآن فظن غيره أعطي خيرا منه فقد ازدرى نعمة الله عليه)) فهذه نعمة عظيمة لا تستهن بما أنت فيه ، ومتع ناظريك وسمعك بسماع آيات الله، وأحب علماءك ومشائخك من الأحياء ومن الماضين من سلف الأمة، واعتقد فضلهم وحبهم، وترحم عليهم وادع لأمواتهم ، وأحسن الأدب مع أحيائهم، ترزق وتُعَن ويسير لك أمر الدين والدنيا والآخرة

فأهل القرآن شأنهم عظيم ، وبالمناسبة أوصيك أن تأخذ الحذر كل الحذر، فإن أهل القرآن لهم حرمة عظيمة ، فأنت تتعامل مع أناس رفع الله قدرهم بكتابه، وشرّفهم بكلامه I ، فهذه النعمة العظيمة التي جعلها الله في صدور هؤلاء العلماء من علماء القراءات جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين وعنا خير الجزاء ، لاشك أن شرف عظيم لك أن تجلس بين أيديهم، فتعتقد حبهم، وفضلهم وتشيد بهم، وتعظم منزلتهم في الحدود الشرعية؛ لأن هذا من شعائر الله { ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب } وهو سلاح ذو حدين ، فهم إما نعمة، وإما نقمة ، فمن أحبهم، واعتقد فضلهم، وأحسن إليهم، وأكرمهم وأجلهم ؛ أكرمه الله في الدنيا والآخرة ، ومن أهانهم وأذلهم وانتقصهم وضيّق عليهم حتى أثناء محاضراتهم في الدروس في الكلية لو ضيّق عليهم وشوش عليهم ، لو آذاهم، لو أحرجهم؛ فإنه على خطر عظيم ، وإنْ تتبع العثرات وتكلم بالسيئات وهتك العورات فإن الله له بالرصد ، فعادة الله فيمن انتقص أهل

كتابه معلومة ، ولحوم أوليائه –سبحانه- مسمومة ، فعليك أن تتقي الله U وأن تلتزم بالأدب ، وأن تعلم أن هؤلاء الصفوة الذين يعلمونك القرآن هم الذين حملوا هذا القرآن، وقد زكاهم النبي r فقال : ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله)) فاعتقد فضلهم وحبهم والنصيحة لهم بنشر علمهم .

وأسأل الله بعزته وجلاله أن يعينك وأن يعين إخوانك من طلبة العلم على ذلك . والله –تعالى- أعلم .

السؤال :

فضيلة الشيخ : يوجد بعض المبتدئين في طلب العلم من يتسرّع ويتجرأ بالفتوى فما توجيهكم لمثل هؤلاء . وجزاكم الله خيرا ؟

الجواب :

إذا أراد الله بالعبد خيرا في علمه وتعلمه رزقه التقوى ، والتقوى نور في القلوب، يحفظ الله به جوارح العبد ، ولاشك أن العلم ابتلاء وامتحان ، فمن أوتي العلم ورزقه الله علما نافعا وأراد الله به خيرا بهذا العلم رزقه أن لا يتكلم إلا فيما يعلم ، وأن يقول الحق ولا يكتمه ، فإذا رزق هذه النعمة فقد رزق خير العلم وبركته ، ونفعه الله به ونفع به ، وإذا كان لا يزمّ نفسه بزمام التقوى في الكلام في العلم فإنه على خطر ومهلكة ، فإن العلم سلاح ذو حدّين : إما أن يعلي، وإما أن يُردي ، وإذا أردى صاحبه خسر

الدنيا والآخرة ؛ ذلك هو الخسران المبين ، وإذا رفع صاحبه؛ رفعه إلى الدرجات العلا في الجنة -جعلنا الله وإياكم ممن رفعه ونفعه وبارك له في علمه وتعلمه- .

والمنبغي للمسلم أن يعلم أنه إذا تكلم بحلال أو حرام أو تكلم في شرع الله أنه يتكلم عن الله ، ومن تكلم عن الله فقال الحق ونطق بالصدق؛ بارك الله له ، وأسعده في الدنيا والآخرة ، ومن تكلم عن الله فكذب وفجر واعتدى حدود الله؛ أهلكه الله عاجلا وآجلا ، وخاصة في أزمنة الفتن ، وخاصة في هذه الأزمنة حينما أصبح الإنسان يتكلم ولا يجد من يحاسبه على كلامه ، ويظن أن الأمر هملٌ، وحينئذ انكشفت حقائق الكثير، وانكشف من كان زيفا في علمه ، وانكشف صدق الصادقين ونفاق المنافقين وتملّق المتملقين، وانكشف الناس على حقيقتهم وبخاصة في هذا الزمان ، وهذه نعمة من الله؛ {ليهلِك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة }، ونسأل الله أن لا يجعلنا من الهالكين ، حينما تجد من السهل أن يتكلم الإنسان في الدين، كان الناس يتربّون على الدين من نعومة أظفارهم، يعرفون حلال الله وحرامه وشرعه ونظامه ، فإذا جاء أحد يتكلم قالوا له من أين أخذت هذا الكلام ؟ من أين جئت به ؟ حتى ولو كان من طلاب العلم سألوه : على أي أصل بنيته ؟ وعلى أي أصل خرّجته ؟ فينكشف ولا يستطيع أحد أن يتكلم في العلم إلا وقد كشف أمره صادقا كان أو كاذبا ، ولكن اليوم حينما كثر الجهل في الناس ، وسهل خداع الناس أصبح العلم بالكلمات المعسولة، وبتزيين العبارات، وبتتبع الرخص : ولابأس ، ولا حرج ، والدين يسر ، وما خيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وذهب قول الله : { إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا } فرتعوا -والعياذ بالله- رتع أمثال هؤلاء طلاب العلم أو متعالمين رتعوا في أحكام شرعية يتكلم الإنسان في المسألة ولا يبالي أقبل فيها أو أدبر، ووالله لو عرضت على الإمام الراسخ في العلم من أئمة السلف لجثا على ركبتيه خوفا من الله أن يتكلم فيها ، وتأتي مسائل من أعظم المسائل في الربا والشبهات في أخذ أموال الناس واستثمارها، فتجد هذا يؤصل ويقعد ويذهب يمينا وشمالا ليساير الركب ، ولكي يقال فلان أفتى، وفلان وهو لا يدري أنه جسر إلى نار جهنم إن لم يتق الله - U - ، ولا يعلم كل من يتكلم في دين الله بدون علم أنه قد غشّ أمة محمد - r - ، وأول ما غش غش نفسه، والجاهل عدو نفسه ، على كل من يتكلم في هذا الدين أن يعلم أن هذا الدين لا يؤذن لأحد أن يتكلم فيه إلا بإذن من الله - U - { قل آالله أذن لكم أم على الله تفترون } هل أذن الله بهذا الذي يقوله أو شيئ من عنده .

بعض طلبة العلم -أصلحهم الله- إذا جاءت المسألة وهو لا يعرفها ولم يدرسها الأصل الإباحة، والأصل براءة الذمة، فيجوز ، ولا بأس، ولا حرج ، ومنهم من يقول لا أعلم دليلا يحرم هذا -ما شاء الله-! ، منهم من يقول لا أرى بهذا بأسا !، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، لماذا لا يقول : لم

أتعلم هذه المسألة هذه المسألة لا علم لي بها ، ما قرأتها ، كلمة يسيرة قد يكتب الله له بها رضاه إلى يوم يلقاه ، إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالا يكتب الله له بها رضاه إلى يوم يلقاه

طالب العلم عليه أن يعلم أن عليه النصيحة للدين، والنصيحة للكتاب، وللسنة سنة رسول الله - r - وهو المعبر عنه لله ولكتابه ولرسوله –عليه الصلاة والسلام- ولأئمة المسلمين وعامتهم .

ومن النصيحة لعامة المسلمين أنك إذا جهلت حكما أن ترد إلى العلماء ، بل من النصيحة أن لا تتكلم في المسائل، وهناك من هو أعلم منك ، تقول: فلان أعلم مني اذهبوا فاسألوه ، قال علي – t - : أتسألوني وفيكم صاحب السوادين والنعلين ، علي – t - أمير المؤمني،ن ورابع الخلفاء الراشدين المهديين، الذي شهد له النبي – r - بأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله ومع هذا كله في علمه وقضائه وفتواه وصلاحه وورعه لما جاءه أهل الكوفة يسألونه، ماذا قال ؟ أتسألوني وفيكم صاحب السوادين والنعلين –يعني عبدالله بن مسعود- .

انظروا كيف الفضل ما قامت هذه الأمة إلا على النصيحة ، عرّف الناس بفضل أهل الفضل ، وردهم إلى ابن مسعود مع أنه بالإجماع علم علي أوسع وأكبر من علم ابن مسعود – t - ، ولكن هكذا قام الدين، وهكذا قام السلف الصالح بالنصيحة لهذه الأمة ، كان الرجل عنده علم ويحيل إلى

غيره وهو دونه، لكي يعرف الناس فضل أهل الفضل ، فما بالك إذا كان جاهلا ويزاحم العلماء ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

على طالب العلم أن يعلم أنه إذا أراد بالقول على الله بدون علم رفعة عند الناس؛ زاده الله ضعة ، وأنه إن أراد بها عزة؛ أذله الله ، وأنه إذا أراد بها كرامة؛ أهانه الله ، وأن العزة من الله ، وأن الكرامة من الله ، وأن الرفعة من الله ، فمن رفعه الله؛ فهو المرتفع ولو وضعه الناس .

عليك أن تتعلم لا أدري ، ومن لم يعلم لا أدري أصيبت مقاتله ، فهذا الاسترسال وبخاصة من طلبة العلم ؛ لأنهم قدوة . البعض يظن أنه إذا جلس مجلسا أو مجلسين أو حمل كتابا إلى مجلس العلم أو مجلس فيه العلم أنه أصبح مؤهلاً لأَنْ يتكلم في العلم ، العلم يحتاج إلى سنوات وأعمار تقضى لضبطه ، ثم يحتاج الإنسان إلى سنوات وأعمار يتعلم فيها الورع والخوف من الله ، ثم يحتاج ويفتقر إلى قدوة صالحة تعلمه كيف يتكلم، ومتى يتكلم، وبماذا يتكلم؟ ومتى يسكت ؟ وعن أي شيء يسكت ، علم وعمل ، أما هذا الاسترسال في الفتاوى وأدهى من ذلك وأمرّ إذا كانت هذه الفتاوى اعتراضاً على أهل العلم ، وتشكيكاً في فتاويهم ، وطعناً في علمهم وانتقاصاً لما ذكروه من الحق الذي بينوه .

إن من أهل العلم من يفتي في المسألة وبين عينيه الجنة والنار، وقد أرضى الله في فتواه ، وبيّن الدليل وقد في بعض الأحيان يفتي ولا يتيسر له أن يبيّن الدليل أو لا يتيسر له أن يوضح الدليل، فيأتي من ضاق عَطَنه وساء

فهمه وسقم قلبه –والعياذ بالله- لكي يرد هذا الحق، الذي أسفرت دلائل الكتاب والسنة عليه ، أولا : ليس بأهل أن ينافس العلماء، وليس بأهل أن يجادل أهل العلم فضلا عن أن يرد قولهم الذي دلت عليه الأدلة من كتاب الله وسنة النبي - r - .

فالإفتاء والفتوى إذا صدرت من الأهل، وأراد وجه الله فيما يقوله ويفتي به الناس بارك الله له في قوله وبارك الله له في علمه ، وأُجِر كل من يحمل أمثال هذه الفتاوى عن أهل العلم الربانيين المؤتسين بهدي الكتاب المبين وسنة النبي - r - ، وعظم خيرها ونفعها للأمة ، والمنبغي لطالب العلم أن يحرص على مثل هذا ؛ لأن الله يأجره بنشر العلم ، وأما إذا كانت الفتوى صادرا من غير الأهل فإن هذا مما حرّم الله ورسوله –عليه الصلاة والسلام- ، ولكن يشترك في هذا الإثم والتحريم عدة أناس يكون لهم دور في انتشار مثل هذا الباطل ، ومعونة أمثال هؤلاء ممن ليسوا بأهل للفتوى، فأول من يأثم هذا الجاهل ولو كان يتسمّى بالعلم إذا أفتى في شيء لا يعلمه ، فإنه إذا تكلّم في مسألة لم يحسنها، وليس عنده بيّنة ودليل عليها فقد هلك وأهلك غيره ، وحينئذ يتحمّل كل ما يترتّب على هذه الفتوى الخاطئة ، كل من تكلّم في الدين بكلام غير مبنيّ على أصل وحجة وبرهان فقال في دين الله –U - وأخطأ في دين الله - U - فإنه يتحمّل جميع ما يترتّب على خطئه وكل طالب علم سئل عن مسألة في العقيدة أو في الفقه والأحكام في العبادات في المعاملات وأجاب وهو لا يعلم المسألة وليس

بأهل أن يفتي فيها فلو نقل عنه هذا الجواب وعمل به أحد كان عليه وزره وإثمه ، ولو تعلمها أحد كان عليه وزره وإثمه ، وهكذا ولربما بقي في إثمها إلى يوم الدين ، وهذا من تبعات : لا بأس ، ولا حرج، والجرأة على الله ورسوله -عليه الصلاة والسلام- ، هذا دين ، هذا شرع لله ، له سبيل لا يمكن أن يتغير ولا أن يتبدل ولا يمكن لأحد أن يرضي الله بغير هذا السبيل { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه } من اتباع الصراط المستقيم أنه إذا سئل عن مسألة وأمامه من هو أهل للعلم فقد اتبع الصراط المستقيم ؛ لأن الله قال له : { فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون } وإن أفتى من عنده فإنه لم يتبع الصراط المستقيم ، وحينئذ {ليحملنّ أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون }، {ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا }، (منْ) بمعنى (لا) ، أي ولا أظلم ممن افترى على الله كذبا ، ولربما تجد الشخص في طاعة الله، يصوم نهاره ، ويقوم ليله ، ويحافظ على صلواته، وبكلمة واحدة في الدين والشرع لا يجوز أو يجوز يكون من الهالكين .

فعلينا أن نزمّ أنفسنا بزمام الورع والتقوى ، يتحمل المسؤولية المتكلم ، يتحمل المسؤولية السائل ، هذا التساهل في سؤال من ليس بأهل، وهذا التساهل في فتح الباب لكي يفتي كل من هبّ ودبّ فإذا جئت إلى شخص تسأله وأنت تعلم أنه ليس بأهل للفتوى فإنك تتحمّل كل ما يترتّب على سؤالك ، البعض يجلس في مناسبة على غداء أو عشاء ويرى رجلاً يعلم

أنه جاهل أو يرى شخصاً أنه طويلب علم وقد يكون من جماعته أو قرابته ويريد أن يفتخر به أمام الناس : يا شيخ ما حكم كذا وكذا ! وعلـم الله من قرارة قلبه أنه لا يراه أهلًا للفتوى ، ولكنها حمّية الجاهلية لا حمية الدين ، وعندها لا يملك ذلك الرجل إلا أن يفتي وأن يتكلم بدون علـم لكـي يتحمّل هذا المسكين التبعات، ويتحمل الأوزار بينه وبين الله - U - ، كل من حضر هذا المجلس وأخذ منه أن هذا يُسأل سيتحمّل مسـؤوليته ، لأنه سنّ له سنة سيئة فيتحمل إثمها .

إن الأمر عظيم، والقدوة هم طلاب العلم بعد العلماء ، على طلاب العلم أن يعلموا الناس الورع بأنفسهم حينما لا يسألون ولا ينقلون فتـاوى إلا من يوثق بعلمه وفتواه .

وكذلك أيضا كما أن الفتوى عن طالب العلم تجده يفتي في دين الله بغير علم ، كذلك أيضا تجده يجرأ بمجرد أن يُنظر إليه أنه طالب علم فـيجلس في مناسبة في غداء أو عشاء أو زواج لكي يقول للناس فلان اسمعوا منـه، وفلان لا تسمعوا ، وفلان ضال، وفلان مهتدٍ ، وينصّب نفسه لكي يفتح أبواب الجنة بزعمه لمن شاء ، وأبواب النار لمن شاء ، فهذا من الضـالين، وهذا من الناجين ، وهذا من كذا ، وهذا من كذا ، والله يقول لنبيّـه : { لست عليهم بمصيطر } { ما أنت عليهم بوكيل } فما هذا التعالي ، بـل لربما يقف أمام علماء راسخين لكي يشكك في علمهم ويهينهم ويـذلهم، وهذه سنة الله في أوليائه ، فإن الحق دائما ممتهن ، ولذلك أنـت تقـرأ في

القرآن ماذا قال الكافرون ؟ { قالوا للحق لما جاءهم هذا ساحر كذاب } على رسول الله – r - ساحر كذاب ، وهكذا تجـد مرضـى القلـوب وضعاف النفوس من الحسدة الذين لا يعرفون من أهل العلـم والفضـل شيء إلا أن ينتقصوهم ويثلبوهم ويهينوهم ويركبون المزاعم أنهم ضـالون وأنهم لا يعرفون الفتوى ، فلان لا يعرف من الفتوى شيئاً ، فلان لا يعرف من العقيدة شيئاً ، وهذا المسكين لا يدري أنه ستكتب شهادتهم ويُسـألون ، وليُرمَيَنّ بين يدي الله حافيا عاريا لكي يُسأل كيف قيّم الناس وكيـف نصّب نفسه ، ومن الذي أعطاه الولاية لكي يجعل فلاناً من أهل الفتـوى وفلان ليس من أهل الفتوى .

على الناس وعلى طلاب العلم وعلى العلماء أولا أن يتقـوا الله في أمـة محمد – r - وأن ينصحوا لها ، وأن يبينوا لها دينها وشرعها بما دل عليـه دليل الكتاب والسنة ، وعلى المسلم مع هذا كله أن لا يضعف ولا يجـبن ولا يتألم من نفاق المنافقين وفتن المفتونين وكثرة المرجفين وكثرة من يفـتي بدون علم فإن الله - U - مبقٍ كلمته، ومتم نوره، كـره مـن كـره ، ورضي من رضي ، وليبقين هذا الحق ما بقي المَلَوان وتتابع الزمـان، بعـز عزيز، وذل ذليل { وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا } فلا تتألم ولا تضعف، ولا تقُل إن الدين قد ذهب؛ لأنه كلمة الله ، والله – U - مبقٍ كلمتـه ، ومتم نوره ، وليأتين يوم يذهب فيه كذب الكذابين، ونفاق المنافقين ، فإن تكلم المتكلمون وأفتى المفتون فوالله ، لا يبقى إلا ما أريد بـه وجـه الله ،

ونسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن ينصر دينه، وأن يعلي كلمته ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك – r - وعبادك الصالحين ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين ، اللهم انصر دينـــك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين ، اللهم عجل للأمة بالفرَج ، اللهم عجل للأمة بالفرَج وأعذها من فتن المفتونين ومن إرجاف المرجفين ومـــن ضلال المضلين برحمتك يا أرحم الراحمين ، ثبتنا على الحق حتى نلقاك وأنت راض عنا يا أرحم الراحمين ، اللهم ارزقنا التمسك بالسنة عند فساد الأمة ، اللهم ارزقنا التمسك بالسنة عند فساد الأمة.

أحينا عليها وأمتنا عليها ، واحشرنا في زمرة أهلها ، غـــير مبـــدلين ولا نادمين ولا مغيرين، برحمتك يا أرحم الراحمين .

نسألك اللهم أن تدفع عنا إرجاف المرجفين، وكذب الكذابين، وغـــش الغشاشين ، وأن تثبتنا على الحق يا رب العالمين ، سبحان ربك رب العـــزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

السؤال : أحياناً تزدحم على طالب العلم بعض الأمور المختلفة كزيارة الرحم والتوسعة على الأهل وما لديه من دروس فكيف يتعامل مع هذه المهام بالطريقة المثلى ؟

الجواب :

والله هذا سؤال في الحقيقة يحتاج إلى نظر :

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

أولاً : من حيث الأصل قَدَّم الواجب على غير الواجب بر الوالدين فرض وهذا الفرض مقدم في الحق على غيره من حقوق الآخرين ، فإذا سألك والداك أو احتاج الوالد أن تأتي عنده في القرية أو تأتي عنده في المزرعة أو تأتي عنده في تجارته تقدم هذا الواجب وتتقرب إلى الله - U - بذلك ، إذا كانت الواجبات تقدم على غير الواجبات فلو أن شخصاً أو جماعة دعوك إلى سفر لعمرة أو إلى الصلاة في مسجد النبي - r - أو نحو ذلك تقول هذا مستحب وبر الوالدين واجب تقدم الواجب على المستحب .

الواجبات إذا ازدحمت تقدم الآكد على غير الآكد فمثلاً إذا نظرنا إلى حق القريب نجده من حيث الأصل حق واجب على المسلم أن يصله هذا القريب محتاج إليك ، مريض يحتاج أن تكون معه ، جاءته ضائقة ، جاءه ظرف ، يريدك أن تكون معه ، وهناك مثلاً صديق عنده ظرف أيضاً ويحتاج إلى أن تكون معه إذا نظرت وتأكد عليك هذا الصديق ليس له غيرك والقريب ليس له غيرك بعد الله - U - فحينئذٍ أيهما يقدم في الحق ؟ الحق الآكد حق القريب فتقدم حق القريب ثم الأقرب فالأقرب ؛ لأن النبي - r - قال : ((ثم أدناك أدناك)) فجعل الحقوق مرتبة والله - U - جعل لكل شيء قدراً ، والمسلم ينظر دائماً للحقوق المؤكدة .

الفضائل والمستحبات والمندوبات يُقدم فيها المتعدي على القاصر هذه قاعدة في التفضيل الشيء المتعدي ونفعه على الشيء القاصر عليك نفعه مثل ما ذكرنا في قصة النبي - r - مع وفد عبد قيس ، تقدم الشيء الذي

لا يمكن تداركه على الشيء الذي يمكن تداركه مثلاً لو أنك أثناء الإجازة عندك أشياء لو أخرتها عن الإجازة لا يمكن تداركها وأشياء من المستحبات لو أخرتها عن الإجازة أمكن تحقيقها في غير الإجازة ولو بعض الشيء تقدم الذي لا يمكن تحقيقه بعد الإجازة مطلقاً على الشيء الذي يمكن تحقيقه بعد الإجازة بعض الشيء هذه كلها أمور لها قواعد وضوابط ، إذا ازدحمت عندك طبعاً تزدحم مع اتحاد الجنس كأن يكون كلها علوم وهذه علوم ما تدري تذهب إلى هذه الحلقة أو هذه الحلقة أو هذه الحلقة ، عندك تفضيل من جهة هذه الحلقات إذا كانت الحلقة في علمٍ يحتاج إليه حاجة ماسة في علم تكثر أخطاء الناس فيه ، في علم عالمه يضبطه أكثر ويتقنه أكثر ولا يتيسر لك في غير العطلة تقدم من هذه الوجوه وتراعي التفضيل من هذه الوجوه وهذا ليس خاص بالإجازة وغيرها هذه أصول عامة ، وعند العلماء مبحث التفضيل تكلموا عليه في كتب القواعد الفقهيه في قواعد التفضيل ، فعلى كل حال تقدم الأشياء الواجبة على الأشياء المندوبة والمستحبة والسنن والرغائب تقدم الواجبات المؤكدة على الواجبات غير المؤكدة ، تقدم الواجبات - إذا ازدحمت واستوت مراتبها - التي لا يمكن تداركها على التي يمكن تداركها .

وتراعي في هذا كله النية الصالحة يعني إذا اخترت شيئاً أن تنوي في قرارة قلبك لولا انشغالك بهذا الشيء أنك فعلت ذلك الشيء حتى تؤجر بعملك ونيتك بعملك لما اخترت وبنيتك لغير ما اخترت .

وجماع الخير كله في تقوى الله - U - ، ثم سؤال العلماء طالب العلم بل كل إنسان ينبغي عليه أن يرجع إلى أهل العلم وما خاب من استخار ولا ندم من استشار ، فالذي يسأل أهل العلم ويرجع إلى أهل العلم في الأمور الشرعية لاشك أنه سيكون على بصيرة من أمره ويوفق ويسدد ، ومن العجيب وليس هذا من الله ببعيد من العجيب المجرّب أنك لن تأتي في أمر من الأمور تستشير أحداً من أهل العلم وهذا مجرب فيشير عليك بمشورة إلا وضع الله البركة فيما أشار عليك إن عاجلاً أو آجلاً أو هما معاً ومن أراد أن يجرب فليجرب فهذه نعمة من الله - I - خاصةً إذا رُزق من تستشيره العقل فإذا ازدحمت عندك الأمور إذا كانت شرعية ترجع إلى أهل العلم ، وإذا كانت أمور دنيويه ومصالح دنيوية فارجع إلى أهل العقل والأمانة شرطان لابد من توفرهما في من تستشير :

أولاً : العقل .

وثانياً : الأمانة فالذي عنده عقل أبعد منك نظراً وأعرف منك بالحظوظ والمفاسد والمصالح ، وكذلك - أيضاً - لابد أن يكون أميناً لأنه ربما كان عاقلاً فاهماً لا أمانة عنده -والعياذ بالله- خائناً للأمانة وليس عنده نصيحة فإذا رزقك الله - U - العلم باستشارة أهل العلم والعقل ، ومن هنا كان يقول بعض العلماء -رحمهم الله- : من الناس من رُزق العلم أكثر من العقل عنده علم كثير لكن عقله صغير ، ومنهم من رُزق العقل أكثر من العلم فعقله أكثر من علمه موجود هذا في الناس بعض الناس طالب علم

لكن علمه قليل إلا أن عنده من رجاحة العقل وبعد النظر الشيء الكثير وهذه هبة من الله - U - ، ومن الناس من جمع الله له بين الحسنيين علم وعقل جمع الله له بين العلم والعقل فهذا بخير المنازل وبأفضل ما يكون ، فإذا أراد الإنسان أن يستشير إن كان لأمر ديني فلا إشكال يرجع إلى العلماء وواجب عليه أن يرجع إلى أهل العلم ، وإن كان في أمر دنيوي فإنه يرجع إلى من هو أعقل

شاورْ أَخَاكَ إذا نابَتْكَ نائِبَةٌ يوماً * وإنْ كُنْتَ مِن أَهلِ المَشُورَاتِ

فـــالعـــينُ تُبْصِرُ ما دنَا ونأ ******وَلاَ تَرَى مَـــا بِهَا إلا بِمــــرْآتِـــي

فالإنسان العاقل الحكيم الذي تأمنه على دينك وعرضك وأهلك تستشيره ، وهنا ننبه على مسألة مهمة جداً وهي أن بعضاً من طلاب العلم - أصلحهم الله - تـــنـــزل مسائل شرعية فيأتي الشخص ويقول : والله ما أدري أفعل كذا أو كذا والدي يأمرني ووالدتي تأمرني أو كذا يتعلق بالدين فتجد هذا يعطيه رأياً والآخر يعطيه رأياً ، والمنبغي على طالب العلم ألاَّ يفتي في المسائل الشرعية إلا إذا كان أهلاً فالعجب أنك تسمع بعض طلاب العلم يجيبه ويعطيه قاعدة ويعطيه أصل يعني يفتي وينظر ويقعد ويستدل وهو ليس بأهل لذلك كله فلا يتقحم المسلم النار على بصيرة هذه نار الله الموقدة القول على الله بدون علم حتى في الرأي لا تستهين بهذه الأمور لا تأتي لأخيك في أمر شرعي ولو في طلب العلم لا تقول : إفعل كذا واترك وكذا - يا إخوان - تحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ،

الأمور الشرعية تناط بأهل العلم ويرجع فيها إلى أهل العلم الذين هم أعلم وأحكم ، فنحن نقول هذا لأنه يأتينا بعض الأخيار ويقول : والله قال لي بعض طلاب العلم لا تفعل كذا وافعل كذا ، وبعضهم يقول إن فعلت كذا أثمت فهذا لايجوز تحليل الحرام كتحريم الحلال ، والمنبغي الرجوع إلى من أمر الله بالرجوع إليهم من أهل العلم وتقوى الله - U - وعلى كل شخص يستشيره أخوه أو يشاوره أن ينصح له ، وخاصةً إذا أراد الإنسان أن ينصح الأخيار الأتقياء كإمام المسجد إذا كان فيه صلاح وورع يسأله ويشاوره في أمور الدين .

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يهيء لنا من أمورنا رشداً وأن يسلك بنا أفضل السبل إنه ولي ذلك والقادر عليه .

السؤال : أنا شاب أحببت طلب العلم وأرجوا من الله أن يوفقني فيه ولكن مشكلتي هي أنني أحياناً لا أحب أن أنصح إخواني لطلب العلم بل ربما أعلم أن هناك شاباً يحب طلب العلم فلا أنصحه في بعض ما يحتاجه المبتدئون وكل هذا خوفاً مني أن يكون أفضل مني أو يتقرب إلى الله أكثر مني وأنا أعلم أن هذا ليس من أخلاق طالب العلم فأرشدني أثابك الله ؟

الجواب :

هذا بلاء - نسأل الله السلامة والعافية - بلاء عظيم ، والشخص إذا حُرم إفادة الغير بالعلم فليعلم أنه محقت بركة علمه ، العلم ما قام إلا على نفع

المسلمين ؛ لأن العلم تبليغ رسالة وأداء أمانة إذا أراد الله بعبده السعادة والخير بعد الهداية شرح صدره للعلم هذه أول نفحات الله - U - بعد الهداية أن يشرح صدره للعلم .

فإذا وفقه محبة العلم والرغبة في العلم يسر له من يوثق في دينه وأمانته من أجل أن يعلمه أن يكون علمه علماً صواباً وحقاً ما يذهب يجثو على ركبتيه عند أئمة الضلال الذين لاعلم عندهم أو المتعالمون أو نحو ذلك .

ثالثاً : إذا وفقه الله - U - لشهود مجالسهم وضبط أقوالهم وانشرح صدره لهذا العلم فقذق في قلبه حبه وحب ما يقولون ، وحب ما يعملون فإذا وفق لهذه المرتبة حمل هم العمل بما علم فيفتح الله - U - عليه باب العمل فلا يتكلم كلمة في مجلس إلا طبقها ، ولاسمع نصيحة إلا التزمها ، وانتقل إلى أهله وولده وهو كامل بتكميل الله - U - له في نفسه ، فإذا أراد الله - U - أن يسعده وأن يوفقه وأن يجعل علمه نعمة عليه في الدنيا والآخرة رزقه نشر هذا العلم ، فإذاً علم ، ثم عمل ، ثم تعليم وهذا هو الذي عناه الله - U - بقوله : { وَالْعَصْرِ @ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ @ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } فذكر أنهم هدوا الغير لما اهتدوا فهم مهتدون في أنفسهم ، هداة لغيرهم رحمة من الله - U - رحمهم الله في أنفسهم ، ثم رحم بهم خلقه ، ورحم بهم عبيده ، فإذا كان الإنسان أنانياً -والعياذ بالله- ولا يحب أن ينشر الخير لإخوانه فهذا بلاء .

وأوصيك بأمور : إما أن يكون هذا البلاء جاء بسبب ذنب فالإنسان قد يلتزم وقد يهتدي وعنده من أدران الجاهلية ما لم يتطهر منه ، ولذلك - دائماً - العبد يسأل الله أن يطهر قلبه ؛ لأن الله يقول : { أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ } ، فقد تكون الهداية كاملة وقد تكون ناقصة ، والهداية الناقصة أن يلتزم وعنده أدران من الجاهلية وعنده ظلمات في قلبه من الجاهلية ، من الغل ، من الحسد ، من البغضاء ، من سوء الظن بالمسلمين ، من محبة تتبع عثرات الناس ، تجده شاباً ملتزماً ثم عنده ابتلاء مثلاً مولع بأذية الناس-نسأل الله السلامة والعافية- فهو التزم بذكر القبر والنار ؛ لكنها لم تهذب سلوكه ولم تقوم طريقه ومنهجه فينطلق-والعياذ بالله- بأدران الجاهلية ، ولذلك تعجب ترى إنساناً صالحاً ديناً ثم ترى منه من أمور من أدران الجاهلية عجيبة خاصةً في أذية الناس ، والإضرار بهم لأنه أسلم قالباً ولم يسلم قلبه ، ومن أهم ما ينبغي للإنسان أن يبدأ به قرارة قلبه فيسلمها على العقيدة بحق وبصدق لا بكذب وتنميق وتضخيم وتحت غرور أنه عبد صالح وأنه قد أصاب حد ، الصحابة -رضوان الله عليهم- كان الرجل منهم يخاف النفاق حتى قُبضت روحه من شدة الخوف والوجل والإحسان في العمل ، فالإنسان يهذب سلوكه فقد يكون-والعياذ بالله- أنه ألتزم وبقيت عنده هذه الآفة وهذه يعرفها من يعرفها ، فإن من كان مبتلاً بهذا البلاء يسأل نفسه ماذا كان عنده قبل التزامه وهدايته فإن كان يعرف من نفسه هذا فليعلم أنه أسلم ولم يسلم

قلبه إلى الإسلام تاماً كاملاً .

ثانياً : قد يكون بعيداً عن هذا ليس عنده آفات عبداً صالحاً مستقيماً ؛ ولكن أُبتلي بهذا بلاءً من الله ، ابتلي بسبب عقوق والديه أو قطيعة رحم ، أو همز عالم ، أو تتبع عثرة الدعاة ، أو الكلام في أهل الخير والصلاح فابتلاه الله بفتنة ، وخذها قاعدة أن فتن الدين غالباً ما تأتي إلا بسبب ما يكون بين العبد وربه في القلب { إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ } يكون الإنسان كأحسن ما أنت رائيه ملتزم ثم فجأة يتتبع عثرات العلماء أو يتتبع عثرات الدعاة الأموات أو الأحياء ، أو ينتقصهم أو ينظر إليهم نظرة فيمقته الله- U - بذلك { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } ، كان مهتدياً صالحاً كما قال النبي- r - : ((سلم المسلمون من يده ولسانه)) ثم أصبح -والعياذ بالله- خارجاً عن طوره فاغتر بنفسه فتعالى على عباد الله ، أو احتقر خلق الله- U - ، فابتلاه الله ، موسى- u - لمّا قال : أنا أعلم عتب الله عليه من فوق سبع سموات وهو كليم الله وقال له إنا بمجمع البحرين من هو أعلم منك وهو نبي يقول : { إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ } هذا المقام العظيم الذي اصطفاه الله- U - وبهذا التشريف { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً } لما جاء فقط عند حاجة معينة حصل فيها ما حصل عتب الله عليه من فوق سبع سموات ،فكيف بمن يركب على ظهور الناس ! أو تحصل منه زلـــة أو هنة لا تأمن أن الله- U - يبتليه فهذه

ابتلاءات تأتي في القلوب بسبب الذنوب ، ومن أعظم ما يفتح على العبد الملتزم الهادي الصالح البلاء بعد حق الله- U - حقوق العباد ، ولذلك إحذر وأنت في طلب العلم أنت تنتقص أحداً ، أو تتكلم في أحد ، أو تذم أحداً ، أو تحمل في قلبك غلاً على أحد من أولياء الله- U - عليك أن تنتبه وأن تحذر من ذلك كل الحذر ؛ لأن هذه الفتن التي يحرم بها الإنسان بركة العلم وقبول العلم والنفع بالعلم كثير منها بسبب الظلم ؛ لأن النبي- r - أخبر أنه ظلمات ، فالقلب لايمكن أن يستنير والنور أين محله ؟ محله القلب { إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً } النور الذي في القلوب يطمس بظلمات الظلم ، وإذا كان الإنسان لم يهذب نفسه سلبه الله- U - البركة في عمره وقوله وعمله ، فالحذر من الذنوب .

فلذلك أدعوك إذا كان هذا الأمر قد جد عليك وطرأ أن تتفقد نفسك ماذا قلت ؟ وماذا عملت ؟ فلعل مسلماً ظلمته ، ولعل مسلماً آذيته فحرمت الخير بسبب أذيته فتسأله أن يسامحك وتتحلل من مظلمته وتبتعد من إساءته .

وأوصيك أخي في الله بأمر لا أظن أن هناك فرج ومخرج أعظم منه وهو دعاء الله- I - فاشتك إلى الحي القيوم الذي لاتأخذه سنة ولانوم ، وأن تتوكل على الحي الذي لايموت حتى ينـــز ع ما في قلبك فإن هذا بلاء عظيم ، وإن لم يتداركك الله برحمته فإنه شيء يخشى منه عليك أن لا تبقى لك بركة في علمك فيبتليك إذا أحد يريد أن يتعلم هذا العلم دون أن

يوطن نفسه على بذله للناس وبذله للخير بالوجه الذي يستطيع ، فلايكون الإنسان أنانياً لاطالب علم ولا معلماً ، لامعلماً حينما تعلم شيء وتستطيع أن تعطيه لأخيك وتدله ، ولا طالب علم أيضاً يعني بحيث أنك تكون أناني وتريد الشيخ لك وحدك أو نحو هذا فهذا أمر تحذره قدر المستطاع وتطلب العلم أنّى وجدته أخذته وحرصت على نفع المسلمين نسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، أن يجعلنا هداة مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين .

السؤال :

أنا من طلاب العلم وأشتكي من بعض التصرفات من إخواني الطلاب فما توجيهكم -أثابكم الله- ؟

الجواب :

الدنيا كلها كدر ولابد من الصبر ولايسلو المؤمن في هذه الدنيا إلا بالصبر فبالصبر تقوى نفسه وتثبت عزيمته يقول عمر بن الخطاب رضي الله وأرضاه- : وجدنا ألذ عيشنا بالصبر " هل وجدت أحداً مرتاحاً في هذه الدنيا وهل وجدت أحداً مطمئناً دون أن يجد منغصاً أو كدراً في هذه الحياة { لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ } اللام وقد التي تفيد التحقيق { لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ } في تعب وعناء ولا يزال المؤمن من هم إلى هم ومن غم إلى غم حتى تطأ قدمه الجنة فتتبدد عنه همومه وغمومه ويقول :

إذا رأى نعيمها وسرورها { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ } .

أخي في الله أوصيك أن تحمد نعمة الله تعالى عليك وأن تحس أن الله تعالى يوم اختارك طالباً للعلم أنه قد أعطاك أحسن ما يعطى بعد الإيمان بالله وهو أن تطلب العلم فإن زكوت واستقمت وصلحت سريرتك وطابت سيرتك وزكت علانيتك بوأك الله مبوأ صدق في الدنيا والآخرة ، ولن ترى من ربك إلا كل خير فو الله ثم والله نشهد لله في هذا العلم بكل خير ورحمة فما من أحدٍ يطلب هذا العلم صابراً فيه محتسباً لوجه باريه إلا أحسن الله له العاقبة في الدنيا والآخرة ولن تجد أحداً أسعد من أهل العلم وطلاب العلم ؛ لكن لو شعروا بالسعادة .

أخي في الله : إن وجدت أذية أو ضيقاً فاعلم أن العلم لاينال بالتشهي ولا بالتمني ولكن بالعناء والنصب وهذا التعب والنصب هو الذي يبوأ الله به عبده مبوأ صدق في الدنيا والآخرة

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يعدم والإقدام قد قتّال

فبهذه المشقات وبهذه المنغصات وبهذه المكدرات تتبوأ الدرجات العلى في الجنات قال صلى الله عليه وسلم: ((حفت الجنة بالمكاره)) .

ثم الأمر الثاني : مما يهون عليك ومما يوصى به الإنسان خاصةً إذا أراد أن يطلب العلم أن يعظم بعد الله تعالى وكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعظم أمرين ويحبهما في الله تعالى ويعتقد هذه المحبة خالصةً لوجه الله تعالى .

أولهما : أهل العلم فلن يفلح طالب علم في علمه لم يعظم أهل العلم ما يعظمهم تعظيم الغلو ؛ وإنما يعظمهم في الحدود الشرعية أن يحس أن الله - تعالى - أعطاهم هذه الأنوار من كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيحبهم ويجلهم ويقدرهم ويوقرهم ويصبر على كل أذية منهم أخي في الله قد يؤذيك طالب علم زميلٌ لك مما تشتكي منه تأتي تريد أن تسأل الشيخ مثلاً يسبقك ويتنافس معك لكن هل تعلم من هو هذا الطالب تعلم من هو هذا المجد المثابر الذي تعلق قلبه بمحبة العلم فاستولى على مشاعره فلم يلتفت إلى من عن يمينه ويساره لو أن كل طالب علم شعر من هو طالب العلم الذي يرافقه شعر بحرمته في الإسلام وشعر بحقه في طلب العلم لهانت علينا كثير من التصرفات والله من المجرب أن الإنسان حينما يدخل المسجد ويعتقد أنه أقل الناس وأنه أحقر الناس وأنه أضعف الناس وأنه وأنه ... حتى يرفع الله درجته تهون عليه تصرفات الناس كلها وعندها يرضى عنه ربه ويعظم أجره هذا الطالب طالب العلم قد يكون في ذلك اليوم ترك أعز الأشياء إليه في ماله وولده وأهله وجاء من أجل طلب العلم فلاتستغرب منه أن يأتي كالبعير الهائج على الشيخ ؛ لأنــــه ضحى بالشيء

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

الكثير وقد يكون أتى من مسافات بعيده ، وقد يكون ضحى بأشياء عزيزه عليه فحينما تحس من هم طلاب العلم وتحس من هذا الذي ضحى بوقته وجاء تاركاً لأشغاله وأعماله تحس أنه شيء عزيز وأنه شيء غالٍ ولو كان مرقع الثياب فقير الحال فقد يكون عند الله أعظم منـــزلة من غيره فقد يكون لايملك إلا قوت يومه ومع ذلك يضحي في ركوب سياره من أجل أن يصل إلى الدرس لو أن كل طالب علم يستشعر أن طلاب العلم ضحوا وأنه لم يضح وأن كل طلاب العلم قدموا وأنه لم يقدم حس أن طلاب العلم شيء كثير وصبر على تصرفاتهم وعذرهم وأحبهم فتأتلف القلوب بهذا .

كذلك - أيضاً - يعلم كل إنسان كما أننا نوصي هذا الطالب بالصبر نوصي أيضاً طالب علم أن لايؤذي إخوانه لايجوز للمسلم أن يؤذي إخوانه وأذية المسلم للمسلم محرمة ؛ ولكنها لطالب العلم أعظم حرمة عند الله -U- فانتبه واحذر - يا إخوان - القرب من أهل العلم بلاء ومصيبة والله البعض يظن أن القرب هكذا ربما يتقرب طالب العلم إلى شيخ ويبوء بسيئات لم تخطر له على بال ؛ لأنه ربما يتصرف تصرفاً يُنَفِّر أخاه من طلب العلم وربما يتصرف تصرفاً مع الشيخ يكرهه في إفادة طلاب العلم سلاح ذو حدين إما إلى الجنة ، وإما إلى النار ، ولذلك الله تعالى نبهنا إلى هذا فهؤلاء الصحابة الذين تبوؤا المقامات العلى من الجنة كيف نزلت عليهم قوارع التنـــزيل تأمرهم بالأدب مع أن صحبة النبي

صلى الله عليه وسلم عزيزة وغالية ؛ لكن لو رفع صوته على صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحبط عمله -والعياذ بالله- يحبط عمله تحبط صلاته وزكاته وحجه وعمرته وهذا يدل على أن القرب من أهل العلم والفضل خطر ، فالإنسان يتأدب في مسائله يتأدب في تصرفاته مع إخوانه ما يؤذي أخاه ولايضيق على إخوانه مثلاً يستبد يريد هو وحده الذي يسأل ، ويريد هو وحده الذي يستشكل قد يأتي إنسان عنده كربة في زوجه مطلقه لايدري تحل له أو تحرم ؟ قد يأتي شخص مهموم مغموم يريد كلمة من الشيخ تعطي مجالاً لغيرك فينبغي أن تحذر من هذا أقرب وأن تعلم أنه خطر عليك كما أنه سبب في رحمة الله تعالى لك قد يكون سبباً في الخطأ والزلل والغرور ، فعلى الإنسان إذا اقترب من أهل العلم أو جلس في حلق الذكر أن ينتبه لمن حوله .

ثم كذلك - أيضاً - الوصية الثانية لهذا الذي يؤذي أن يعلم أن أبناء المسلمين أنهم ما جاؤا إلى بيوت الله ليهانوا وما جاؤا ليذلوا بعض طلاب العلم - مثلاً - يدفع أخاه أو يحس أنه أحق من أخيه وقد يأتي متأخراً أو يأتي من آخر الناس ويتخطى الحلقة ويأتي في وسط الحلقة ، الناس لهم حقوق وله حرمات والمسلم له حرمة ولو كان من كان له حرمة ينبغي أن تحفظ ولا تضيع ويكرم المسلم ولا يهان ويرفع ولا يوضع ؛ لأن الله أمرنا بإكرام المسلم فشيمة المسلم الموفق أن يستشعر هذا الشيء ، فعلى كل

طالب علم أن يحذر ووالله من خاف سلم ومن خاف في طلبه للعلم وصحبته لطلاب العلم من أذية طلاب العلم والإضرار بهم فإنه يسلم بإذن الله تعالى راقب نفسك في جميع تصرفاتك لا تزاحم ولا تؤذ ولا تضر ، نعم إذا زاحمت هناك أمور لابد منها يعني مثلاً الآن حينما نرى لطلاب العلم يزدحمون على الشيخ لا نلومهم عجيب تجد الناس يقولون : إيش هذا يرون الشيخ يخرج ومعه عشرون أو ثلاثون طالباً يقولون : إيش هذا ؟! ويرون على أفران التميس والعيش مئات الألوف ولا يقولون : إيش هذا ! نعم هذه حقيقة وهذا واقع نعم زمان أصبح المعروف فيه منكراً والمنكر معروفاً ، أناس يشترون رحمة الله تعالى تركوا بيوتهم وأهليهم وجاؤوا حفاة الأقدام يلهثون وراء أهـــل العلم يلتمسون زاداً لهم لآخرتهم إيش هذا ؟! هذا شيء غريب ؛ لكن إذا رآهم في الدنيا يصيحون ويهرجون ويبهرجون هذا شيء أبداً لايمكن أن ينكر هذا من المسلمات والبدهيات ؛ لأنه إذا ماتت القلوب فلا تسأل عن أحوالهم فلا يكون الإنسان ميت القلب ، ولذلك ينبغي علينا أن نستشعر مسؤولية طلاب العلم أمام الله ارتحل العلماء وذهب الأئمة وخوت الساحة وأصبحت المسؤولية عظيمة والكرب عظيم والشكوى إلى الله فمثل هؤلاء نهيئ لهم كل ما نستطيع وكل ما نقدر عليه من أجل أن يطلبوا العلم نحببهم ، ولا نكرههم ونرغبهم ولا ننفرهم ، ونيسر عليهم ولا نعسر ، قد تعسر بكلامٍ بعض الأحيان يأتي طالب العلم فيسأل أسئلة لا داعي لها وغيره أحوج إلى اسئلة

ترى طالب علم أكثر منك ذكاءً وأكثر ضبطاً ويستفاد من أسئلته قدمه وآثره حتى تستفيد يكون هناك وعي عند القرب من أهل العلم والجلوس في مجالس أهل العلم والموفق من وفقه الله فو الله ما زكت ولا صلحت سريرة عبدٍ إلا أصلح الله علانيته ووفقه وسدده ووالله سيطلب العلم من يطلبه فإما موفق سعيد يرزقه الله تعالى المراقبة التامة لأقواله وأفعاله وتصرفاته وانضباطه حتى يبوءه الله مبوأ صدقٍ بهذا فيكون محل الرضا عند علمائه ومشايخه ومحل الرضا عند إخوانه وستعاشر طلاب العلم وهم الصفوة فاحتسب عند الله -U- أن يأخذوا عنك هؤلاء هم شهود الله في الأرض وإذا شهد عليك طلاب العلم فهم أزكى الشهود يقول الشافعي : إذا لم يكن أولياء الله أهل العلم وطلبته فلا أدري من هو ولي الله ؟! هؤلاء هم الصفوة فإذا عاشرتهم وكنت معهم على المحبة والصفا والمودة والنقاء وعلى مراتب العلى في الإيثار والإخاء بارك الله لك وبارك في علمك وبارك في وقتك وما وجدنا من ربنا إلا كل خير فوجدنا طلاب علم تأدبوا مع مشايخهم وتأدبوا مع إخوانهم زكاهم الله في الدنيا قبل الآخرة ووجدنا من كان لا يبالي بطلاب العلم فظاً غليظاً والله إنني لأسأل بعض الزملاء عن بعض الزملاء أسأل بعض طلابهم ولا أحدثهم فيذكرون أموراً أنه في الدعوة وكذا ثم اسألهم من بعيد عن أشياء فإذا بهم يتذمرون يقولون : والله طلاب الشيخ يؤذونه وإني والله أعرفه أنه كان يؤذي مشايخه { جَزَاءً وِفَاقاً } يقول : لكن يا شيخ والله إنه داعية ويضحي بوقته لكن ما وفقه

الله مع طلابه أقول لهم ماذا يفعلون ما أقول لهم : إنه كان يفعل ما توفاني الله تعالى حتى رأيت بعيني وسمعت بأذني سنناً لله لا تتبدل ولا تتحول لايظن أحد أن الله غافل عن خلقه فليحذر طالب العلم واليوم يزرع وغداً يجني فمن زرع الخير كان له-ونسأل الله بعزته وجلاله أن يرزقنا السداد في القول والعمل إنه المرجو والأمل - .

السؤال : هل يستحب لطالب العلم في دراسته للفقه التوسع في مسائل الخلاف وأقوال العلماء ؟

الجواب :

نعم إذا أراد أن يتشوش ويتعب ويضيع يتوسع ، العلم حينما يؤخذ الفقه يؤخذ بالتدرج يبدأ بمذهب بالدليل ويأخذه ويؤصله ويراجع المرة تلو المرة ، ويقرأ في هذا الذي سمعه من الشيخ أو قرأه في الكتاب يقرأه المرة بعد المرة لأنه سيسأل أمام الله تعالى كل درس يحضره طالب العلم يسمع فيه حكماً شرعياً فقد تحمل أمام الله المسؤولية عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة ، لا يحسب أحد أنه إذا حضر مجالس العلماء أنه من باب إضاعة الوقت والتفكه والتندر أبداً ، هذه المسألة تسئل عن حفظها وضبطها خاصةً إذا كنت من طلاب العلم المتخصصين فيجب عليك إتقانها ، فالمشكلة أن بعض طلاب العلم بمجرد ما يأخذ هذه المسألة يذهب إلى أقوال العلماء وبحثها في المطولات فيدخل في بحر لا ساحل له ، طالب

العلم أول ما يبدأ بالتأصيل ويبدأ بصغار العلم قبل كباره ، فيأخذ من شيخه الزبدة والدليل ، ثم بعد ذلك إذا جاء أحد يشوش عليه بقول يخالف يسكته يقول له : أنا هذا الذي أعرفه هذا الشيخ أدين الله تعالى مثلاً متمكن في علمه اعتقد قوله بالدليل لأنك ستقف بين يدي الله وتعتقد شيئاً بالدليل ، الممنوع أن تتعصب لشيء بدون دليل ، فإذا قال لك الشيخ حكماً بالدليل تبقى عليه فإن جاءك شخص يشوش عليك بقول آخر بدليل آخر ، قل له : والله أنا ما بلغت درجة الاجتهاد حتى أعرف هل هذا الدليل يصح أو لا يصح ؟

ممكن يكون الحديث في الصحيحين لكن دلالته ما هي صحيحة ، وهذا ليس خاصاً بالمسائل حتى الفتاوى ، الحوادث الآن التي تقع تجد فتوى عن علماء أجلاء يذكرون قولاً ثم يأتي شخص ويعقب هذه الفتوى بعشرات الأحاديث والآيات ، والله لو تأمل المتأمل لوجد أنها لا علاقة لها بهذه المسألة التي أفتي فيها لا من قريب ولا من بعيد ، والسبب في هذا أن البعض يغتر ، بعض الأحيان مسألة يؤصلها العالم بأدلتها وحسن النظر فيها وهو يعرف كيف يفتي ولا يمكن أن تتجاوز الفتوى فيها خمسة أسطر ، ويأتيك شخص يؤلف كتاب فيها ، لأنه يجمع من هنا ويجمع ومن هناك ويأتي بأقوال العلماء ويسردها ويفهمها بفهمه ، ويؤولها بتأويله ويصوغها على حسب ما ظهر له ، وأما العالم التحرير فإنه يعرف ما الذي يقول ، ويعرف ما هي أصول الفتوى ، وكيف يخاطب الناس في فتاويه وكيف

يؤصل لأنه يعرف أن كل كلمة محسوبة وأن كل عبارة يمكن أن تؤول ويمكن أن تصرف فلذلك لا يتشتت طالب العلم ، فإذا وجدت إنساناً تثق بدينه وأمانته وعلمه ، أو شهد له أهل العلم أنه أهل من المتقدمين أو المتأخرين أو المعاصرين ودرست على يده وأخذت على يده فأنت تبقى على قوله بالدليل ؛ لكن اضبط هذا الذي تسمعه .

المشكلة أن طلاب العلم بعضهم لا يضبط الذي يسمعه ينشغل بشيء آخر فيقرأ كتباً كثيرة ثم يقول : والله أنا ما استطيع أن أركز ، عدم المنهجية وعدم وضوح الطريق الذي يسير عليه طالب العلم وثق ثقةً تامة أنك حينما تلخص كل درس وتلخص أحكامه بالأدلة وتعتقد هذه الأحكام بدليلها وتخاف من الله تعالى في كل شيء تنسبه إلى الشريعة أن لا تنسبه إلا بقول عالم يوثق في دينه وعلمه حتى في الفتاوى ، ليس كل شيء جاء ووجد منشورة فيها فتوى وأخذ يوزعها من باب بيان الحق وهو لا يعرف هل هذا الذي افتى بها إنسان من أهل العلم أو لا ؟ أو إنسان يوثق بدينه وقد تكون في المعضلات وفي المسائل التي يقف عليها مصير الأمة دون روية ، والمشكلة أنك لا تشك أن من يفعل هذا أو يَتّبع هذا أنه يريد الحق والخير ، والمشكلة حسن العاطفة الخوارج رفعوا القرآن على أسنة الرماح وقالوا لعلي لا حَكَمَ إلا الله أحد يستطيع أن يرد هذا القول ؟ هل يستطيع أحد أن يرد على شخص يقول لا حكم إلا الله ؟ ماذا قال علي رضي الله عنه وارضاه كلمة حق أريد بها باطل " فرسوخ علي رضي الله

عنه الذي كان يقال : إنه آية في الفقه رضي الله عنه وأرضاه- ملهماً في فقه القضايا حتى كان عمر رضي الله عنه يستعيذ بالله من قضية لا يحضرها أبو الحسن ، إذا جاءته النازلة أول ما يلتفت إلى علي رضي الله عنه وأرضاه- مما أوتي من الفهم مع ذلك يرفعون له القرآن ليس كل شخص يأتي أو كل قول تجده في المطولات يخالف قولك الذي درسته معناه أنه انتهى الأمر ، فكم من مسائل كنا على أيدي العلماء ، وكم من فتاوى تنـــزل والله كنا في بعض الأحيان نشك حتى في بعض مشايخنا من باب ما يحدث للإنسان والإنسان بشر ؛ ولكن إذا زالت الفتن وانقشعت عرفنا كيف الفتوى وما هي أصولها ، وما هو العمق الذي كانوا يتكلمون به ، وما هو الأصل الذي كانوا يعتمدونه ، وفي دروسهم وجدنا أن هذه الأحاديث التي كان يشوش علينا من طلاب العلم الآخرين من أسهل ما يكون الجواب عنها ، وأنها إمّا أعم من موضع النـــزاع ، أو خارجة عن موضع النـــزاع ، ولكن في البداية نجد حديثها حديث متفق عليه في الصحيحين والآية تدل على كذا ، فلذلك ينبغي التريث ، ثم إني أقول لا مانع من أن تأخذ بفتوى الغير ولا مانع أن تأخذ بأقوال الغير ؛ ولكن المصيبة كل المصيبة إذا احتقر الشخص قول غيره -نسأل الله السلامة والعافية- تجده يقول : القول الآخر ضال أو خطأ ومن باب بيان الحق لابد أن ينتشر هذا القول المخالف ، فلذلك أنصحك كل النصيحة ألا تدخل في الفتاوى وألا تدخل في المسائل بضرب بعضها ببعض أو الحكم

بصواب عالمٍ على حساب عالمٍ آخر ، قل هذا شيخي وهذا العلم الذي رأيته بالدليل وأما غيره ما ظهر لي ، إلا إذا تمكنت من الأصول وقامت عليَّ الحجة أو خذ الدليل وأعرضه على شيخك ، أما من نفسك تذهب إلى المطولات وتنظر فيها ، أو مثلاً فتاوى في المسائل تضيع الأمة على هذا .

أقول هذا بمناسبة الأحداث التي نعيشها الآن هي مسألة عارضة نحن ذكرنا من فقه العالم في المسائل التي تطرأ على الأمة ألا يتشتت ، وأن لا يتشتت الأمة معه ، هناك ثوابت مُسَلَّمة ينبه عليها ، ينصح فيها لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ما يستطيع أحد أن يقول : إنه كذب أو أنه أخطأ هذا أمر ينبغي أن يضعه كل شخص في حسابه وأن يفهم ذلك وأن يعيه تماماً ، أن الفتن واجب على طلاب العلم أن يحرصوا على غرس منهج السلف الصالح في لزوم الجماعة والبعد عن القيل والقال وهذا أمر لايخُتلف فيه .

إذا حصلت المسألة قلنا في المسألة توقف ؛ لأنه إلى الآن ما عرفنا أدلة تثبت زيداً أو عمرو أو تدين زيداً أو عمرو قلنا : كفو ألسنتكم ، هل هذا جاء من فراغ ؟ لو أننا اتضحت لنا الصورة لعرضنا هذه المسألة على كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وفصلنا فيها تفصيلاً واضحاً في مسألة الأحداث التي جرت بسبب وما كان لها من تبعات ، أما أن يأتي

الشخص ويتكلم ويلتقط له فتوى يشوش بها على فتاوى علماء كبار وإجلاء ويتهمهم بالباطل ويتهمهم بالمداهنة وبالممالالة أبرأ إلى الله ، اتق الله في نفسك ، يعني ينبغي على كل إنسان أن يتقي الله ويحذر ، تريد أن تقـــول : إن هذا حق فيما ظهر لك إذا كنت أنت من أهل الاجتهاد قل ذلك ، لكن إياك أن تدخل في نوايا العلماء ، وتكسب الإثمين فتدخل في نواياهم وقلوبهم والله هذا هو الحق كل ما وجدنا قولاً يخالف العلماء الكبار معناه أنه هو الحق وأن ما قاله العلماء الأجلاء مشكوك فيه ، حرام هذا لايجوز هذا وما هكذا يقابل العلماء الذين ينصحون للأمة ، يا أخي لست عليهم بمسيطر ولست بعليم بما في قلوبهم وصدورهم ونواياهم أنهم يداهنون أو أنهم يقصدون غير الله تعالى لك الظاهر والله يتولى السرائر وهم مسؤلون أمام الله فيما أفتو به فنحن ننبه على هذا لأن هذا من المنهج ، وإذا جاء شخص وبرر هذه الأشياء أو أفتى فتوى وجاء شخص وبرر هذه الفتاوى واتهم العلماء الكبار والله ليقفن بين يدي الله تعالى وليسئل عن هذه الأرواح والتي أزهقت التي حدثت في هذا الحادث حادث التفجير مما لا يقل عن مائة أقل تقدير مائتي مسلم ، وقيل سبعمائة مسلم سيقف بين يدي الله حافياً عارياً يسئل عن دمائهم ويسئل عن مشروعية قتلهم هذا إذا كان يرى أن هذا جائز ، كون المسلمين يفعلون لكن ما تستطيع أن تقول : أن هذه الأمة هي التي فعلت هذا الفعل بالمسلمين وتحتاج المسألة إلى دراسة هذا إذا كان المسلمون فعلوه ثم تُسأل أمام الله

تعالى عن التبعة التي جَرّت غير المسلمين إلى بلاد المسلمين وحدث ما حدث من جميع الآثار والأضرار إذا روّجت فتوى تعارض فتوى العلماء وتبرر هذه الأفعال ستقف بين يدي الله مع من أفتاك بهذا وستسأل أمام الله تعالى لا يحسب الإنسان أنه إذا رأى قولاً أن القول الآخر معناه منتهي وأن هؤلاء ضعاف وأن هؤلاء مساكين وأن العلماء لا يعرفون أن يقولوا الحق ، عليك أن تتريث وهل تعلم أنه لو سكت عالم يريد أن يستبني الأمور ليس معناه أنه جبان أو خائف ، موسى صلى الله عليه وسلم يواعده الله تعالى أربعين ليلة ثم يأتي ويأخذ برأس أخيه وبلحيته يجره لما عبد قومه العجل وأخذ برأسه أخيه يجره إليه ويصيح عليه هارون ويقول : { يَبْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي } وبين له عذره فقال { إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي } ، { إِنِّي خَشِيتُ } خاف الفتنة { إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي } هذا نبي من أنبياء الله -U- ماذا كان بعدها ؟ { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ } ليس كل سكت معناه أنه خايف أو جبان ، من يسكت خوفاً من الله أن يوقع الأمة في خطأ وخلل ومن يأتي بالأصول والثوابت ليس كمن يطلق العنان لنفسه في الفتاوى ولا تحسب أن كل فتوى يقال فيها تبرير الأشياء أنها هي الحق والصواب ، وما بلغتَّ مبلغ العلم ، وكم من أحاديث سردت في تبرير بعض الأشياء والله لا تمت إلى الأمر بصلة ، هناك مسائل واضحة عند العلماء في مواجهة الكفار للمسلمين قواعدها معروفة ومسائل الجهاد

وأدلتها وأصولها واضحة مضبوطة ما فيها أي إشكال ، والمسائل المستثناة لها ثوابت ، وهذه المسألة أقسم بالله لو عرضت على عالم جهبذ من علماء المسلمين لجثى على ركبتيه خوفاً من أن يقول فيها على الله تعالى ومع ذلك تجد من لا يبالي ، نحن نقصد نوعية وإن كانت قليلة وشاذة وأرجو من الله أنهم حسينين النية ولا نحب أن أحد يأخذهم عن سذاجة ننبه على هذا لأنه أمر مهم جداً ، وليس معنى السكوت على بعض الأشياء أن المراد بها كتمان الحق لا والله أبداً وإن من أهل العلم من نعرف من دخل في العلم وروحه في كفه ، وعليك أن تعلم أنه إذا كان حبك للحق وحماسك للحق يدعوك إلى هذا فاعلم أن هناك من أهل العلم من هو أسبق منك إسلاماً والتزاماً وغيرة لله ورسوله فاتقي الله في نفسك ، فكل واحد حري به أن يتقي الله تعالى وأي شيء يشوش به على علماء أجلاء في منشور أو فتوى فليعلم أنه سيسأل أمـــام الله تعالى عن تفريق كلمة المسلمين وشتاتهم وحتى ولو على أقل تقدير أنها مسألة اجتهاديه ، والأمة رجعت إلى علماء معتبرين منصبين للفتوى فأفتوا فيها فهم المسألون أمام الله تعالى ما الداعي أن يأتي شخص ويشكك فكل الذي نريده في قضية منحصرة وهي هذا التشويش الذي كلما حدثت عندنا مسألة نراه ، وكلما حدثت عندنا فتنة نجد طائفة - وإن شاء الله - أنها قلة قليلة وأرجو من الله أن عندهم حسن نية ، وبعضهم عن سجاذة يعني عن حسن نية ويقال له : هذا حق وخذ وانشر ، حتى إن بعضهم يأتي إلى بعض المشايخ ويكتب له في المحاضرة اتقي

الله ولا تقل إلا الحق سبحان الله العظيم !! يعني أصبح أهل العلم سجذ يوجهون من عوام ، - يا إخوان - هناك كلمات جارحة لأهل العلم والله لا تُشتكى إلا إلى الله تعالى وهناك تصرفات من بعض الناس يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، فلا تجرحوا أهل العلم بهذه الأمور ولا تجرحوا كبار العلماء بالطعن فيهم ، ولا تجرحوهم بالانتقاص ونسيان فضلهم ونسيان معروفهم ، حرام هذا فنحن والله نحبهم في الله ونحب ما يكون منهم من الخير للأمة ولا نرضى لأحد أن يزعزع ثقة الناس بهم ، وهم بشر يخطؤن ويصيبون ؛ ولكن نرجو من الله ما يكون منهم من الصواب أكثر مما يكون منهم من الخطأ ولا ندخل في نواياهم ، وعلى كل حال أسلم تسلم ، أسلم تسلم في دينك ودنياك وآخرتك إنك لو لقيت الله -U- فكل ما جاء شخص يخوض في هذه المسألة قلت اسكت وإلاّ قمت عنه ما ضرك هذا شيئاً ، ولست مسؤولاً أمام الله تعالى أن تعتقد هذا الأمر ماهو فرض عين عليك ، ولذلك عليك أن تأخذ بالسلامة وكل الذي ننبه عليه حفظ حرمة العلماء ، كما كنا بالأمس ننهى أحد أن يتكلم فيهم كذلك ننهى اليوم أحد أن يمس حرمة العلماء ؛ لأن الكلام في العلماء ثلمة في الإسلام ، ونزع ثقة الناس من العلماء ثلمة في الإسلام ، وطعن العلماء من وراء ظهورهم ثلمة في الإسلام ، ولذلك نقول ينبغي التريث ما أمكن وعدم الاستعجال وإن شاء الله - ستنجلي الأمور وكما ذكرنا لابد لليل من فجر ، وعليك أن تعلم أن للعلماء ما يبررهم بينهم وبين الله تعالى واعلم

أننا قرأنا سيرة السلف الصالح -رحمهم الله- ووجدنا عجباً والله إن بعض القصص في بعض الفتن لو رأيتها لاتهمت صاحبها بأنه خائف ذليل وأنه ما أراد أن يصدع بالحق ثم يشاء الله أن ترجع الناس إلى فضله ونبله يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه وقد حدثت الفتنة بين علي وعثمان ، وحدثت الفتن بين الصحابة يقول : قد كانت فتن ما نجى منها إلا عمر وابنه عبدالله بن عمر ، عبدالله بن عمر لم يـــدخل في الطائفتين لا في طائفة علي ولا في طائفة عثمان مع أن أهل السنة والجماعة أن الحق مع علي ، فإذا حصل نزاع بين العلماء هذا إذا كان الذي يخالف من أهل العلم المشهورين ؛ لكن أن يأتي علماء مبرزين ونظروا وأفتوا فهذا شأنهم ولا تشوش على الأمة وعلينا أن تكون عندنا المنهجية وتكون عندنا ضوابط .

الوصية الأخيرة : إياك أن يضرك قول القائلين وإرجاف المرجفين ، فكم كنا مع علمائنا ومشايخنا يفتون في المسائل ويبينون الحق في النوازل فسمعنا من القيل والقال ومن الترهات ما لا يعلمه إلا الله تعالى وما بقي إلا الحق { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ } ما هو الذي ينفع الناس ؟ الماء ، السيل يحتمل زبداً رابياً ، ثم بعد ذلك يصفوا الماء ثم لا يبقى إلا الماء في الآبار والعيون فتنتفع به الأمة وقد ضرب الله المثل للعلم بالماء فدع الناس يتكلمون ودعهم يرجفون ؛ ولكن إياك أن تخوض مع الخائضين أو تهلك مع الهالكين ، فهذه والله وصية لي ولكم والداعي إلى ذلك أن البعض - وإن شاء الله - وبإذن الله ستنجلي الأمور

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

وتتضح ولكن إياكم أن يدخل العدو فيفرق صفكم ، ويفرق جمعكم وهذه أصول نبهنا عليها لأننا وجدنا أئمة السلف ومنهج السلف الصالح -رحمهم الله- على تقرير هذا الأصل في الفتن وما وجدنا الأمة قوية إلا بتقريره والحرص عليه ، فإذا جادلك المجادلون أو أخذ معك المفتونون وخاضوا معك فيما يخوضون فتولى عنهم وأعرض فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، يقول صلى الله عليه وسلم : ((تكون فتن النائم فيها خير من القاعد ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي)) فتأتي فتنة فتجد هذا يروج المنشورات يروجها عن حسن نية ، أو عن خبث نية لا قدر الله هذه المنشورات يراها سهلة ؛ لكنها طعنها في العلماء وما تورث من شتات الشمل وتفريق الكلمة عند الله عظيم ، فهذا ماشي فيها وماضي فيها ، وكذلك - أيضاً - من يحاول أن يُوهِّم من محبة الناس للعلماء ومن تقدير العلماء ومن احتقار فتاوى العلماء المشهورين فهذا كله ينبغي الحذر منه ونصيحة الناس فيه يرضى من يرضى ويسخط من يسخط ، ونسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن ينصر دينه ، وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده الصالحين ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين ، اللهم دمر أعداء الدين شتت شملهم وفرق جمعهم واجعل بأسهم بينهم يا رب العالمين ، اللهم اهدنا بهداك واجعل عملنا في رضاك ، واكفنا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن ، اللهم يا عظيم جليل يا كريم نعوذ بوجهك العظيم من فتن المفتونين ، ومن إرجاف المرجفين ، ومن

ضلال المضلين ، اللهم اهدنا ولا تضلنا ، وارحمنا ولا تعذبنا ، اللهم ثبتنا على الحق حتى نلقائك غير خزايا ولا مفتونين ولا نادمين ولا مبدلين اللهم ارزقنا التمسك بالسُّنة عند فساد الأمة ، اللهم ارزقنا التمسك بالسُّنة عند فساد الأمة ، اللهم لا تزلزل بها اقدامنا ، اللهم اجعلنا ممن ثبت عليها إلى لقاءك يا حي يا قيوم ، اللهم ثبتنا عليها أحياء واحشرنا في زمرت أهلها أمواتا يا حي يا قيوم { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ @ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ @ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } .

السؤال :

فضيلة الشيخ : بعد أن منَّ الله - U - بختم درس عمدة الأحكام الـــذي نسأل الله أن يعظم لكم أجره نودُّ ذكر ما ينبغي أن يكون عليـــه طالـــب العلم من حيث ضبط المسائل ومراجعتها . أثابكم الله

الجواب :

أولاً : أوصي الإخوان وأوصي الجميع ونفسي بتقوى الله - U - : يتقـــي الإنسان ربه ، وهذا العلم يراد به ما عند الله - I - ، وكان العلماء -رحمة الله عليهم- يوصون دائماً بالإكثار من التواصي بالإخلاص في العلم فـــإن

الله يضع البركة فيه ، ويكثّر خيره ، وينمي ما فيه من نفع المسلمين بحسن نية صاحبة ، فينوي الإنسان بهذا العلم أن ينقذ نفسه من الضـــلال ، وأن يعمل به ، وأن يعلمه الناس ، وأن يكون في نيته أن لا يبخل علـــى أحـــد بحكمة رزقه الله علمها ، فهذا من أفضل ما يكون في توفيـــق الإنســـان ، وكلما صلحت نية طالب العلم ؛كلما كان ذلك أدعى لتوفيق الله ورحمته به ، فإن الله اختار القلوب من نظر ((إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)) فأرِ الله من نفسك حســـن النية .

الأمر الثاني : لا تعجب ، ودائماً كن في احتقار وانتقاص لنفسك فـــإن الله يرفع قدرك . قال بعض السلف : والله، ما جلست مجلسًا أظن نفســـي أني أعلى القوم إلا خرجت وأنا أدناهم ، وما جلست مجلسًا أرى نفسي أصغر القوم إلا خرجت وأنا أعلاهم ، فإذا احتقر الإنسان نفسه ، قال : من أنـــا ؟ وأخذ يظن بنفسه أنه دون الأشياء رفع الله قدره وجعل بين الناس حبه والثقة بما يقول .

الأمر الثالث : أن تضبط هذا العلم حق ضبطه ، فتأخذه كمـــا ينبغـــي أن يأخذه طالب علم جد بجد واهتمام وصدق : { يَا يَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ } فيحتاج العلم إلى عزيمة ، ولا يكون بكسل أو خمول أو تـــوانٍ فتأخـــذ العلم بهمة صادقة وعزيمة على الخير وحب للانتفاع به ؛ قـــال - r - : ((

منهومان لا يشبعان : طالب علم ،وطالب دنيا)) فـأرِ الله منـك الجـد والاجتهاد والصبر والتحمل ، ولذلك موسى -عليه السلام- لما بلغه أن هناك من هو أعلم منه قال : { لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً } { حُقُباً} إلى آخر الدهر { حَتَّى أَبْلُغَ } هذا ا الـذي هـو أعلم مني ، وهذا يدل على الهمة الصادقة في العلم ، فإن وجدت من هـو عالم ويوثق بدينه وعلمه ؛ فخذ العلم كما ينبغي أن يؤخذ ، تكون عنـدك الهمة الصادقة فيه ، والجد والاجتهاد والتفاني فيه ، وبقدر ما تضحي للعلم بقدر ما يضع الله لك من البركة والخير والنفع للمسلمين ، فمـن تعـب اليوم ؛ فإنه يجني الثمار غدًا ، يجنيها في الدنيا والآخرة ، ويجنيها مـن الله- I - في عاجل أمره وآجله ؛ لأن المعاملة مع الله رابحة على أتم الوجـوه وأكملها .

الأمر الرابع : بالنسبة لهذه السُّنة أول ما تعنى به تطبيقها بعد أن تعلمهـا ، وتعرف حلالها وحرامها تعمل بهذا العلم الذي علمته ، ولذلك قـالوا : " اعمل بالحديث ولو مرة تكن من أهله فإذا علمت أن الله أحل ؛ فأحـل وإذا علمت أن الله حرم ؛ فحرِّم ، وتكون عاملاً بهذا العلم ، فإذا وفَّقـك الله لعلمك بما علمت ؛ فإن الله يرزقك علم ما لم تعلم . قالوا: " من عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يعلم " يعني ما لم يكن له على حسبان وفتح الله

له البركة ؛ لأن العمل يضع البركة للعالم ، توضع فيه البركة في علم العالم .

الأمر الآخر الذي أحب أن أوصي به بعد العمل : تدعو النـاس وتهـدي الناس إلى هذه السنن ، وتحس أنها في رقبتك أمانة ، وفي عنقك أمانة ، تبين للناس حلال الله وحرامه ، وتدعوهم بالتي هـي أحسـن إلى أن يعملـوا بالحلال وأن يحلوه ، وأن يجتنبوا الحرام ويبتعدوا عنه وينبذوه ، وهذا بخير المنازل : الدعوة إلى الله- U - في العلم حتى تكون ممن عنـاهم الله- U - بقوله : { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَـالِحاً } وينبغـي عليك أن تتنبه لأمور :

أولاً : شيئاً لا تعلمه لا تتكلم فيه ، فإن الله- U - إذا أراد أن يسلم العبد مـن تبعة هذا العلم رزقه الأمانة فيه . لا تتكلم إلا بقدر مـا علمـت ، وبمجرد ما يكون طالب علم دقيقاً من أول طلبه العلـم لا يـتكلم إلا في حدود ما يعلم كلما كان لضبطه للعلم ، وأدعى أيضاً لسلامته من تبعـة العلم ، فإن الإنسان تزل قدمه بكلمة واحدة ، وقد يمقت الله العبد بكلمة من غضبه حينما يفتري على الله كذباً فيقول : هذا حلال والله حرمـه ، أو هذا حرام والله أحل ؛ خاصةً إذا كان عن جهل وجرأة على الله-نسأل الله السلامة والعافية- ؛ قال الله -تعالى- : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّـنْ افْتَـرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً } فلو وقفت أمام الناس والخلق أجمعين على أن يسألوك عن

شيء لا تعلمه فتقول بكل عزة وإباء : (الله أعلم) وتكون (الله أعلم) في لسانك ، فمن قال : (لا أدري) فقد أنفذت مقاتله ويكون الله أعظم في قلبك من كل أحد ، ولا تبالِ بأحد .

شيء لا تعلمه تقول : (لا أعلم) ولو ضاقت عليك الأرض بما رحبت أن تقول في دين الله وشرع الله ما لا تعلم أبدًا لا تتقدم ، فإنك إن فعلت تقحمت النار على بصيرة -نسأل الله السلامة والعافية- ومن كانت عنده الجرأة على الاجتهادات والخوض في الآراء وكثرة الجدل حتى يحدث لنفسه أقيسة وفروع ؛ فقد زلَّت به القدم -نسأل الله السلامة والعافية- إن عاجلاً أو آجلاً ، وقلّ أن يسلم من مكر الله به -والعياذ بالله- .

فينبغي أن تكون أمينًا . اتق الله يا طالب العلم ، فإن الناس إن جلست بين يديك تريد علماً صادقاً ولا تريد الكذب ، ولا تريد الغش ولا تريد إحلال الحرام وتحريم الحلال إنما تريد الأمانة : { أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } قال بعض العلماء : في هذه الآية دليل على أن العالم لا يكون صادقًا إلا إذا تتبع الأثر ، ولذلك تجد في بعض الأحيان بعض الكتب تنقل ولا تزيد حتى إن الكلمات مكررة ، وهذا يدلُّ على أمانة العلماء ، هم قادرون أن ينظروا وأن يجتهدوا وأن يفرعوا وأن يؤصلوا ، ولكن الخوف من الله حبسهم ، فينبغي لطالب العلم أن يكون بهذه المثابة ، لا تتكلم في

شيء لا تعلمه ، وإذا أصبحت من الآن لا تخطو خطوة إلا وأمامك دليل وحجة من كتاب الله وسنة النبي - r - فأنت على خير .

الوصية أيضاً التي أحب أن أنبه عليها : أنك أيضاً لا تدخل في ممارات السفهاء ومجادلة العلماء ، فلم تتعلم العلم لتماري به السفهاء أو تجادل به العلماء ، فمن تعلم العلم ليماري به السفهاء أو ليجادل به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه ؛ فليتبوأ مقعده من النار. أهم شيء عندك رضوان الله العظيم ، أهم شيء أن الله يرضى عنك ، حينما علمت فعملت ، وعلمت ودعوت ، وإذا بلغت هذا وضع الله في قلوب العباد الثقة بعلمك ، ووضع الله في قلوب العباد حبك ، وتجد من تيسير الله لك في العلم حتى إن بعض الأحيان تقول : (الله أعلم) ، والله ، في بعض المسائل إنك تُسأل عن الفتوى والحكم فيها تخاف الله - U - وتتورع في بعض الأحيان ، لا تتجاوز مكانك حتى يفتح الله عليك بالحق فيها ، وهذا مجرب ، ولذلك ربما تتذكر أدلة ونصوص في المسألة كأن الله يمتحنك ، وكأن الله يبتليك ويختبرك ، فإذا كنت بهذه المثابة فإن الله يفتح عليك.

ثم الوصية الأخيرة : أن تشوب العلم بالصلاح والتقوى والورع فكلما نظرت إلى الله - I - كيف علمك وفهمك وهداك وأرشدك ؛ ينبغي أن تشكر هذه النعمة ، فإن الله تأذن بالزيادة لمن شكر ، وتأذن بالمحق (محق البركة) لمن كفر ، ولذلك يقول العلماء : هذان قرينان لا يمكن أن يكون

الإنسان إلا على واحدة منهما : إما شكر وزيادة ، وإما كفـر -والعياذ بالله- فمحق للبركة وخسارة فإذا أردت أن يبارك الله لك في هذا العلم ؛ فدائمًا اذكر الله فضل الله عليك ، وأثنِ على الله بما هو أهلـه ، ودائمـا تدمع عينك خاصةً إذا كنت في خلوة بينك وبين الله ، وتقول : يـا رب ، لك الحمد علمتني وكنت جاهلاً ، وهديتني وكنت ضـآلاً ، وأرشـدتني وكنت حائرًا ، وكذا وكذا ... فلا تزال تثني على الله ، وتصعد منك هذه الكلمات : ((إن الله ليرضى عن العبد يطعم الطعمة فيحمـده عليهـا ، ويشرب الشربة فيحمده عليها)) يرضى عن العبد فلربمـا تجلـس خاليًـا فتذكر ولو مجلسًا واحدًا جلسته ولو فتوى واحدة سمعتها من العلم ؛ فـإن الله يرفعك بها درجات ، فإن شكرت بارك الله لك .

والوصية الأخيرة : أن تتأدب مع العلماء والسـلف الصـالح -رحمـة الله عليهم- فلم تتعلم العلم لكي تضع نفسك في مكان لست بأهلـه ، فـلا تكن جريئًا على تخطئة الأسلاف ، وكذلك بيان عـوارهم وانتقاصـهم ، وإنما تأدَّب مع السلف الصالح والأئمة ، وتأدَّب مع من هو أعلم منـك ، وإن جلست في مجلس وهناك من هو أعلم منك ؛ فأعط الزمام له ؛ قال- r - : ((كبِّرْ ، كبِّرْ)) احفظ حقَّ من هو أكبر منك ، ومن هو أسبق منك ، ولا تتعالَ على الناس ؛ فإن الله- I - يقول { تِلْـكَ الـدَّارُ الآخِـرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } .

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

نسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يجعل علمنا نافعًا وعملنا صـالحًا لوجهه الكريم ، ونسأله- I - أن يبارك لنا فيما علمنا وعلمنا ، وأن يجعله خالصًا لوجهه ليس فيه لأحد سواه حظٌّ ولا نصـيب ؛ إنـه ولي ذلـك والقادر عليه .

السؤال : هل من وصية لطالب العلم عن كيفية مراجعة الدروس ؟

الجواب :

الحقيقة طلب العلم فيه سآمة وملل ، وفيه تعب ونصب ، وطالب العلم لابد وأن تمر عليه ساعات وأيام وأعوام يجد فيها بعض السآمة والملل ، والظروف والمصاعب والمتاعب ، ولذلك ينبغي لطالب العلم دائماً أن يستشعر الإخلاص ، فإنه لا يبدد هذه الهموم والغموم شيء غير توفيق الله- I - بزوالها ، ثم وجود نية خالصة بين العبد وبين ربه ، وهذا هو الذي صبر به الأولون ، وسار على نهجه الصالحون ، الأخيار والصالحون ، فبارك الله في علمهم وتعلمهم ونفعهم للعباد .

الإخلاص إذا استشعرت دائما حب الله لك في هذا العلم ، وحب الله لك في هذا التعلم ، والسعي لإنقاذ نفسك ، وإنقاذ الأمة بهذا العلم المبارك ؛ فإن الله- I - يرحمك ويوفقك ، ويذهب عنك كل ما يحول بينك وبين رحمته .

الأمر الثاني الذي يوصى به طالب العلم - حتى يثبت في طلب العلم ويقوى على تحصيل العلم وضبطه - : أن يجمع في علمه بين العلم والعمل ، فأي سنة يتعلمها يطبقها ، وأي نافلة يدعى إليها يعمل بها ولو مرة ، قالوا : اعمل بالحديث مرة تكن من أهله ، يعني : تلقى الله يوم تلقاه وقد عملت به ولو مرة واحدة حتى تستطيع غدا إذا قلت للناس : إن هذا الحديث يدل على خير تكون لك قدم سابقة عند الله - U - قدم صدق أنك فعلت وعملت بهذا الذي دعوت إليه ، ولذلك أنا أوصي طلاب العلم خاصة في مرحلة الطلب أن يكثروا من العبادة والعمل بالعلـــم ، فإن لهذا أثراً عظيماً فيما يكون في مستقبلهم ، وألا يشتغلوا بالقيل والقال ، وإضاعة الأوقات فيما لا ينفع ، يشتغلون بهذا العلم ، وطالب العلم إذا أقبل على العلم يقبل بكليته ولا يقبل بجزئيته ، تقبل على هذا العلم إقبالا صادقا تجعله ليلك ونهارك ، وأنيسك وجليسك ، وتسعد به ، وترتاح إليه وتأنس به ، وأفرح ما عندك أن تظهر بالفائدة والحكمة والمقولة التي تستنير بها وتزيدها إلى علمك ، فإذا بلغت إلى هذه المرتبة وهي التفاني في حرص هذا العلم مع العمل ؛ فإن الله - I - يبلغك أعالي درجات العلماء بإذنه - I - .

الإكثار من العمل والتفاني ، فإذا جمعت بين العمل بالعلم والتفاني في تحصيله ؛ فإن الله - U - سيجعل العاقبة لك محمودة ، ولــذلك تجد بعض طلاب العلم يطلبون العلم سنة ويملون ، وسنتين ويسأمون ، وثلاث

سنوات ويتركون ؛ والسبب في هذا - والله أعلم - : أنهم يضعون العلم أحمالاً على ظهورهم ، فلا يعملون بما علموا ، فتجد طالب العلم يجمع الأقوال ويجمع المسائل ويجمع الردود والمناقشات ، هذه أمور قد تقسي القلب ، كثرة الاشتغال بها اشتغالاً جامداً عارياً عن العمل تقسي القلب ، وتخرج الإنسان عن المقصود الأعظم ، ولكن الإنسان إذا عرضت عليه المسألة تأملها ونظر الحق الذي فيها .

أولاً : عجب من فتح الله على العلماء ، وأدرك فضل الله على هذا العالم في فهمه ، وأدرك فضل الله - U - على هذا العالم في استنباطه ومناقشة ومراجعته فيقول : يا رب أسألك أن تفتح علي كما فتحت عليه ، وينظر إلى دواوين السلف التي زخرت بهذه المسائل فيزداد حباً لها ، ويقول : يا رب كما وفقتهم وفقني ، فلما يشوب علمه بمثل هذا الارتباط بينه وبين الله - U - ، يجد كلما ازداد علما ازداد قرباً من الله ، وشوب العلم بالعمل ، له بركة عظيمة ، ولذلك قالوا : إن أول العلم طفرة ، وآخره انكسار وخشية لله - U - .

العلم المبارك الذي يريد أن يهتدي الإنسان به إلى الله ، بل قال بعض العلماء : إذا أراد الإنسان أن يعرف أن علمه نافعا ؛ فلينظر إلى كسر هذا العلم لقلبه لله ، فإن وجد أنه كل يوم يزداد خشية لله ، ومعرفة بالله - I - ؛ فليعلم أن علمه نافع بإذن الله - U - ، وأنه علم مبارك ، وهذا

العلم النافع كونك تحس أن علمك يكسر قلبك لله - U - ويذهب عنك طفرة الغرور لا يكون إلا بشوب العلم بالعمل ، والخشية لله - U - ، قال الإمام أحمد -رحمه الله- : أصل العلم خشية الله ، فلذلك إذا شاب الإنسان علمه بالعمل المصحوب بالخوف ، العمل يشمل أشياء كثيرة منها : حب الله ، والخشية ، والتعلق بالله - I - ، القرب من الله - U - واستشعار دائماً هذا العلم أنه بفضل الله وحده ، لا تحس أن الذكاء وأن الفهم وأن هؤلاء حفظوا ؛ لأن أذهانهم كانت حافظة ، لا ، والله ما هو إلا بفضل الله - I - ، فكم من مسائل تنـــزل على المفتي يفتح عليه في جوابها والله لو أعمل فكره ليلاً ونهاراً على أن يصل إلى هذا الفتح الذي فتح الله عليه ما يصل إليه ، { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ } فمن الأمور التي تعين على الجد والاجتهاد في تحصيل العلم : الإخلاص ، وكثرة العبادة مع العلم ، وقرن العلم بالعمل ، وبالزكاة ، وبالخشية ، وبالقرب من الله - U - ، والحب لله - I - ، وكل يوم بل كل مجلس علم تجلسه تقوم منه تثني على الله ، وتسأل الله - U - أن يجعل هذا الذي تعلمته خالصاً لوجهه الكريم ، نحتاج من طلاب العلم إلى مثل هذه المواقف الكريمة التي يحسون فيها بلذة العلم ، جلست مجلسا من مجالس العلم كم من مجلس علم جلسته وانتفعت فيه ؟! قل لي بربك هل جلست مجلس علم فبمجرد أن انتهيت منه دمعت عيناك من خشية الله ، وقلت : يا رب علمتني ما لم أكن أعلم ، وكان فضلك علي عظيماً تأملوا - يا إخوان -

هذه نعم ، كم من أناس في دياجير الجهل والظلمات وبعيدين عن الله - I - هم أحوج ما يكونوا إلى كلمة تنقذهم ، هذا العلم رحمة ، كون الله - U - يجتبيك ، كم مـــن إنسان مشغول يتمنى أن يجلس هذا المجلس !كم من مريض يتمنى أن يجلس هذا المجلس ، هذه النعمة العظيمة إذا شبتها بالشكر لله والثناء على الله - U - أحبك وبارك فيك ، وأصبحت إذا شكرت هذا المجلس يبارك لك في المجلس الثاني ، بدل أن تعلم ربع علم يعطيك نصف علم ، ثم ثلاثة أرباع العلم حتى تبلغ من العلم خيراً كثيراً .

الارتباط بالله في هذا العلم ، ليست القضية أن نحمل الكتب ونذهب إلى المجالس ونرجع وحالنا كحال ... ، بل إن البعض قد يفتن بعلمه ، نريد أن نشوب علمنا بالورع ، وبالعمل ، وبالزكاة وبالنقاء .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعل علمنا نافعاً ، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم اللهم إنا نسألك علما يقربنا إليك ، اللهم إنا نسألك علماً يقربنا إليك ، وأن تهب لنا رحمة من لدنك إنك أنت الوهاب.

السؤال :

أنا لي أب عاجز ، وأشتغل في طلب العلم وبعض المشاريع الدعوية وأقصِّر في حق الوالد ، فهل أنا معذور بهذا التقصير ؟

الجواب :

بسم الله . الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ؛ أما بعد :

فيا أخي في الله ، اتقِ الله في أبيك ! واتقِ الله في والديك ، وابدأ بوالديك ؛ لأن الله - I - أمر بتوحيده ثم ثنَّى ببر الوالدين .

اتقِ الله - U - في أبيك عند المشيب والكبر ، فارحم ضعفه ، واجبر كسره ، وكن إلى جواره ، والزم قدمه ، فإن الجنة ثَمّ ؛ قال - I - : { إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً }وقال - r - : ((رغم أنف امرئ أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قل : آمين . فقلت: آمين)). فاحمد نعمة الله- U - عليك إذ متع ناظريك بوجود والديك ، واغتنم هذه الفرصة ، خاصةً إذا كان الوالد ضعيفًا فقُمْ على حالته ، واقضِ حوائجه ، وفرِّج كربته ، وكن إلى جواره فإنه فرض لازم عليك ، مقدَّم على النوافل، مقدَّم على حِلَق الذكر ، ومقدَّم على مجالس الصالحين إذا كانت على سبيل النفل ولم تكن واجبة ؛ ولذلك ما تقرب العبد إلى الله بشيء أحب إليه مما افترض عليه ، ابدأ بوالديك ، قال : " - يا رسول الله - ، أقبلت من اليمن أبايعك على الهجرة والجهاد " - يريد أن يكون مع النبي - r -

هاجر من أجله ولكي يكون تحت ظله يقاتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله مع رسول الله - r - قال : ((أحيٌّ والداك ؟)) قال : نعم . قال : ((ارجع إليهما ، فأحسن صحبتهما)) وفي رواية : قال : يا رسول الله، أقبلت من اليمن أبايعك على الهجرة والجهاد وتركت أبواي يبكيان ؟ قال : ((أتريد الجنة ؟)) قال : نعم . قال : ((ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما وأحسن صحبتهما ولك الجنة)) .

فبر الوالدين فرض لازم ، ينبغي على المسلم أن يبدأ به قبل النوافل والطاعات ، فابدأ بنفسك وبمن تعول وارحم ضعفه وارحم كبره ، كنْ مع الوالدين لا تسأم ولا تمل ولا تتعب ولا تضجر ، فإنك تخوض في رحمات الله - Y - كل لحظة وأنت في جواره تدخل السرور عليه تذهب الوحشة عنه بأنسك برؤية وجهك ، كم من قلوب للوالدين تتعطش وتتألم ولكن يزول ألمها ويروى ظمؤها إذا اطلعت ورأت أبناءها وبناتها ، فلذلك ارحم ضعف الوالدين والحنان والرحمة التي في قلوبهما ؛ ولذلك ثبت في الحديث الصحيح عن النبي - r - أنه لما احتضر ابنه إبراهيم دمعت عيناه -عليه الصلاة والسلام- فقال له الصحابة : ما هذا يا رسول الله ؟! قال : ((رحمة أسكنها الله في قلوب عباده)) .

الوالدان فيهما رحمة وفيهما حنان للولد وشوق وحنين ولو قال لك : سافر ولو قال لك : اذهب للدعوة فينبغي أن تكون أحرص على الخير منه

. الوالد قد لا يحب أن يزعجك ، ولا يحب أن يضيق عليك ، فيراك تحب السفر ويقول لك : سافر ، تحب أن تكدح وتتاجر وتذهب هنا وهناك يقول لك : اذهب ، ولكن ينبغي أن تكون فطنًا لبيبًا حكيمًا أريبًا . هذا الوالد في آخر عمره وضعفه ومشيبته وكبره ، الدنيا فانية الدنيا تدرك ولكن بر الوالدين ما هي إلا ساعات ولحظات ، وقد يختار الله - U - والديك ، فتعض على أصابع الندم ولات حين ساعة مندم ، فاتقِ الله- U - في والديك واشكر نعمة الله - I - إذ متع عينيك برؤية الوالدين ، من الليلة لا ينام الإنسان إلا وهو يفكر كيف يبر والديه ، وأول الفروض بعد توحيد الله - U - بر الوالدين ، تكون إلى جوار الوالد ، ولو أدى ذلك إلى انقطاعك عن بعض الدروس ، والوالد في أشد الحاجة فاجلس معه ، إن كان مريضًا تداويه ، وإن كان محتاجًا إلى معونة تعينه وتساعده ، حتى ولو كان الإنسان يجد من والديه الأذية فإن أفضل البر وأحسنه وأكمله وأجمله إذا كنت تحسن إلى الوالدين ويسيئان إليك ، وإذا كنت ترحمهما فتجد منهما الفضاضة والغضاضة ، ولربما تجد منهما أنهما يكرمان غيرك ويهينانك ، فإذا رأيت من الوالدين السباب والشتام والاحتقار؛ فاعلم - إن شاء الله - أنها من دلائل القبول مادمت أنك لا تتسبب في غضبهم كأن يكون الوالد لا يحفظ معروفك ولا يشكر إحسانك ، فلعل الله لحكمة يريد أن يرفع درجتك ببرك لوالديك .

واعلم-رحمك الله- أنها من فواتح الخير ، فكم من علماء وأفاضل وصلحاء بلغوا الخير بفضل الله- Y - ثم برضا الوالدين ، وأعرف عالمًا من العلماء الذين بلغوا شأنًا عظيمًا في العلم كتب ترجمته بيده يقول : لا أعرف أمرًا وفقني الله- U - إليه بعد توحيده بلغت به بفضل الله- U - هذا العلم بعد فضل الله- U - مثل بري بوالدي ، فقد توفي وهو في النزع يدعو لي بالعلم والعمل .

إذا وفقك الله لبر الوالدين فكسبت منه الدعوات الصالحة ، وخضت في رحمات الله- I - تخرج من والدك والكف ترفع إلى الله : أن الله يسعدك ، أن الله يوفقك ، أن الله يكون لك ، فأبشر بكل خير في دينك ودنياك وآخرتك ، فالإنسان لا يشتغل بالنوافل ويترك الفرائض .

بعض من طلاب العلم يجد السآمة ويجد الضيق ويجد الملل ولا يدري من أين جاءه هذا الهم والغم والنصب والتعب ، وقد يكون أبًا قد عقه ، قد يعق الإنسان والده بكلمة واحدة ، فتغيب عليه شمس ذلك اليوم وهو من العاقين-والعياذ بالله- . يحتاج والدك إلى حاجة فيأتيك والدك الذي طالما سهر عليك وتعب عليك يبتليه الله - I - بالحاجة لك ، والله إن الإنسان ليكاد يذوب خجلاً حينما ينظر إلى ولده يسأل حاجة ، لو أن القلوب حية والضمائر والنفوس حية لكان الإنسان يذوب خجلاً أن والده يسأله ، المفروض أنك لا تنتظر من الوالد أن يسألك ، ولا تنتظر

من الوالد أن يعرض حاجته عليك ، أنت الذي تلبي حاجته ، وأنت الذي تفرج بإذن الله كربته وتسعى في تحقيق مصالحه ، وإدخال السرور عليه ، وبذل كل ما تستطيع من الخير ، قبل الجلسات وقبل الأصدقاء والأصحاب والأحباب بر الوالدين ، الواحد منا يجلس مع أصحابه وأحبابه ساعات متأخرة من الليل لا يسأم ولا يمل ولا يضجر، وقد يكون في فضول من الأحاديث ، ولكن بمجرد أن يجلس مع أبيه لحظة واحدة يتذمر ، وتجده -سبحان الله- يدخل عليه رجلٌ من أهل الدنيا ربما لم يره ، فتجده يقوم من مكتبه يقضي حوائجه ويفرج كربته ، فإذا قال له الرجل : ما هذا ؟ أشكرك على ما قمت ، تقول : هذا واجب ، وإذا جاء عند والده في أبسط حاجة أو أقل معروف أعرض عنه ، ولربما جاء وقضى الحاجة بتذمر ، حتى إن الوالد يكره هذه الحاجة مما يرى من السآمة والملل من ابنه .

فالله! الله ! في هذه القلوب الضعيفة ، ارحموا ضعف الوالدين ، ودائمًا أيها الأحبة ينبغي على الخطباء وطلاب العلم دائمًا أن يذكر بعضهم بعضًا لبر الوالدين ، هذه فواتح رحمة هذه من الأمور التي كان العلماء-رحمهم الله- يتفقدون فيها حتى طلابهم لا يمر فترة إلا وهم يذكرون ، عهدت بعض المشايخ-رحمة الله عليهم- ما كان يجلس معه طلابه كل بعض فترة إلا

وهو يتفقدهم ببر الوالدين ، يتفقدهم في أمرين : يقول لا أسأم منه : الإخلاص وبر الوالدين ، تجده دائمًا وهو يقرع طلابه ويذكرهم بهذا .

كذلك الناس إن كنت في حيك ، إن كنت في مسجدك ذكرت فضل الوالدين ، وأشدت بهما ؛ لأن الناس تناست ، وكلما طال العهد عن النبوة كلما كان الناس في فتنة ومحنة وغربة عن الدين ، أصبح اليوم قضاء حوائج الوالدين من الضيق والسآمة والملل حتى إن كثيرًا من الآباء يضجرون ، تجد الأب تقضى حاجته لكن تقضى بدون رغبة .

خرج ذات مرة رجل من الأخيار ، وكان من خيار طلاب العلم والدعاة ، اتصل عليَّ ذات يوم وقال لي : إني أريد أن أخرج إلى كذا وهي قربة من أجل القربات . قلت : يا أخي والداك موجودان ؟ قال : الوالد موجود . قلت : هل أذن لك بالخروج ؟ قال : أذن لي . قلت : لو كنت تريد مني الرأي فأنا أنصح أن تبقى عند والدك . قال : لماذا ؟ قلت : والدك كبير حتى لو أذن لك المفروض أن تستحي من الله- U - أن تتركه على ضعف وخور في هذا العمر وتخرج تتنفل بالطاعات . فقال : أنا واثق أنه راض . قلت له : تأكد - والله ثلاث مرات- وأنا أراجعه ، ولكن يأبى الله- U - وأرجو من الرجل كان فيه من الخير والصلاح أحسبه ولا أزكيه على الله ، فيشاء الله- U - أنه يقدم على ما هو يعني طالبه من الخير ، فخرج فلما خرج وسافر ، بمجرد أن بعد عن المدينة التي هو فيها مسافة تذكّر شيئًا في

البيت أنه لم يأخذه معه ، وكان من لوازم سفره . قال : فرجعت ، فلما رجعت وجدت الوالد في حالة من البكاء والحزن والهم والغم ما الله به عليم . قال : فلما رأيت الوالد يعني ذهلت حتى عن الشيء الذي أنا أتيت من أجله . قلت : ما هذا يا والدي ؟ قال : يا بني ، ماذا أفعل رأيتك تحبُّ هذا الشيء ولا أحبُّ أن أمنعك عما تريد ، أما لو كان باختياري وهواي ما أريدك أن تفارقني . قال : والله ، ما تمالكت إلا أن قبلت قدمه وجلست أبكي عنده .

الوالدان فيهما رحمة ، ما يستطيع الوالد إذا رآك تريد شيئًا أن يصدك عنه ، والوالدة أرحم من الوالد ، لا يغتر الشاب بكون الوالد يقول : اذهب ، إذا قال : اذهب ، قل : لا ، لا أذهب ، بل أجلس عند قدمك وأقضي حوائجك . يقول النبي - r - : ((الزم رجلها فإن الجنة ثَـمّ)) الوالدان يحتاجان إلى وفاء إلى ردِّ الجميل إلى الإحسان مهما كان ، حتى أن الوالد يقول لك : اذهب إلى طلب العلم فتذهب إلى طلب العلم ، لكن بقدر تجعل حاجته بين عينيك ، ولا تنتظر منه إذا كنت تريد الرحمة والرضوان والتوفيق من الله وسعادة الدنيا والآخرة فلا تنتظر من والدك يومًا من الأيام أن يطلب منك شيئًا ، أنت الذي تقضي حوائجه ، وأنت الذي تبادره وتسبقه إلى حوائجه .

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يكرمنا بالبر ويجعلنا من أهله ، ونسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى في هذا المجلس المبارك أن يسبغ شآبيب الرحمات على من كان منهم من الأموات من الآباء والأمهات ، اللهم اغفر لهم وارحمهم ، وعافهم واعفُ عنهم ، وأكرم نزلهم وأوسع مدخلهم ، واجزهم عنا خير ما جزيت والدًا عن ولده ، اللهم اسبغ عليهم شآبيب الرحمات واجعلهم عندك في نعيم الجنات .

السؤال:

هل يجوز لشاب أن يدرس مذهباً فقهياً معيناً ثم يفتي الناس به دون أن يعلم أقوال الآخرين ؟

الجواب :

نعم إذا قرأ أي مذهب من مذاهب العلماء -رحمهم الله- والأئمة وحصل هذا المذهب وضبطه على يد عالم يوثق بدينه له الحق أن يفتي ؛ لأن كل هذه المذاهب الأربعة ومذهب الظاهرية كلها مذاهب مبنية على الأدلة ولم يزل المسلمون أكثر من اثني عشر قرناً وهم على ذلك ؛ السبب في هذا أن كل عالم وكل إمام من هؤلاء الأئمة -رحمهم الله- قد بلغ درجة الاجتهاد بإجماع العلماء -رحمهم الله- فهو أهل أن يجتهد وأهل أن يُتَّبَع فمن اتبع قول إمام مجتهد وصار على هذا القول عمل به في عبادته ومعاملته فإنه قد فعل ما أمره الله به من اتباع أهل العلم والله -تعالى-

يقول : { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ } ، فمن رجع إلى هذه المذاهب المحررة ، ولماذا المذاهب الأربعة دون غيرها ؛ لأن الأئمة من غير المذاهب الأربعة لم يُعتن برواياتهم ولم تحصل أقوالهم ولم يعرف صحيح الروايات عنهم من ضعيفها ولم تميز نسبة الأحكام إليهم ؛ ولكن هؤلاء الأئمة الأربعة قُعّدت وأُصِّلت مذاهبهم وعرفت طرق الرواية إليهم ، وعرف صحيحها من ضعيفها ، وعرف المقدم منها من المؤخر وعرف ما لذي رجع إليه الإمام وما الذي عمل به ، فهؤلاء كلهم أئمة اجتهاد ، وعلى كل طالب علم أن يعرف مكانة أئمة السلف من هؤلاء الأئمة الأربعة ، فهؤلاء الأئمة الأربعة-عليهم رضوان الله ومغفرته ورحمته وجزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء في الدنيا والآخرة- ، لما قدموا لهذه الأمة من الخير العظيم والنفع العميم .

وانظر إلى هذا القبول الذي وضعه الله- U - لهم ، الله أكبر هذه القرون العديدة والأمة تتعبد في صلاتها وزكاتها وصيامها وحجها ومعاملاتها كلها بأقوالهم وبفتاويهم ووضع الله لهم هذا القبول حتى إن الفتاوى والأقضيات كلها كانت تنشأ من علم هؤلاء ؛ لأن هؤلاء الأئمة-رحمهم الله- كانوا أقرب إلى الحق وأعرف بالحق من غيرهم وكانوا يراعون السنن ويراعون الآثار فضبطت أقوالهم وحررت بالأدلة ؛ إنما الممنوع والممقوت أن الشخص يرى قول الرجل يعارض الكتاب والسُّنة فيتبع قول الرجل ويترك الكتاب والسُّنة أما هم فهم أهل العلم وأهل مكانة وجلالة ،

ولذلك يوصفون بالإمامة ويوصفون بأنهم علماء الأمة ، ونجد مثلاً شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : رفع الملام عن الأئمة الأعلام لم يجعلهم أئمة فقط بل جعلهم أعلاماً يهتدي بهم ، فهذا هو شأن الأئمة ولا يعرف الفضل إلا أهله لن تجد أحداً يقرر في نفس الناس محبة هؤلاء الأئمة وتوقيرهم وإجلالهم واعتقاد فضلهم إلا وجدته على علم وبصيرة لأن الفضل لا يعرفه إلا أهله ، ولن تجد أحداً يحقر من شأنهم وينقص من مكانتهم ويغض من منـــزلتهم ويحط من درجتهـــم إلا وجدته-نسأل الله السلامة والعافية- فيه من ضعف الإيمان وضعف البصيرة وتجده أجهل الناس بعلمهم ، لأنه لا يعرف الفضل إلا أهله ، فهؤلاء العلماء الأعلام أئمة الإسلام ودواوين العلم والعمل الذين رزقهم الله من الإخلاص والقبول نحسبهم ولا نزكيهم على الله ما نفع الله به في علومهم على مر هذه العصور والدهور ، ولاشك أن من انطماس البصيرة أن يأتي إنسان وينظر قبولهم في هذه الأمة وهذا السواد الأعظم الذي يكاد يكون كالإجماع . الذي نظر إلى هذه المذاهب وهي يفتي بها ويقضي بها ويُعلمها الناس هذا السواد الأعظم هل هو من فراغ وهل اجتمعت هذه الأمة على ضلالة ، فقراءة المذاهب الأربعة إذا كان بالدليل ويتبع الإنسان قول عالم بدليله ، وأنا أقول بالخبرة وبالمعرفة وقد قرأت مذهبين من هذه المذاهب على أيدي علماء-رحمهم الله- وحصلت المذهبين تامين كاملين ؛ لكن المذاهب الأخر بالاطلاع وقراءة كتبهم قرأت فيها مطولات ما وجدت قل أن تجد مسألة

إلا ولها دليلها ، إما من كتاب وإما من سنة وإما من إجماع وإما من الجميع وإما من نظر صحيح مبني على أصل من أصول الشرع من الكتاب والسُّنة ، ومن يريد أن يعرف ذلك فليقرأ متون العلماء -رحمهم الله- قل أن تجد كتاب فقه إلا وهو في جزئياته ومفرداته في الغالب والأكثر باب الوضوء ، حتى لو قرأت مثلاً باباً من أبواب المعاملات تجده يتقيد بالأحاديث الواردة في نفس الباب وهذا نعرفه لأننا جمعنا بين دراسة الفقه ودراسة الحديث والله إننا وجدنا كتب الحديث التي تبوب على أبواب الفقه متصلة اتصالاً وثيقاً بكتب الفقه حتى في الجزئيات التي يذكرها الفقهاء ولكن سبحان الله عفا الزمن فقل العلماء وكثر الجهلاء وجاء الشخص متخرجاً من جامعة ما قرأ مذهباً ولا حصل مذهب إلا وقيل له : ما المذهب الذي قرأته ؟ ما الذي حصلته في الفقه ؟ يريد أن يستر عيبه قال : والله هذه كتب آراء لا نشتغل بكتب الفقهاء ما نشتغل بكتب الرأي ، مَنْ جهل شيئاً عاداه ، كان العلماء لا يتكلم أحد حتى يعرف ما هو الأصل الذي بنى عليه ، لن تجد عالماً من علماء الأمة وديوان من دووايين العلم إلا وقد قرأ مذهباً وحصله بدليله ، شيخ الإسلام ابن تيمية تتلمذ على مذهب الحنابلة وقرأ مذهب الحنابلة بالدليل حتى فتح الله عليه بالاجتهاد ، الحافظ ابن عبد البر قرأ مذهب الإمام مالك وحصله ونظر فيه حتى خرج إلى درجة الاجتهاد ، الحافظ ابن حجر قرأ مذهب الشافعي وحصله ثم بعد ذلك ثم بعد ذلك ارتقى إلى أن ميز بين الأدلة وغيرهم من

دواوين العلم ، لن تجد عالماً من العلماء إلا وقد حصل ، الإمام ابن حزم نفسه يمشي على أصول الظاهرية ، ثم كل مذهب وضعت له أصول ما جاءوا منفلتين فكان الزمان منضبطاً بعلم مؤصل وقواعد معروفة ، ما تجد الشخص اليوم يأخذ بأصول يذهب إذا قيل له ما هي أصولك يذهب يبحث عن كتاب من كتب الأصول يقلده هو ينهى عن التقليد يقع في التقليد ولن يستطيع أحد أن يحك رأسه اليوم إلا بعلم هؤلاء ومن أراد أن يعرف ذلك جلياً فلينظر إذا نزلت به النازلة وألمت به الملمة يذهب ويأخذ كتاب المغني من أجل أن يفتي الناس يأتي ويقول لهم : والله المذاهب هذه كلها أراء ، فإذا سألته المسألة وحك فيها رأسه ذهب في العشية إلى بيته لكي يبحث عن المغني أو يبحث عن المجموع لكي يبحث المسألة التي يُسأل عنها وعندها يعرف من هم هؤلاء العلماء الذين يطعن فيهم ويتكلم فيهم ، فإذا تكلم أحد في هذه المذاهب الإسلامية ماقتاً لها أو آمراً بالبعد عنها ، أو عدم الاشتغال بها ، فاسأله المسألة واسأله عن النازلة ، واسأله عن المسائل الفقهية وأدلتها ، وانظر ماذا عنده ،حتى نستغني عن كتب العلماء بعلم مثل هؤلاء ، ولذلك نحن لا نعتب على أحد أن يأخذ بمذهب بشرط بالدليل ويؤصل ويكون متجرداً للحق ويلتمس الحق هذا هو مذهب أئمة الإسلام وهذا الذي درج عليه العلماء في سائر الأزمنة والأمكنة - وأسأل الله للجميع التوفيق والهداية .

السؤال :

مجموعة من الشباب قدمنا إلى درسكم ونريد رحمة الله وزيادة أيماننا بحضور هذا الدرس المبارك فأرجو توجيه نصيحة لنا تعيننا وتثبتا عليها ؟

الجواب :

بسم الله ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه أمابعد :

- فأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل اجتماعنا اجتماعاً مرحوماً وأن يجعل تفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً ، ربِّ لا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقياً ولا محروماً ، وأسأل الله بعزته وجلاله أن يتقبل منا جميعا هذا المجلس وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم - لا شك أخي في الله أنها نعمة من الله أن يوفق العبد لطاعته وأن ييسر له السبيل لمرضاته ، ولقد أعطى الله الدنيا من أحب ومن كره ولم يعط الدين إلا لمن أحب ، طبت وطاب ممشاك - وأسأل الله أن يبؤكم من الجنة نزلاً - فمن خرج إلى مجالس العلم وإلى كتاب الله وسنة النبي - r - طاب ممشاه وعظم أجره عند الله -جل في علاه- ، ومن خرج يلتمس سبيلاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وهذا يشمل حتى من خرج للسؤال والفتوى ما دام أنه يطلب العلم ، فهنيئاً ثم هنيئاً لك إذا أكرمك الله بهذه الكرامة أن تخرج إلى مجالس العلم وأن نغشى حلق الذكر الذي أوصيك به :

أولاً : الإخلاص لله - U - فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، فإذا أردت أن تحضر أي مجلس من مجالس العلم أو المحاضرة أو الدرس فأول ما تجتهد فيه أن تريد وجه الله وأن تبتغي ما عند الله فإنك إذا أرادت وجه الله عظم أجرك عنده وكان أجرك على الله - U - ومن خرج من بيته في طاعة من طاعات الله - U - فأدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، فالله الذي يتولى أجره وثوابه .

ثانياً : بناء على هذا الأصل فلا تخرج مع الأصحاب والأحباب من أجل أن تقضي الأوقات في مجالس الذكر ولا تخرج إذا خرجت من أجل أن تقابل فلان أو علان ولا تخرج لأنك تجد فيها انشراحاً أو تجد أبداً تخرج طاعة لله ورسوله-عليه الصلاة والسلام- واتباعاً للدين والشرع ، أن تتعلم أحكام دينك وشرعك ، ولذلك اختلفت أحوال من حضر مجالس العلم بحسب اختلاف نياتهم ، من خرج منهم من بيته مخلصاً لربه يحس أنه يريد أن يتعلم علماً ليعمل به فتح الله عليه في كل كلمة يسمعها ، ولربما سمع الكلام الكثير فيجمعه الله له فلا يشتت له قلب ولا يشتت له ذهن ويعان على فهم العلم وعلى ضبطه ، ومن خرج وهو يريد الذكر ولكنه يريد أن يأنس بالذكر وهو يعلم أن هناك علماً يحتم عليه أن يضبطه وأن يتقنه فقصر في ضبطه وإتقانه وخرج من أجل أن يجد الراحة النفسية أو الطمأنينة في مجالس العلم ، تجده يجلس في مجالس العلم ولا يبلغ أن يجد الراحة النفسية وقل أن يخرج بالفائدة ، فإذاً جدد النية بإرادة وجه الله

وضبط العلم لكي تَعْلَم وتعمل وتُعَلِّم الغير فإذا صلحت نيتك فتح الله لك أبواب رحمته { إِنْ يَعْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً } .

ثانياً : إذا جلست في مجالس العلم فاحرص على أن تكون بخير المنازل عند الله - U - فأعظم الناس في مجالس العلم سواءً كان درساً أو كان محاضرة تذكر بالله أو ندوة علمية أو غير ذلك مما يقصد به الدلالة على الخير إذا قصد أن يكون في حال يرضي الله - U - وجد واجتهد على أن يكون بأفضل المنازل كان اجره أعظم الأجر في ذلك المجلس ، وقد تجد الرجل لا يشعر بنفسه يخرج من بيته وهو من أخلص ما يكون لله ونيته أن يطلب العلم الذي يقال أو الذي يسمعه من أجل أن يعمل به وينفع الأمة ، فإذا به عند جلوسه في مجلس الذكر يلخص أو يكتب أو يحاول أن يحفظ ثم يرجع إلى بيته وقد يكون من مبتدئ طلاب العلم ، فلو علم ما له عند الله من الثواب والأجر في تلك الدقائق والساعات التي قضاها في ذلك العلم ضبطاً وإتقاناً لرجى من رحمة الله ما لم يخطر له على بال ، أهم شيء أن تحرص أن تكون بأفضل المنازل أفضل المنازل ، إذا كنت طالب علم تكون تقرأ الدرس قبل الجلوس وتراجع قبل الجلوس ثم تجلس مهيئاً نفسك في خشوعك ووقارك وسكينتك ولا تفوتك الكلمه فضلاً عن الجملة ولا يفوتك شيء من هذا العلم حتى تتقنه ، وأوصيكم وأوصي كل من حضر مجالس العلماء أن يحرص على أن يكون بخير المنازل لا يرضى لنفسه فقط أن يجلس في مجلس الذكر من أجل أن يجد الراحة النفسية وينقلب كأنه لم

يجد شيء لماذا نقول هذا ؟ كم من علماء اكتحلت أعيننا بهم بالأمس القريب كانوا أئمة في الحرمين وغيره يقتدى بهم وشعت أنوارهم في مشارق الأرض ومغاربها تعليماً للناس من الفتاوى والدروس وكان يجلس في مجالسهم الألوف أين هم اليوم ، وأين طلابهم ؟ وأين هذا الكم الهائل الذي كان يجلس معهم ؟ وكم تكلموا وكم نصحوا وكم علموا ، من الذي ضبط علمهم ، مما يدل على أن كثيراً ممن يجلس لا يحاول أن يضبط ما يقوله العالم ، مكانتك في مجالس العلم على قدر ما تضبط وتعي ولا تحتقر نفسك فقد يأتي الرجل وهو نجار وقد يأتي وهو صاحب صنعة ومهنه حداد أو غيره ولكنه يحضر نفسه لكي يسمع ويتعلم ما يقال قد يكون أفضل من عشرات طلبة العلم ، فيجلس طالب العلم وينظر المسألة كأنه يعرفها فيهمل في ضبطها متكلاً على أنها واضحة فلا يراجع وذلك يراجع ولا يضبط و الآخر يضبط ؛ لأن هذا المسكين متكل على أنه إذا حمل كتابه وقيل أنه طالب علم فهو طالب علم ، وأما الآخر فهو متوكل على الله صدق في نيته وضبط علم ، فهذان أمران في مجالس العلم كلها حتى ولو كانت محاضرة أن تخرج وأن تريد وجه الله وألا ترضى لنفسك بالدون بل تسعى أن تكون أفضل ما يكون عليه طالب العلم ، فتجد طالب العلم بحق قرينه كتابه وقلمه وورقه معه ولا يمكن أن يفوته شيء في مجلس العلم ، ثم بمجرد أن ينتهي من مجلس العلم ينقلب إلى بيته لكي يراجع ويدون ،

ويحس بالأمانة والمسؤولية فهذا أفضل حالاً وأعظم منزلة عند الله- U -
.

أما الأمر الثالث : فأوصيك إذا جلست في مجالس العلماء أو مجالس الذكر أن تجتهد في أن تعرض قلبك على الله- I - فكل ما تسمعه من أوامر الشرع أو نواهي الشرع أو زواجره وكل ما تتعلمه تعقد النية في قلبك على أن تعمل بما أمرك الله أن تعمل به ، وأن تجتنب ما نهيت عنه ، فمن جلس في مجالس العلم واستمع إلى أوامر التنزيل والنواهي وعقد العزيمة على أن يعمل بما أمر الله ، وأن ينتهي عما نهى الله عنه فإنه مطيع لله ورسوله والطاعة لله باب خير على العبد في دينه ودنياه وأخراه ، وأسعد الناس في الدنيا والآخرة هم المطيعون وأكثرهم فلاحاً وصلاحاً وربحاً ونجاحاً هم المطيعون لله ، وهذه الطاعة لها أمارات وعلامات وأصدق علامة وأمارة تجدها في مجالس العلم حينما تجده بمجرد أن تقال له السُّنّة أو يقال له العلم النافع يحرص على أن يعمل به فلا يسمع أمراً من الله ولا نهياً ولا زجراً إلا قال : سمعنا وأطعنا ، أن تتعلم الإخبات والطاعة والإنابة لله- U - بصدق وأن تترك هذه الأهواء التي عمت وطمت وكثرت ، خاصةً في هذه الأزمنة من الجدال والمراء ، فتجده إذا قيل له : أفعل يقول : لماذا أفعل ؟ وإذا قيل له : إن الله يأمرك بكذا وكذا يقول لماذا يأمرنا ؟ -نسأل الله السلامة والعافية- فهو لا يلتزم شيئاً من الدين والشرع إلا إذا عقله وتعقله ، وهم العقلانيون الذين-والعياذ بالله- أدخلوا على أنفسهم أبواب

الفتن حينما لم يسمعوا ولم يطيعوا ، إذا أردت أن تسعد بالعلم بعد أن تخلص فيه وتضبطه أن تكون على مقام السمع والطاعة لله ورسوله-عليه الصلاة والسلام- { فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً } ، ثم أنظر -رحمك الله- ما هي الثمرة لهذا الاخبات والذلة والطاعة لله ورسوله إذا بلغك الحكم في كتاب الله وسنة النبي - r - ممن يوثق بعلمه التزمت بذلك وقلت أمر الله سمعاً وطاعة ، نهى الله سمعاً وطاعة يقول الله- U - : { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً @ وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً @ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً } فإذا أردت أن يثبتك الله في هدايتك وأن يثبتك الله في استقامتك وأن يثبتك الله في طاعته فعليك أن تتعود على السمع والطاعة ، وما حرص أعداء الإسلام خاصة اليوم على شيء مثل التشكيك في أوامر الشرع ونواهيه ومحاولة أن يكون عند الإنسان السؤال عن كل صغيرة وكبيرة فهو لا يريد منه سمعا وطاعة لربه يقول : كل شيء ناقش فيه ، ما في شيء اسمه مسلمات ، ما في شيء اسمه الإنسان يطيع كالأصم والأبكم { كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً } قالوا له : إن محمداً يزعم أنه ذهب إلى مسجد بيت المقدس يقولون لأبي بكر- t - صبيحة الإسراء قال : أهو يقول ذلك ؟! قال : نعم قال : صدق ما في شيء كيف وكيف ذهب وكيف جاء ؟ قال : أهو يقول ذلك ، فقط يقول ذلك ، قالوا : نعم

. قال : صدق { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ }

هذه هي النماذج التي تتربى الأمة على الائتساء والاقتداء بها ، أما الحثالات الذين لا يبالون بالعلم النافع والذين يريدون أن يشككوا الأمة في العلم النافع من كلام الله وكلام رسوله- r - فاليوم يبدأون بمجالس العلماء يقولون لك : إذا جلست في مجلس العلم لابد تناقش وتناظر ، ثم غداً تنتقل المناقشة والمناظرة إلى النصوص ثم يبقى-والعياذ بالله- -نسأل الله السلامة والعافية- فيه حتى يبقى يناقش حتى-والعياذ بالله- لا يمسك من دينه وإسلامه شيئاً ، وعندها لا يهلك على الله إلا هالك ، عليك بالسمع والطاعة وأن تلتزم بهذا الدين والشرع وأن تتشرف بهذا السمع والطاعة وليس بمنقصه لك ولا بتعطيل لفهمك ، ففي الدين ما يعقله الإنسان ، وفيه مالا يعقله ، وإذا كان لا يعقل شيئاً والتزمه فمعنى ذلك أنه مصدق بحق وملتزم بالدين بصدق ، وعندها يعظم أجره وترفع درجته - فنسأل الله بعزته وجلاله أن يرزقنا الإيمان والتسليم.

ثم أوصيك أخي أن تحرص في مجالس العلم على أن تكون في حالك بإخلاق الإسلام مع إخوانك ومع من معك فلا تشوش في مجلس العلم ولا تؤذِ من معك من إخوانك ، وتتواضع لهم وتظهر شمائل الإسلام وآدابه من خلال أقوالك وأفعالك - نسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن يرحم ضعفنا وأن يجبر كسرنا وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح إنه ولي ذلك والقادر عليه.

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

السؤال :

المناقشة بين طلبة العلم من الأمور المحمودة التي تكون سبباً في تفتيق الألباب ، كيف نجمع بين هذا وبين قول النبي- r - : ((أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقاً))

الجواب :

المراء هو الجدل والاسترسال في الأمر ، أخوك سألك فأجبته ، ثم أورد عليك إيراداً فأجيبته ، وكان إيراده علمياً صحيحاً فلا إشكال ، هذا لا ليس من المراء ؛ لكن حينما يتكلف ويتكلف من يجيب فقد ماراك ، والممارة لا تنبغي في العلم ، والحديث ورد على سبيل الأفضلية ، وكان بعض العلماء-رحمهم الله- لا يحب المناقشة ، خاصةً إذا كان من أهل العلم المتمكنين الراسخين لا يحب المناقشة وحفظت هيبته ، ومما كان معروفاً عن سماحة الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ-رحمه الله برحمته الواسعة- إمام العلماء ، كان-رحمه الله- لا يناقش ، وبمجرد أن يكون في مجلس فتبدأ المناقشة يقوم من المجلس ، ولذلك كان-رحمه الله- محفوظ الهيبة محفوظ المكان ، والناس يختلفون في العلم ، من أهل العلم من يقدم حرمة العلم ، ولا يريد الجدل ، ولا يريد النقاش ، ويريد التسليم وهذا هو الأصل في الشرع ، ولذلك أعداد الإسلام والمتقعرين والمتشددين وأذنابهم من الذين يريدون سلب أهل العلم مكانتهم وسلب

الدين حرمته ومنـــزلته يقول لك : ما في شيء ما يقبـــل النقـــاش ، يـــا سبحان الله حتى وحدانية الله يقول : ناقش فيها ، تعالى الله عمـــا يقـــول الظالمون علواً كبيراً ، تنشأ الأمة عن المسلمات يقول لك : أبـــداً مـــا في شيء اسمه مسلمات ، لابد يناقش ، لابد الطفل من الصغر يعلم النقاش ، نعم -نسأل الله السلامة والعافية- هذا من الضلال البعيد ، ولذلك كـــم كانت الأمة في عزة وكرامة ، وكم كان أتباع هذا النبي الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- في راحة حينما كانوا على التسليم ، الدين كله علـــى التسليم ، وما سمي إسلاماً إلا من الاستسلام لله - U - والإنقيـــاد لـــه ، يقولون : نعم هؤلاء علماء ، رجال ، بشر يخطئون ويصيبون ، نقول : نعم يخطئون ويصيبون والغالب أصابتهم ؛ لأنهم عرفوا بالصلاح والاســـتقامة والعناية بالعلم وتبرزوا بذلك وأتقنوه ، يا سبحان الله أنتـــرك أربعمائـــة ، وثلاثمائة ، ومائتين شخص يركبون في طائرة مع قائد يقودهـــا يحتمـــل أن تسقط وتنفجر ويموتون يقول لك : لا ، الغالب أنه يقود بســـلامة ، يـــا سبحان الله لماذا لم نناقشه ولماذا لم نخاص معه ؟ ونتركه ونأمنه على الأرواح ؛ لأنه يقول : الغالب السلامه ، هذا صحيح ، إذا كان الغالب الســـلامة ضرب الله المثل إذا كان الغالب السلامة في هذا وهو يقود لربما يهلكـــون في طرفه عين ، فما باله لا تكون السلامة في علماء ربانيين أمناء على ديـــن الله زكاهم الله - U - وقال : { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } وما باله لا تكون الغالب السلامة في أنـــاس رفـــع الله قـــدرهم

وشرفهم وكرمهم وائتمنهم على دينه وشرعه ، فمثل هذا هو الأصـــل أن التسليم هو الأصل في الإسلام ، والجدل والنقـــاش والمـــراء -نســـأل الله السلامة والعافية- عواقبه وخيمة ، ولذلك يقال : مارى أحد إلا ســـلك مسلك الشدة والعنت على نفسه ، كما قال ابـــن عبـــاس -رضـــي الله عنهما- : " إن بني إسرائيل قال الله لهم : أذبحوا بقرة ، فلو أنهم ذبحوا أي بقرة لأجزأتهم " وفي الأثر : " شددوا فشدد الله عليهم " ومن هنا كل من يتعنت ويناقش ويجادل جدلاً عقيماً فعواقبه وخيمة .

أما ما يقع بين طلبه العلم فالأصل :

أولاً : أن تكون المناقشة في حدود العلم ، لا ينبغي لطالب علم أن يجـــادل أخاه في شيء لا يعلمه هو ، ولا ينبغي له أن يتناقش مع طـــرف ثـــانٍ لا يحسن ما يناقش فيه ، نعم نتناقش : هل الشيخ قال كذا أو قـــال كـــذا ؟ نتناقش : هل المقصود كذا أو كذا ؟ في حدود ضيقة ، أما أنه بمجـــرد أن يجلس عند شيخ أو عند عالم ويصبح من طلبة هذا العالم تجده يتنـــاقش في مسائل المنبغي أن يتكلم فيها العلماء ، أو يتناقشان في مسألة يعني من مـــا مر علينا من أسئلة طلبة العلم في بعض الأحيان يقول : تناقشت أنا وفلان وفلان في مسألة كذا وكذا ، منها المسائل الأفضلية ، بعضـــهم يقـــول : يسافرون في طلب العلم فيقول له : كان المنبغي أن تطلب العلم في بلدك ، يقول : لا ، بل الأفضل أن آتي هنا ، ثم تبدأ ، مـــا شـــاء الله النصـــوص والأدلة والتقعيد والتأصيل ، هذه ما هي مناقشة ، هذا تعـــالم ؛ لأن هـــذه

المسألة أصلاً كثير منها اجتهادية ، وهذه المسائل الاجتهادية المنبغي أن يجتهد فيها من علم الشرع وعلم ضوابط الاجتهاد في الشرع ، فإذا بهم يقولون تناقش فيها ، هذه ما هي محل للنقاش ، تناقش في شيء تعلمه وأما شيء لا تعلمه تقول : الله أعلم ، هذا مبلغ علمك ، وهنا فرق بين إنسان يقول : الله أعلم ، وبين أنه يتقحم العلم ، تجد البعض يقول : هذا ما فيه بأس ؛ لأنه ما فيه نص ، هذا جائز ؛ لأننا لا نعرف في السُّنة كذا وكذا ، طيب من أنت حتى غربلت السُّنة وتتبعت الأحاديث والآثار حتى تشهد أنه ما في حديث في السُّنة ؟! هنا المشكلة هذا ليس نقاشاً هذا تعالم- نسأل الله السلامة والعافية- .

أما أن نتناقش مع أخي نقول مثلاً :

أولاً : نبدأ بكذا أو نبدأ بكذا في مسائل مؤصلة معروفة مضبوطة ، وضبطها طالب العلم ، فلا بأس مذاكرة العلم مثلاً جئنا عند الشيخ وقال الشيخ ، شرح حديث كذا وكذا ، ثم ذكر الدليل ، ثم ذكر وجه الدلالة ، نتناقش في هذه الأشياء المذكورة التي لها حدود ومعالم فلا بأس ولا حرج ، أما أن يفتح النقاش لكل من هب ودب ، ويصبح الأخذ والعطاء في مسائل الدين والشرع ممن لا يحسنها ، فهذا هو عين الجدل العقيم الذي ينتهي بصاحبه إلى مسلك الجحيم - أعاذنا الله وأياكم من ذلك بمنه وكرمه وهو العليم الكريم - ، على المسلم أن يتجنب الجدال والنقاش فيما لا يحسنه وفيما لا يعلمه ، والأفضل والأكمل للإنسان في طلبه للعلم

أن لا يناقش ، وأن يتعود أن يسأل أهل العلم ، هناك فرق بين أن يسأل وبين من يناقش ، يعني مثلاً لما يجلس عند شيخ أو أحد من أهل العلم يسأله يستوضح ، ولذلك الاستيضاح لا يغض من مكانة طالب العلم ، وعليه أن لا يتكبر وأن لا يستنكف فبعض طلبة العلم بمجرد أن تطرح المسألة في الجامعة ، في المحاضرة ، في المسجد تجده يناقش يقول : المناقشة ما فيها بأس ، يعني الشيخ ذكر مسألة هل تجب الزكاة في السائمة أو لا تجب ؟ ثم جاء وذكر الدليل وقال : الصحيح أنها لا تجب ؛ لأن مفهوم الصفة في قوله-عليه الصلاة والسلام- : ((في السائمة الزكاة)) يقتضي أنه يشترط السوم في الزكاة ، فيبدأ يناقشه في هذه المسألة ، وهو إلى الآن لا يعرف ما هي السائمة ؟ ولا يعرف الضوابط حدود المسألة أنها في بهيمة الأنعام أو غيرها ، ولا يعرف أصل ، بل بعضهم لا يعرف حتى أصناف الأموال التي تجب فيها الزكوات ، هذا ليس بنقاش هذا تعالم ، ولذلك كم من محاضرات ذهبت هدرًا وحرم طلبه العلم الفائدة بمثل هذه النوعيات ، وكررنا أكثر من مرة ؛ لأننا نعاني بلاءً عظيماً ذهب به العلم وفائدة العلم بسبب عدم العناية بالضوابط الشرعية ، وعلى المدرس ، وعلى الدكتور ، وعلى طالب العلم إذا كان في مثل هذا أن يسكت أمثال هؤلاء وأن يمنعهم عليهم أن يتعلموا أولاً ، ثم بعد ذلك يناقشوا على كل طالب علم أن يسأل نفسه ، بالله العظيم مَنْ مِنْ طلبة العلم من يقرأ الحديث أو المسألة في الجامعة أو غيرها ويحضّر ثلاث مرات أو أربع مرات قبل أن يأتي إلى

المحاضرة أو قبل أن يأتي إلى الدرس ؟! قل أن تجد أحداً يفعل ذلك ، ثم تجده عهده حتى لو قال له المدرس أو الدكتور أين آخر مسألة شرحناها ؟ لا يعرف أين الذي شُرِح ، الذي يعرف أنه فقط شيء أعجبه يقبله ، شيء ما أعجبه يناقش فيه ، هل هذا هو العلم ؟!! هل هذا هو العلم ؟!! ثم بعد ذلك ما شاء الله هذا طالب مميز ، ما شاء الله هذا هو المناقش ، هذا هو المفيد ، وتذهب الساعات ، ويذهب الوقت ، وتذهب البركة ، ولو أن العالم أو المدرس أو المعلم أعطي حقه في التعليم لاستفاد الطلبة الخير الكثير ، كان بعض العلماء يجلس من بعد صلاة الفجر إلى صلاة الظهر وهو ما جاوز مسألة واحدة ، يبدأ بالمسألة بقراءتها ، ثم يقرأ المتن كلّ طالب قرابة العشرين طالباً ، ثم بعد أن يصحح لفظه وقراءته كيف ينطق الجملة وكيف ينطق العبارة يبدأ يُفَصِّل هذه المسائل كلمة كلمة ، ثم بعد ذلك يذكر أمثلة المسألة ، وصورة المسألة ، ثم بعد ذلك يذكر الأدلة ، ثم يذكر وجه الدلالة ، ثم يراجع مع طلبته ، ثم يؤذن صلاة الظهر ، ولذلك كان علماً متيناً علماً راسخاً ، هذا هو العلم الذي يستفاد منه ، فيأتي طالب ويقول : والله أنا ما فهمت هذه المسألة أعدها لي ، نعم هذا طالب علم ، أنا لا أعرف ما معنى كذا نعم !! هذا طالب علم ، أما أن يأتي ويناقش ويجادل ، وهو أبسط المبادئ في الباب الذي يريد أن يقرأه لا يدركها ، هل هذا هو العلم النافع ؟! هل هذا هو الذي يبحث عنه طالب العلم ؟! علينا أن نتقي الله ، وأن نعيد النظر ثم نعيد النظر في طريقة المناقشة والحوار ، هل هي في

أشياء ضبطناها وأتقناها ، وكل من يناقش سواءً منفرداً أو مع غيره في أي مسألة من مسائل الشرع ، ويعلم من نفسه أنه ليس بأهل للمناقشة فقد غش نفسه ، وإن كان أمام الناس فقد غش أمة محمد- r - وجرَّ عليهم الويلات ، وعلينا أن لا نضيع الوقت في أمثال هؤلاء الذين يصنعون الجدل العقيم عواقبه وخيمة ، والمناقشة بين طلبة العلم إذا كانت مبنية على أسس صحيحة ومذاكرة طيبة فلا بأس :

وأعلم بأن العلم بالمذاكرة   والدرس والفكرة والمناظرة

وبالمذاكرة تتلقح الأفهام ، مذاكرة أن يأتي طلبه العلم بعد مجالس العلم لكي يجلسوا ويقولون : ذكر الشيخ في هذا الحديث خمس مسائل ، المسألة الأولى كذا ، والثانية كذا ، والثالثة كذا ، والرابعة كذا ، ثم يقف ويقول : يا فلان ما هي الخامسة ؟ فيقول فلان : الخامسة كذا ، ثم يكمل هذا نقص هذا ويقول : لا ، ذكر هذه المسألة قبل هذه المسألة ؛ لأن هذه المسألة تنبني على هذه المسألة ، هذا هو العلم النافع قال : ((كنا إذا جلسنا عند جابر فخرجنا تذاكرنا العلم فإذا أبو الزبير أحفظنا وأبو الزبير)) هو محمد بن مسلم بن تدرس المكي الراوي المشهور عن جابر وغيره ، فالشاهد من هذا أن مذاكرة العلم إذا كانت ضبطاً للعلم وإتقاناً حيهلاً بها .

وأما إذا كانت جدلاً عقيماً ومحبة للتبرز " حب الظهور قسم الظهور " ، " ومن جاء ناقداً رجع فاقداً " وعلى كل من يسلك هذا السبيل أن يتقي

الله - U - وأن يستغفر الله ويتوب إليه ، وأن يرجع عنه ، وأن ينصح غيره إذا رآه على هذا السبيل ، إذا رأيت من يجلس في مجالس العلم يضيعها بالمناقشات ، ويضيع على الدكاترة محاضراتهم والمدرسين محاضراتهم أن تأخذه بعد المحاضرة وأن تذكره بالله وأن تبين له حاجة إخوانك إلى هذا العلم ، وبهذا تصلح أحوال الأمة - نسأل الله بعزته وجلاله أن يعين على ذلك وأن يجعلنا أئمة في ذلك - ، والله - تعالى - أعلم .

السؤال: من خرج يطلب العلم فانقلبت سيارته فمات فهل هو شهيد ؟

الجواب :

كل من خرج إلى طاعة وعمل خير فانقلبت سيارته أو مات في طريقه فإن هذا من علامة حسن الخاتمة - نسأل الله بعزته وجلاله أن يكرمنا بحسن الخواتم - ، ولا شك أن أفضل ما يكون العمل إذا كان في طلب العلم لأن النبي - r - فضله على العبادة وقال كما في الحديث الصحيح : ((إن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر)) ثم بين -عليه الصلاة والسلام- فضل هذا السبيل فقال : ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)) ولا يشترط في السفر بل حتى لو خرج من بيته يريد حلقة علم ثم حصل له حادث فمات أو حصل له حادث وانكسرت سيارته أو جاءه بلاء في بدنه أو جسده فعلى الله

أجره وعلى الله ثوابه ؛ لأنه خرج من بيته في طاعة الله وخرج من بيته في مرضاة الله وحينئذٍ أجره على الله - I - حتى يرجع إلى بيته وهذا ذكر الإمام القرافي -رحمه الله- في الذخيرة القصة المشهورة أن مالك بن أنس الإمام الجليل -رحمه الله- لما بلغ يعني سن التمييز وظهرت فيه النجابة وكان يتيماً قالت أمه : - ألبسته العمامة - وقالت : يابني اذهب إلى ربيعة ، وكان ربيعة -رحمه الله- ربيع بن أبي عبدالرحمن فروخ إمام المدينة في الفقه وكان آية في الحجة والرأي يقال له (ربيعة الرأي) وله قصة مشهورة في هذا ، فالشاهد من هذا أن ربيعه لما جاءه مالك كان مالك- رحمه الله- صغير السن وقالت أم مالك لمالك : يا بني اذهب إلى ربيعة واجلس في مجلسه وخذ من سمته ودلّه قبل أن تأخذ من علمه ، يعني خذ من وقاره وسمته في العلم ، وكان السلف -رحمهم الله- من الصحابة والتابعين إذا جلس الإنسان يتحدث في العلم ظهرت آثار الهيبة للدين والشرع ما يجلس جلوس السفهاء والرعاع ؛ إنما يجلس جلسة تعطي هيبة ، ولذلك أثر عن الإمام مالك أنه كان لا يحدث بالحديث حتى يجلس على أريكة ويطيب مجلسه بأفضل الطيب تعظيماً لحديث رسول الله- r - ، فكانوا يعظمون العلم فلما جلس بين يدي ربيعة قال له ربيعة والقصة مشهورة ذكرها أهل السير والمناقب : يا بني - يخاطب مالكاً - يابني أخلص في طلب العلم فإنه قد جلس مجلسك هذا غلام صغير كان من أشد غلمان المدينة عبادةً وصلاحاً غلام صغير سن ، وكان من صغره محب

للخير وكانت الناس تعجب من صلاح هذا الحدث الصغير قال : فكان يجلس في مجلسك فما هو إلا أن توفاه الله فلما يبق أحد في المدينة من علمائها وفضلائها إلا شهد جنازته من حبهم لهذا الغلام ، قال : فرؤي في النوم وقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : قال لملائكته : اغفروا لعبدي وارفعوا درجته مع العلماء فإنه كان يحب أن يكون منهم نبيته صالحة فبلغه الله منازل العلماء بنيتة مع أنه توفي قبل أن ينال العلم وهذا يدل على أن كل من أخلص لوجه الله وخرج من بيته في عمل صالح خيرٍ وبر ونيته خالصة لله أن الله يبلغه بهذه النية الصالحة كرماً منه -سبحانه- وفضلاً ، وأما الانقلاب بالسيارة فليس بشهادة ؛ لأن الشهادة منصوص عليها في الغرق والحرق إلا إذا احترقت السيارة فإذا احترقت السيارة فهذا نوع من أنواع الشهادة الذي عناه النبي - r - بقوله : ((والحريق شهيد)) وهكذا إذا سقطت به في نهر أو سيل أو بحر فإنه شهيد بالغرق ، أما لو أنها انقلبت به فبعض المتأخرين من العلماء -رحمهم الله- يقولون : إن هذا في حكم الهدم فقاسوه على الهدم وأدركنا مشايخنا -رحمهم الله- على أنه لا يعتبر شهادة إلا ما ورد به النص وهذا هو الذي تطمئن إليه النفس أن

الشهادة مخصوصة بما ورد في الحديث ولكنه على فضيلة عظيمة ومنزلة كريمة إن أخلص لوجه الله - نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل - ، والله - تعالى - أعلم .

السؤال:

عند حضور مجالس العلم أيهما يقدم أولاً القرب من الشيخ أو الجلوس في الصف الأول ؟

الجواب :

لا شك أن الصف الأول هو أولى وأفضل ، وعلى طلاب العلم أن يحرصوا على السُّنة واتباع هدي النبي - r - وألا يتأخروا عن الصفوف الأول لأي شيء ما لم يكن هناك عذر شرعي ، أما الأصل فإنه ينبغي للمسلم إذا جاء مبكراً أن يحرص على الصفوف الأول ، وكان في القديم ربما لا يستمع حديث الشيخ خاصة إذا كثر الناس فربما يبكر بعضهم ويأتي بقرب الشيخ حرصاً على العلم وتفضيلاً للعلم على العبادة هذا فيه تأويل وكان بعض العلماء وله أصول منها مسألة ذكرها العلماء -رحمهم الله- في صلاة الفجر : هل الأفضل أن يصلي في الصف الثاني فيسمع قراءة الإمام أو الصف الأول إذا كان بعيداً عن الإمام ؟ هذه مسألة مشهورة منهم من فضل الصف الثاني لسماع القراءة تفضيلاً للعلم على العبادة ، وهذا في حال عدم السماع : أما اليوم والحمد لله فقد تيسر سماع أقوال العلماء وسماع دروسهم فليس هناك عذر لأحد أن يترك الصفوف الأول وأناشد الله خاصة طلابنا سواء هنا أو في الحرم النبوي وهذا مما يؤلم القلب ويقرحه

ونبرأ إلى الله - U - من طالب علم يترك الصفوف الأول ويجلس بجوار الكراسي هذا ما نستطيع أن نقره لأنه خلاف السُّنة وهم قدوة للناس والقرب الذي يسعد صاحبه في الدنيا والآخرة هو القرب من الله - U - بالتقرب إليه - I - وأهل الصفوف الأول أقرب ما يكونون إلى الفوز برحمته وعظيم جنته ، فأسعد الناس في الصلاة هم أهل الصفوف الأول إن أقاموا خشوعها وركوعها وسجودها وطهارتها على الوجه الذي يرضي الله - U - فالتأخر عن الصفوف الأول للمجالس لا أراه ، والذي أراه اتباع السُّنة وهدي النبي - r - ولا يغتر أحد بما يراه من طلابنا أو طلاب غيرنا هذا فيما ترجح لنا ، أما إذا كان ترجح عند غيرنا من أهل العلم شيء آخر تأوله بعض طلبة العلم لا ينكر عليهم لأن لهم تأويل من السُّنة في تفضيل العلم على العبادة ؛ ولكن النص في هذا واضح وهو تقديم الصفوف الأول والحرص عليها واتباع سنة النبي - r - أولى وأحرى ، والله - تعالى - أعلم .

السؤال : طالب يدرس في كلية الهندسة وله رغبة جامحة في طلب العلم فكيف له أن يوفق بين دراسته وطلبه العلم ؟

الجواب :

أولاً : لا شك أن المسلمين يحتاجون إلى الأطباء وإلى المهندسين وإلى من يسد ثغور الإسلام وحاجة المسلمين في هذه التخصصات حتى لا يحتاجوا إلى غيرهم ، ومن درس هذه المعارف والفنون وأتقنها حتى يصلح للمسلمين أمورهم في معاشهم وكانت نيته صالحة فإن الله يأجره ويثيبه خاصة إذا وجد أن المسلمين قد تكون حاجتهم عند الغير فيستضروا بذلك أو وجد من يظلمهم بالمبالغ الكبيرة وأراد أن يخفف عنهم فكل من حسنت نيته في الطب أو الهندسة أو أي دراسة أو أي تخصص فيه نفع للمسلمين في أموالهم أو في أجسادهم وفي أرواحهم وفي مصالحهم الدينية والدنيوية فهو مأجور على حسن النية في ذلك والإسلام لا يمنع المسلم أن يكون مهندساً ولا يمنعه أن يكون طبيباً ، ولذلك أثر عن الإمام الشافعي- رحمه الله - أنه كان يقول عن المسلمين : " ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى " ضيعوا ثلث العلم يقصد الطب ، وكذلك - أيضاً - أثر عنه أنه قال : لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب ؛ وذلك لأنه ثلث العلم لأن العلم يكون للروح ويكون للجسد بنوعية ومن هنا كان الطب ثلثاً والجسد فيه الجسد وفيه الروح فكان ثلثاً من هذا الوجه وهؤلاء أئمة الإسلام ودواوين العلم لم يمنعهم أن يعتبروا هذا المعارف الدنيوية وهذه العلوم الدنيوية ، ولكن لا يختلف اثنان من أهل العلم على أن العلم في شرفه ونبله هو العلم الشرعي وأن هذه المعارف الدنيوية تسمى علوماً بالظاهر ؛ لكن شرف العلم وما ورد في النصوص في

الكتاب والسُّنة في العلم المراد به العلم الشرعي المتعلق بالعقائد وعلم الأحكام الشرعية وهذا هو الذي نص عليه العلماء والمعروف في شروح الأحاديث ، و- أيضاً - تفاسير القرآن وهو الذي له شرف العلم والذي ورد برفعة درجة أهله في الدنيا والآخرة ، فلو أن الإنسان أتقن الطب أو أتقن الهندسة فهو مأجور بحسن نيته ؛ لكن لو أنه تخصص في الهندسة وأراد أن يتجه للعلوم الشرعية فنقول : هناك علوماً شرعية ملزمة لك وهو العلم الضروري يجب عليك أن تتعلمه ، وأما ما زاد على ذلك فهو نافلة في حقك وإذا تخصصت في الطب أو تخصصت في الهندسة فصيانة أرواح المسلمين وسياراتهم وبيوتهم لا شك أنها أمانة في عنقك ، ولذلك تجد بعضهم في الطب ولا يدرس دراسة جيدة فيتخرج فيؤذي الناس في أجسادهم ويؤذي الناس في أرواحهم فنحن نقول : إذا تخصصت في الطب أو الهندسة أتقن الطب والهندسة لأنه فرض عليك ما دمت أنك تفرغت من بين المسلمين للاشتغال به والمسلمون محتاجون إليك فواجب عليك أن تتقن هذا العلم وأن تضبطه ثم بعد ذلك تجعل فضلاً من وقتك لطلب العلم لكن في الأساس عند العلماء من تفرغ لعلم من علوم والكفايات ؛ لأن الطب من فروض الكفاية كما نص عليه العلماء -رحمهم الله- والعلوم الهندسة مثلاً هندسة بيوت الناس الآن لو لم يملك المسلمون مهندسين لربما سقطت البيوت وبنيت عشوائياً فأضرت بأرواح الناس حتى في طرقهم وطريقة هندسة الطرق حتى في بعض الآلات والأجهزة فلا يظن أحد أن

الإسلام فقط في المسجد ، الإسلام أعمق من هذا كله والإسلام قائم على رعاية المصالح ودرء المفاسد وكما أن المفاسد تكون دينية تكون دنيوية أيضاً - ، فالمهندس الناجح في هندسته قد ينقذ الله به أرواحاً وقد يحصل غش في البناء وقد يحصل غش في طرقات المسلمين وقد يحصل غش في الأشياء التي يتعامل معها المهندسون ولا يستطيع أن يكشف ذلك الغش إلا الأمين الناصح فيكشفه فيثيبه الله بأعظم الثواب لأنه صان أرواح المسلمين عن الهلاك ، وإذا كان في الحديث الصحيح لما مر رجل على غصن شوك قال : ((لأنحينَّ هذا عن طريق المسلمين لا يؤذيهم فزحزحة الله به عن نار جهنم)) فما بالك بمن حفظ الله - U - به طرقات المسلمين أو حفظ به بيوتهم أو حفظ به مثلاً سياراتهم التي يحصل فيها الغش والأذية ، وفي الطب حفظ به أرواحهم وأجسادهم فمدار الأمر كله على مصالح المسلمين ، جلب المصالح لهم ورفع المضار عنهم ، تتقن ما أنت فيه ، وكم الآن تجد أناساً قد يكون طالب في الهندسة وهو يرى من يُدرس الهندسة لا يتقن تعليمه وتدريسه فينوي في قرارة قلبه أن يتخرج وأن يأتي مكان هذا المدرس الفاشل الذي لم يحسن تعليم المسلمين وقد ينوي أن يتخرج في مكان ينفع به المسلمين ، وقد ينوي أن يتخرج فيقوم على مصالح المسلمين بالمال القليل ولا يضيق على المسلمين كلها نوايا صالحة ما دام أنه يريد الخير للمسلمين وكلها نوايا يثاب صاحبها ويؤجر عليها فالإسلام أعظم من أن يظن الإنسان أنه منحصر في شيء بل إنه دين جعله الله رحمة للعالمين

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } ، فأتقن ثغرك وأحسن علمك الذي تخصصت فيه وأنوِ بذلك نفع المسلمين وأنت مأجور غير مأزور ومعانٌ من الله - U - وهكذا الشأن في الأطباء وغيرهم ، كم الآن نجد من الغش في الطب وكم نجد من يأكل أموال الناس بالباطل ومن يعرض أرواح المسلمين للخطر في طبهم وكم من الأعضاء يبتر ! وكم وكم ..!! ومع هذا ما حصل هذا كله إلا بعدم وجود الاكفاء وعدم وجود الأمناء فكم من الأجر يكون للطبيب الذي يحسن نيته أن يأتي مكان هؤلاء ، ولو كان واحداً فإن الله يأجره على حسن نيته ويثيبه على طيب طويته - فنسأل الله بعزته وجلاله أن يبارك للمسلمين في هذه العلوم وأن يجعلها عوناً لهم على طاعته - ، فاشتغل بهذا الأساس واجعل مثلاً أيام العطلة أو أيام فراغك لتعلم الشرع أو أيام الإجازة التي لا تؤثر على تحصيلك الأساس ، والله - تعالى - أعلم.

السؤال : إذا سأل طالب علم أحد العلماء وأفتاه ثم سمع من عالم آخر فتوى تختلف عن فتوى العالم الأول وطالب العلم يثق في علم العالمين فماذا يصنع وبأي فتوى يأخذ ؟

الجواب :

بسم الله ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أمابعد :

فقد اختلف العلماء -رحمهم الله- في هذه المسألة إذا اختلف العالمان :

إما أن يكون الذي سمع القولين من العالمين يمكنه أن يميز بين العالمين في الفتوى بأن يتتبع الأدلة وينقل إلى هذا أدلة هذا دون أن يقول : فلان يفتي بغير قولك ؛ لكن يقول : يا شيخ ما هو الجواب عن حديث كذا أو عن آية كذا أو عن دليل كذا ؟ والشيخ يجيبه ، ثم ينقل جواب هذا حتى يستطيع أن يصل إلى القول الراجح أو يتبين له القوة والحجة في أحد القولين فحينئذٍ إذا كان طالب علم يمكنه التمييز لا إشكال أنه يميز ويسأل هذا العالم عن دليله ويسأل العالم الثاني عن دليله دون أن يحدث فتنة .

وبالمناسبة اسوأ ما يكون من آفات العلم النميمة بين أهل العلم ، وويل ثم ويل لمن نَمَّ بين العلماء ، الذي يأتي إلى عالم ويأخذ فتوى ، وأحذر أحذر كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر من عذاب في القبر للنمامين وأعظم النمامين من نَمَّ بين العلماء وأفسد ما بينهم ، فتجده يحضر لدرس شيخ أو يحضر مجلس شيخ أو يزوره في المناسبات ، ويطعم من طعامه ويتحرم بشرابه ، ولربما يكون منتفعاً به ، أو يلبس عليه ويخدعه ويجلس في مجلسه والله يعلم أنه يسمع الآيات والأحاديث ، ثم يقوم -والعياذ بالله- مطموس البصيرة سقيم القلب -والعياذ بالله- لكي ينقل ما يعارض به غيره من العلماء فيأتي إلى شيخ ويقول له : فلان يقول بغير قولك ، وهكذا يتنقل من شيخ إلى آخر ، ويظن المسكين أن الأمر سدى ، وأن الكون عبث ، وأنه ليس هناك رب يؤاخذه في دينه ودنياه وآخرته ، كم من أمثال هؤلاء

رأيناهم حينما كان مشايخنا وعلماؤنا يقطعون أواصر الحب فقطع الله أواصرهم في العلم ، فو الله ثم والله لقد رأينا من سوء العاقبة لهم في علمهم وتعليمهم ما هو أعظم زاجر لكل من يخاف الله - U - والدار الآخرة ، فعلى المسلم أن يخاف من الدار الآخرة حينما يحاسبه الله - U - عن هذه الفتن والمحن التي توغر الصدور ، وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي - r - كما في الصحيحين من عذاب القبرين قال : ((أما هذا فقد كان يمشي بالنميمة)) وبعضهم يجلس في مجالس الدعاة والهداة إلى الله في محاضراتهم وينقل كذلك أقوالهم لدعاة آخرين في المحاضرة فيقول : هو يقصد من كلامه كذا ، فلينتظر هؤلاء لينتظر عقوبة الله العاجلة والآجلة إن لم يتأدبوا ويلتزموا بالشرع ، وهذا لا يظن البعض أقسم بالله العظيم ما قصدت به أن أحداً ينقل حديثي ، فوالله لا أبالي بأحدٍ أقبل فضلاً عمن أدبر ، لكني أقول هذا ؛ لأنه يشتكي منه كثير من الدعاة والأخيار والصالحين ، وكنا نعاني ويعاني منه علماء أفاضل في أزمنة ماضية ، وعلى هذا نحذر .

ينحدر من هذا الأمر العظيم أنه إذا اختلف عالمان في مسألة ، كان أحد العلماء من أفاضل العلماء وله مكانة ومنزلة ، وكان بعض العلماء ينشؤن في زمانه لهم مكانة ومنزله ، فكان بعض الحساد يأتون إلى هذا العالم الجليل ويقولون له : فلان يفتي في المسألة الفلانية بكذا ، والعالم يرجح خلافه ، ثم يرسلون له رجلاً ثانياً ثم ثالثاً ثم رابعاً حتى يحسوه أنه

كالعدو له ، وهذا لا شك أنه يجب على العلماء ويجب على المدرسين والمعلمين أن لا يقع هذا فقط بين العلماء بين العلماء بين المعلمين بين المدرسين حتى في التحفيظ يأتي شاب ويرى معلماً ومدرساً على طريقة يختلف مع آخر فينقل له أنه على خلاف طريقته وأن فلاناً أفضل منك ؛ لأنه يذهب بطلابه إلى كذا ، كل هذا من النميمة ، كل هذا مما يفسد الصدور ويوغرها على بعضها ويوجب الشحناء والبغضاء والذي يريد أن يتقحم نار الله على بصيرة وعذاب الله على بصيرة فليفسد ما بين المسلمين من الود والحب فنحذر أمثال هؤلاء من عقوبة الله العاجلة والآجلة ، فإذا رأيت خلافاً بين عالمين فلا تدخل بينهما فإن من دخل بينهما بالإفساد قطع الله دابره وقصم الله ظهره وشتت أمره ، ولذلك لا يفلح هؤلاء ولا يوفقون ولا يسددون وقد يستدرجهم الله - U - فيكون لهم مثل يبتلوا بما ابتلى به غيرهم من الدعوة والتدريس والتحفيظ ، فيسلط الله عليهم طلابهم مثل ما تسلطوا على غيرهم جزاءً وفاقاً فنحذر من هذه الآفات ، فإذا نقل قول العالم المخالف إلى غيره ينقله بطريقة لا تفسد القلوب يقول له : يا شيخ العلماء اختلفوا في مسألة كذا وكذا ، وهناك حديث بكذا ، هناك آيه يستدل به البعض ما هو الجواب ؟ فيجيب هذا بالنسبة لمسألة إذا أمكن طالب العلم أن يصل إلى القول الراجح .

لكني ينبغي أن ننبه على مسألة وهي أن طالب العلم ينبغي عليه أن ينحصر في شيخ يثق بدينه وأمانته حتى يتم الفقه وحتى يتم علم الحديث في

الأحكام ؛ لأنه لو بدأ بهذه الطريقة سيضيع عليه وقته ؛ لأنه سيدخل في مناقشات وردود وأخذ وعطاء ، وكم من أدلة هي صحيحة وقوية لكن لم يحسن العالم تصويرها ، ومن هنا كان التابعون يجلسون مع الصحابي حتى يتقنون ما عنده ، ثم ينتقلون إلى غيره ، فأوصى طلبة العلم ألا يدخلوا في هذه الخلافات حتى ولو خالف الغير فأنا أتبع شيخي حتى أضبط وأستطيع أميز ، نعم إذا ميزت لزمتك الحجة أما قبل التمييز الآن فتضبط تضبط المسائل ولا تلتفت إلى الخلاف ؛ لأن الخلاف لا ينتهي ، وأصحاب رسول الله - r - تفرقوا في الأمصار ، فإذا ضبطت الفقه كاملاً وانتقلت إلى مرتبة النظر في الأدلة ، ضبط الفقه كاملاً العلم بالأحكام ، بعد ما تضبط هذا تنتقل بعد ذلك إلى أدلة الأحكام وضبط الدلالات قوة وضعفاً ، ومن هنا قد تجد هذه الدلالة ضعيفة في موضع ، قوية في موضع آخر ، وأنك إذا أخذت بها في هذا الموضع عزيمة واجب عليك أن تأخذ بها ، رخصة في موضع آخر ، هذا أمر لا يستطيع الإنسان أن يدركه ، كم كنا مع مشايخنا نسمع من أقوال تخالف ثم لما توسعنا في الأدلة كنا نعجب من مخالفة مشائخنا للأقوال هذا فلما تبين لنا الحق وجدنا أن مشائخنا على الصواب في كثير من المسائل ، وليس هذا تزكية لهم ، بل هذه هي الحقيقة والحمد لله وجدنا أنهم قالوا قولهم بأدلة كنا لم نستوعبها أثناء الطلب ، فلما توسعت المدارك عذرناهم ، وأيضاً كانوا يردون لنا بعض المناقشات وكانت عقولنا لا تستوعب ذلك من الأدلة العقلية الدقيقة المبنية على

الشرع فكنا نقول : هذه دلالة عقلية ، يعني ما نظن أنها تقوى على النص ، فلما درسنا النصوص ودلالاتها ومراتب الدلالة ودرسنا الأدلة العقلية المستنبطة من الشرع إذا تعارضت مع مفاهيم مستنبطة من الأدلة ؛ لأنه قد يأتيك مثلاً ويستدل بدليل من باب المفهوم لا من باب المنطوق ، والمفهوم هو اجتهاد من الفاهم وتكون الدلالة العقلية قياس على أصل ، وحينئذٍ عند من يقوم بتقديم القياس على المفهوم يكون قياسه في بعض الأحيان أقوى ، إذاً إذا حصل الخلاف وأمكن طالب العلم أن يميز ميز ، وأما إذا لم يمكنه التمييز وجد مثل العامي وجد عالماً يفتي وعالماً يفتي فإما أن يكون العامي يستطيع أن يرجح بصلاح الرجل وتقواه وشهادة الناس له بالخبرة ، فوجد أن هذا العالم أشهر وأنه ابتلي بهذا العلم أكثر ونفعه أكثر فيثق فيه أكثر ؛ لأن هذه كلها مرجحات ؛ لأن إقبال الناس على العلم أكثر من الغير هذا قبول من الله ، والمراد بإقبال أهل الشأن وليس إقبال العوام ؛ لأن المتساهلين في الشرع يكون إقبال الناس عليهم أكثر ، ومن هنا قد يكون الذي يفتي يتساهل في أمور الشرع ، ما شاء الله مثل ما قالوا : سوقه ماشي ، هذا هو العالم عند العوام ؛ لأن العوام لا يريدون حرامًا ، شيء فيه حرام ما يقتربون منه ، فتجدهم ينفرون من العالم الذي يأخذهم بالشرع ولا يتساهل في دينه ، فإذا وجد من يعني ليس من أهل العلم ولكن ممن يتسمى بالعلم ويأخذ بالفتوى ويشتهر قد يكون قليل العلم قليل البضاعة ، فمثل هذا لا يرجح بينه وبينهم ، وهذا ليس من الترجيح ، إنما

الذي ذكره العلماء في الأصول في الترجيح بين القولين المتعارضين عند استواء الأدلة قالوا : إنه يرجع إلى صلاح العالم واستقامته وشهادة الناس له ، أما الصلاح والاستقامة ؛ فلأن الفقه هو الفهم عن الله ورسوله ، وإذا كان الشخص أكثر خوفاً وورعاً كان أكثر بصيرة وفرقاناً من الله - U - { إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً } فهو أقرب إلى الحق ، وهذا نص عليه الأئمة أن الذي يخاف الله ويتقيه ويرجوه أكثر في حفظ الأمة والنصح لها والبعد عنها عن التساهل والتلاعب في أمور الدين ، شريطة أن لا يصل إلى حد الغلو والتضييق .

كذلك - أيضاً - مما يرجح به شهادة الناس أن شهدوا لفلان بأنه مبرز في الفقه أو شهد له العلماء المختصون بالفقه أنه أكثر ضبطاً ، كما كنا أيام الطلب كنا نسأل بعض مشايخنا فيقولون : فلان أكثر فقهاً وإنه لأفقه من فلان ، والنبي - r - يقول : ((أنتم شهداء الله في الأرض)) إذا شهد العلماء أو درس الاثنان أو الثلاثة على عالم وشهد أن فلاناً أفقه من فلان ، فهو أعلم بطلابه وأكثر معرفة بهم ، فهذه من المرجحات أن يوجد ما يوجب الترجيح ، إذا لم يوجد ما يوجب الترجيح واستوت الكفة من جميع الوجوه ، فاختلف العلماء -رحمهم الله- على ثلاثة أقوال :

القول الأول أنه يقدم العزيمة ، فإذا تعارض عنده حلال وحرام يقدم الحرام ؛ لأنه صيانة للدين وحياطة للدين ومن هنا يكون الأمر مشتبهًا ، فيتورع ، يمتنع كما أن المشتبهات ؛ لأنه أشبه بعضها بعضاً فإنه ألزمنا

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

الشرع بالرجوع إلى الورع والكف عن الشيء ((إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات)) فهنا لا تبين أنه حلال ولم يتبين أنه حرام فيرجع إلى العزيمة ويحتاط .

ومنهم من قال : يأخذ بأخف القولين ؛ لأن النبي - r - ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ؛ ولأن الشريعة شريعة رحمة وتيسير وقال - r - : ((إنما بعثتم ميسيرين ، ولم تبعثوا معسرين)) وقال : ((أن خير دين الله أيسره)) فقالوا : يأخذ بالأخف من القولين ؛ ولأن اليقين أنه غير مكلف وبراءة ذمته حتى يكلف فرجحوا جانب اليسر .

ومنهم من قال : يخير بين الأمرين على السواء ، إن شاء أخذ بهذا القول ، وإن شاء أخذ بهذا القول وأخرج النصوص وجعلها في موضعها ولم يقحمها على هذا الموضع ، ولا شك إن أخذ بالاحتياط فهو أسلم لدينه وأورع فيأخذ بأحوط القولين ، وأن أخذ بالتساهل فله وجه من الدليل ، ولا بأس عليه ولا حرج والله - تعالى - أعلم .

السؤال : إنني أنصح الناس وأوجههم للخير وأنا طالب علم على بصيرة ومعرفة ولكنهم يكذبونني ويتهمونني بالجهل وعدم العلم فماذا أفعل ؟

الجواب :

الله المستعان هذه بشارة خير لك من بشائر الخير لمن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر أن يكذب ويسفه رأيه ويمتهن ويحتقر يقولون لنبي الله - r - : {

وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ } يعني جمعوا لهم جميع القبائح في التكذيب ورفض الحق ، فكل من كان على شاكلة الرسل حاملاً رسالة الله مبلغاً عن الله مؤدياً أمانته التي ائتمنه الله عليها لابد أن يقال له ما قيل للرسل من قبل وما قيل للعلماء والفضلاء حيث ردت مقالتهم واستهجن آراؤهم ولم يلتفت إلى الحق الذي يقولوه ، يقول لك : مَنْ فلان حتى يقول هذا الكلام ؟ ومَنْ فلان حتى يصير يأمر وينهي ؟ مَنْ أنت ؟ فما أبوك بعالم ولا بيتك بيت علم ؟ من أنت حتى تعلم الناس ؟ ومن أنت حتى تعلمنا ؟ ومن أنت حتى توجهنا فلا عليك إذا رضي ربك أن يسخط عليك الناس ، ولا عليك إن كنت صادقاً وكذبك الناس فليأتين يوم من أيام الله تصدق ولا تكذب وترفع ولا توضع وتكرم ولا تهان وتعز ولا تذل { فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ } ووالله ما من إنسان يدعوا إلى طاعة الله - U - فيذل فيها إلا أعزه الله ولا يهان فيه إلا أكرمه الله ، ولو أنك نظرت إلى جهابذة العلماء والأئمة الفضلاء ومن كان رأساً في هذا العلم وجدته أنه ما بوّأ مبوأ صدق إلا بعد أن كذب وأهين وأذل ، شيخ الإسلام -رحمه الله- حياته كلها وهو في السجون يهان من أعدائه ويؤذى والآن إذا قيل شيخ الإسلام لم يعرف غيره -رحمه الله- ، فهذه سنن الله - U - لا تتبدل ولا تتغير ، قال بعض العلماء : إن إهانة الرسل وإهانة العلماء وإهانة الصلحاء تجعل الإنسان لا ينتظر عند الناس جزاءاً ولا شكوراً تجعل الإنسان يفر من

الناس إلى رب الجنة والناس ، تربي في الإنسان الإخلاص ، تربي في الإنسان التوجه إلى الله ، تربي في الإنسان صدق المعاملة مع الله ، تربي في الإنسان أن يكون لله لا لأحد غيره بخلاف ما إذا اجتمعت الناس حوله فأمَّنوا على قوله فأعجب برأيه ففتن في دينه ودنياه وآخرته -والعياذ بالله- ، ولذلك حري بالإنسان أن يوطن نفسه على أن يقول الحق وإذا قال حقاً فلا يضره أن يصدقه من يصدقه أو يكذبه من كذبه وهذا رسول الأمة - r - قيل له الأفاك - حاشاه - يعني الكذاب وهو من أشد أنواع الكذب ؛ لأنه يفتري -صلوات الله وسلامه عليه- وحاشاه من ذلك ، وقيل له الساحر والصابئ والأبتر ومات وهو سيد الأولين والآخرين ، يا هذا إن الله إذا رفع عبده فلن يستطيع أحد أن يضعه ، إن الله إذا أعز عبده لن يستطيع أحد أن يذله وإذا أكرم عبده فلن يستطيع أحد أن يهينه ولو جاء بمن في الأرض ومن في السماء ليخالف سنة الله وأمر الله فليكونن في أسفل السافلين فإن الله لا يغلب والله يدافع عن الذين آمنوا ، اصبر وما صبرك إلا بالله وتذلل إلى ربك وتضرع إلى ربك أن يزيدك من الصبر ، وخذ من هذه المواقف زادا يعينك على ألا تلتفت إلى الناس ، ومن العلماء والفضلاء والدعاة الأتقياء من بدأ دعوته فأوذي واضطهد فأصبح متوجهاً إلى الله بكلياته فلما جاءته النعمة التفت إلى ربه ولم يلتفت إلى غيره ؛ لأنه علم أنه ما ذكره في الشدائد غيره ولا لطف به في المكائد سواه ولا حفظه

من إهانة المهينين ولا تكذيب المكذبين إلا هو سبحانه فإن الله يصطفيك بهذه الشدائد .

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يثبتنا على الحق حتى نلقاه ، اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، اللهم علمنا الحق واجعلنا هداة مهتدين دعاة إلى دينك ثابتين على الحق في سبيلك ، إنك ولي ذلك والقادر على كل شي .

السؤال :

ما رأيكم -حفظكم الله- فيمن يستغل وقت السحر في الحفظ ؟

الجواب :

إذا كان تقوى ذاكرته في السحر أو تنشط هذا شيء طيب يعني الناس يختلفون السحر أن يكون وقت العبادة يعنى ما أمكن ، ومن أفضل ما يكون في السحر كثرة الاستغفار والبكاء من الذنوب ، والاستغفار في السحر من أكبر ما يعين على خشوع القلب وخاصةً إذا كان الاستغفار من أعلى مراتب الاستغفار ، فأعلى مراتب الاستغفار أن تستغفر لك ولوالديك وللمسلمين فيقول الإنسان : ربِّ اغفر لي ولوالدي وللمسلمين أو استغفر الله العظيم لي ولوالدي وللمسلمين ، فإذا استغفر للمسلمين والمسلمات كُتب له على عددهم من الأجور كتب له أنه أحسن على المسلمين أحياءً وأمواتاً وأحسن إلى المسلمين رجالاً ونساءً شباباً وشيباً

حينما يقول : رب اغفرلي وللمسلمين ربَّ تب عليَّ وعلى المسلمين ربَّ سامحني والمسلمين ونحو ذلك من الدعاء له وللمسلمين ، فهذه الوشيجة العظيمة وشيجة الإسلام عظيمة عند الله- U - ، فالسحر من أفضل ما يكون فيه الاستغفار كما بين الله-تعالى- حينما أثنى الله على عباده فقال : { وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ } فيُكثر من الاستغفار في السحر وينبغي أن يكون الاستغفار حتى يجد أثره وبركته وخيره يكون الاستغفار بحضور قلب ، ومن هنا كان العلماء والأئمة ، وذكر هذا شيخ الإسلام في مواطن من الفتاوى والإمام ابن القيم قالوا : إن من أعظم ما يكون سبباً في هداية الإنسان وصلاحه ورقة قلبه وحوزه على خيري الدنيا والآخرة كثرة بكائه واستغفاره في السحر خلوة يخلو الإنسان فيها فيما بينه وبين الله- U - يناجى نفسه الأمارة بالسوء فيما بينه وبين الله- U - فيقف في تلك اللحظات قد هدأت العيون وسكنت الجفون يناديها : يا نفس ، ماذا فعلت ؟ وماذا قلت ؟ ويعاتب هذه النفس فيما كان بينها وبين الله- Y - يا نفس ألا تستحي من الله ؟ يتذكر ذنوبه شاخصة أمام عينيه ، فيرق له قلبه وتذرف من خشية الله عيناه ، فيقف موقف الذليل وينادي نداء الخائف الوجل من ذلت لله رقبته وخشع لله قلبه وذرفت من خشية الله عيناه ، ينادي ربه وقد سكب عبرة صادقة من عينيه

يحق لي يا عيني أن بكيت   أبكي لعلمي بالذي أتيت

أنا المسيء المذنب الخطاء   في توبتي عن حوبتي إبطاء

فيقف في هذه الساعة حينما تولت الدنيا وراء ظهره في صخبها ولغطها وزهرتها وشهوتها وشدة بلائها على ولي الله المؤمن فيختار هذه الساعة فيما بينه وبين الله وقد قدم فيما بينه وبين الله الوسيلة لأن الله يقول : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ } فهو إذا قام من الليل ما شاء الله له أن يقوم وأوتر وبقيت هذه اللحظات قبل الفجر ناجى ربه واستغفره واسترحمه وسأله صادقاً من قلبه ، فيالله كم من أقوام بزغ عليه ضياء الفجر كيوم ولدتهم أمهاتهم ، ويالله من أقوام بكوا وخضعوا وأنابوا وأشفقوا وأصابهم الوجل من ربهم صادقين موقنين منيبين إلى ربهم إنابة العبد المؤمن المحسن ، فما انبلج عليهم الفجر إلا بسعادة لا شقاء بعدها أبداً ، من غفر ذنبه وكفرت خطاياه ومحيت عثرته فقد فاز فوزاً عظيماً زحزح عن النار الذي يطهر من ذنبه يزحزح عن النار ، فيختار الإنسان هذا الوقت الذي هو وقت الغفلة ووقت النوم ووقت الضجعة خاصةً في الأسحار تجد فيها من هباتها ونسيمها ما يدعو النفس إلى السكون والدعة ؛ ولكنها نفس تسكن إلى رحمة الله وتفر من الله إلى الله خائفة وجلة من لقاء الله - U - ويقف الإنسان في تلك الساعات الطيبات المباركات وتجول في نفس خواطر تزيده محبة لله - U - ؛ لأنه حينما يتذكر أن الله ابتلى غيره بالنوم وأيقظه لم أيقظك في هذه الساعة التي ينادي فيها - سبحانه - هل من تائب فأقبل توبته هل من مستغفر فأغفره له فتقول : يا رب وكأن لسان حالك يقول : يا رب لك الحمد أن شرفتني أن أناديك

وأناجيك ، فيسأل العبد ربه صادقاً من قلبه ، السعيد من لم تفته هذه الساعات والسعيد الذي لم تفته هذه اللحظات ، والسعيد من كسب هذه اللحظات في ذكر الله والاستغفار والإنابة إلى الله ، ولا يزال ولي الله المؤمن يكبت الله به عدوه ، فهو يذنب ويسيء ويخطئ ويكون منه ما يكون فيتمرد عليه الشيطان في زمان عظمت فتنته وكثرت محنه ، حتى إذا أظلم عليه الليل وجن عليه الليل علم أن ربه يناديه وأن له رباً يأخذ بالذنب ويعفو عن الذنب فنادى الله من قلبه : يا رب إني تائب إليك يا ربّ اقبل توبتي وامحُ حوبتي وأعني على الإحسان فيما بقي من عمري وأصلح لي فيما بقي من أجلي ، ينادى ربه بهذا النداء الصادق فإذا بعدو الله إبليس ينكبت ويتولى خاسئاً حقيراً ذليلاً مما يرى من رحمة الله بعبده ، فإن العبد إذا نادى ربه وقد أذنب الذنب فقال يا ربي أذنبت ذنباً فاغفر لي يقول الله : ((يا ملائكتي علم عبدي أنه له رباً يأخذ بالذنب ويعفو عن الذنب قد غفرت لعبدي)) فإذا نظر الإنسان لهذه الساعات الطيبات المباركات قضاها في ذكر الله قضاها مسترحماً له وللمسلمين حتى يفوز بأعظم الثواب وأعظم الجزاء من الله - I - ، - ونسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقنا لذلك ، وأن يجعل لنا فيه أوفر حظٍ ونصيب ، إنه ولي ذلك - ، والله - تعالى - أعلم .

السؤال :

أنا شاب التحقت بحلقات التحفيظ ولكن أحس بضيق يراودني الشيطان به وأن انتكس وأرجع إلى طريق الضياع وأن الشباب الملتزمين لا يحتكون معي ولا يحدثوني ويتركوني لوحدي وأما رفقاء السوء فيزورني كل يوم ولا يتركوني لوحدي ويريدونني أن أرجع إلى طريق الضياع فماذا أفعل ؟

الجواب :

أولاً : - أسأل الله أن يثبتك ويثبت قلوبنا وقلوبكم على طاعته ومحبته ومرضاته - { رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } ، - يا هذا إنك إن التزمت بصراط الله المستقيم وسبيله القويم ترجو رحمته وتخاف عذاب الجحيم فاثبت على طاعة الله ودع عنك هذه الوساوس والخطرات ، شياطين الأنس والجن لا يملكون إلا هذا الوساوس والخطرات التي لا تؤذيك ولا تضرك بإذن الله أن ثبتك الله على الحق ، هذا امتحان وابتلاء إن كان الإنسان يستقيم أداء لحق الله وسمعاً وطاعة لله وامتثالاً وعبودية له- Y - فهو أسعد الناس باستقامته ، وإذا كان يستقيم من أجل الأصحاب والأحباب وفلان وعلان فإنه لا يغني له ذلك من الله شيئاً فلا تكن ضعيفاً في إيمانك والتزامك بشرع ربك وأعلم أنه لو اجتمع أهل الأرض كلهم على أن يضروك والله معك فإن الله

لا يخذلك ولو اجتمع أهل الأرض كلهم على أن يؤذوك وقد توليت الله فإن الله نعم المولى ونعم النصير دع عنك هذه الترهات ودع عنك هذه الوساوس والخطرات وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده فاطر الأرض والسموات ، واعلم أن الله معك ومن كان الله معه فلن يضر { إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ } هذا امتحان مؤقت يظهر به صدق الصادقين ونفاق المنافقين ، فإياك أن تكون من الذين إذا أصابته فتنة انقلب على وجهه فخسر الدنيا والآخرة -نسأل الله السلامة والعافية- ذلك هو الخسران المبين ، إياك أن تلتفت إلى أذية المؤذين وسخرية الساخرين بل عليك أن تثبت على مرضاة الله رب العالمين وأن تعلم أن الله معاك وأن الله يعينك وأن الله يحب منك هذا الصبر ، أصبر فو الله ثم والله لئن استهزأ بك المستهزئون في دين الله ليأتين اليوم الذي يوقروك ويجلوك ويكرموك بدين الله ولئن وضعوك بالتزامك بالطاعة والاستقامة ليأتين يوم من الأيام شاءوا أو أبو يرفعونك بهذه الاستقامة ، فاصبر فإن هذا هو سبيل الرسل وأقرأ في كتاب ربك لكي تسمع سخرية الساخرين واستهزاء المستهزئين ؛ ولكن العاقبة للمتقين فكن من أهل التقوى والتزم بدين الله واطرد قرناء السوء عنك وإذا جاءك قرين سوء قل له : يا هذا اتق الله فإني كنت في ظلمة فأخرجني الله إلى نور وكنت في معاصي فأخرجني الله للطاعة وكنت وكنت فاشرح لهم الخير الذي تجده ولا تنهزم أمامهم كيف تنهزم ومعك الله- Y - كيف تنهزم وأنت تدعو

إلى طاعة الله ومرضاة الله كيف تنهزم وأنت أبيض الناس وجهاً وأشرقهم جبيناً بهذه الطاعة والاستقامة هذا دليل على إيمانك وثباتك حينما تعتز باستقامتك ولو خذلك الخاذلون ولو أهانك المهينون فأنت تعامل الله ولا تعامل أحداً سواه ، أما ما ذكرته من إعراض إخوانك فأوصي الإخوان أن يرفق بعضهم ببعض والطلاب أن يرحم بعضهم بعضاً وأن يحسن بعضهم بعضاً وأن يحاول المسلم مع أخيه كأحسن ما يكون الأخ مع أخيه وأن يحاول أن يلطف به وأن يحسن إليه قدر استطاعته ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها فإذا جاءك أخوك في التحفيظ ما الذي يمنعك أن تسلم عليه وما الذي يمنعك أن تهش في وجهه وتبش ما الذي يمنعك أن تشعر هذا أن الأخ خرج من بين الفتن والمحن لكي يأتي إلى كتاب الله - Y - أو يأتي إلى مجلس علم فتعتز بالإسلام فتعز كل من يعز دين الله - U - وشرعه فتحبه وتوده وتكرمه وهذا هو الحب في الله ، الحب في الله ما هو الكلام أنك ترى الرجل إذا كان على نعمة وحال وتقول لي : إني أحبك في الله ، الحب في الله أن ترى الرجل مرقع الثياب رث الهيئة رث الحال لا مال لا سلطة لا مكانة لا وظيفة فتراه راكعاً في المسجد سباقاً إلى الصفوف الأول حريصاً على طلب العلم بكاء من خشية الله خاشعاً في صلاته فتقول : إني أحبك في الله هذا هو الحب الصادق الذي لا تشوبه شائبة ، أما أن يكون الإنسان مع إخوانه وخلانه في التحفيظ فيعاشر هذا ويمتنع من معاشرة هذا ويضحك في وجه هذا ولا يضحك في وجه هذا ويحسن إلى هذا ويسيء

إلى غيره ويهش ويبش في وجوه أقوام ويعبس في وجوه آخرين فهذا لا شك أن عواقبه وخيمة على الإخوان والأصدقاء ، وأوصي المعلمين والموجهين أنهم دائماً أن ينشروا الرحمة والمحبة بين الطلاب نسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن يعينهم على رسالتهم وأن يرزقنا الاستقامة وأن يعيذنا من سبيل الخزي والندامة -

---

السؤال:

إنني شاب مقيم مع عمي في البيت وأريد أن أسكن مع زميلي في التحفيظ في شقة بالإيجار واستأذنت عمي ورفض علماً بأن والدي متوفى وهل علي إثم لو خرجت وهو غير راض ؟

الجواب :

عمك ولي أمرك وعليك أن تبر عمك ، وقد قال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه)) وعمك له فضل عليك كبير حيث قام على شأنك بعد أبيك وعليك أن ترد الإحسان بالإحسان وأن تسمع لعمك وتطيع ، والغالب في القريب وولي أمر الإنسان إذا ضيق عليه في شيء أن يحسن الظن به خاصة في أزمنة الفتن فإن الوالد والعم والوالدة والأخ الكبير يشفق على أخيه

ويشفق على من تولى أمره فيمنعه من المخالطة أحياناً من باب الحزم والحيطة فلا ينبغي أن يسيء الظن به ، بل أن البعض -أصلحهم الله- من الصغار حتى الذين لم يبلغوا ، وبعضهم في التحفيظ وفيه خير ربما يمنعه والده فيتهم والده أنه لا يحب الأخيار وهذا لا يجوز يعني ليس غيبة فقط غيبة وعقوق للوالدين وتهمة بالباطل فلا يجوز أن يحمل النظر من الولي سواء كان والداً أو عماً أو أماً ما لا يحتمله وعلينا أن نحسن الظن ، وكثيراً ما يوفق الإنسان في أموره بحسن الظن ، وسوء الظن والاحتقار للآخرين وحمل أمورهم على أسوأ المحامل عواقبه وخيمة ولذلك يقول -تعالى- : { وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً } ومن عاش في الفترات السابقة لهذه الأزمنة التي كثرت فيها الفتن والمحن ونظر كيف كان الأولون حينما يربون أولادهم وكيف كانت الناس تطيع الكبير وتحبه وتحترمه وتحسن الظن به وتقل مراجعتهم له وكيف كان الناس في بركة وخير وحسن عاقبة ، وما يدريك فلعل هذا الصاحب الذي تريد أن تسكن معه في فتنة ، وما يدريك أن السكن معه عواقبه وخيمة وما يدريك أن السكن الذي ستسكن فيه بلاء أراد الله أن يكفه عنك بالبر والسمع والطاعة لوالديك أو لعمك فيبتليك ، فدائماً ينبغي أن يحسن الإنسان الظن بمن أحسن إليه سواء كان والداً أو غيره هذا له فضل عليك كبير فلا ينبغي أن تفضل صحبة الناس على عمك ولا ينبغي أن تفضل صحبة صديقك على عمك الصديق من صدقك ومن صدقك يصدقك في أمور الدين والدنيا ولا

يستلزم هذا أن تنام معه ولا يستلزم أن تسكن معه ، الصدق بالأفعال حينما يكون فعل الإنسان دالاً على صدق المودة فهذا هو صديقك الذي تضحي من أجله وتشتري مودته ومحبته ، وأما أن تضحي بأقرب الناس منك وممن قام عليك ورعاك وأحسن إليك فلا شك أنك مخطئ ولا تخلو من الإثم في بعض الأحوال فعليك أن تطيع عمك وأن تسمع له وأن تحسن الظن به ولا تراجعه ، أكمل ما يكون البر وأفضل وما يكون البر حينما يتولى الوالد أمر أولاده فيجد منهم السمع والطاعة عن محبة هناك من الناس من رزقه الله أعلى الرتب في البر فتجده إذا أمره أبوه أو أمرته أمه أو أمره عمه أو قريبه أو من له فضل عليه كأستاذه الذي يعلمه في التحفيظ أو مدرسه في المدرسة يتلقى أمره وينفذه ويطيع طاعة لله تعالى ومحبة لله تعالى وحسن ظن أن الله سيجعل له العاقبة الحميدة فتجده بأحسن الأحوال ، ووالله هكذا أدركنا الناس وأدركنا الموفقين وأدركنا الناس الذين تيسرت أمورهم { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَانُ } ، ووجدنا أقواماً دون ذلك فتجده يسمع ويطيع ولكن بعد أن يراجع فإذا قال له أبوه : لا تخرج مبكراً تأخر قليلاً قال : لماذا ؟ فبين له أبوه العذر قال : سمعاً وطاعة هذا بَر ؛ لكن بعد ما اقتنع وهذا مرتبته أقل وأدنى من مرتبة الذي لم يراجع ؛ لأن مراجعة الوالدين كما قال الإمام مالك -رحمه الله- : ليس كل الناس يستطيع أن يبدي عذره ، فقد تكون في الأم في مكنون قلب الأم شفقة فتقول لولدها : لا تذهب ، لكن ما تسطيع أن تبرر له ،

ومن الناس من رزق السداد في رأيه ولم يرزق حسن البيان في قوله فتجده يسدد في رأيه إذا قال لك : لا تفعل ، رأيه موفق لكن ما عنده أسلوب لكي يقنعك فقد يكون الوالد لا يستطيع أن يقنع فهؤلاء يحرمهم الله تعالى التوفيق ؛ لأنه قد يكون منع الوالد والوالده ومن له فضل فيه خير للانسان في دينه ودنياه وآخرته ؛ ولكن لم يوفق الوالد أن يوصل هذا الخير أو يشرحه لولده أو ابنه ولا المدرس لمن يعلمه وعندها تكون العواقب الوخيمة فهذا منزلته دون منزلة الأول ، فالأكمل والأفضل أن الإنسان يسمع ويطيع ، ولذلك تجد البعض يقول لك : لا أبداً ما في شيء اسمه سمع وطاعة لابد تناقش لابد تحاور ولابد تقنعني حتى أصبحوا يعلمون الأطفال والصغار يقول لك : لا أبداً ابنك في البيت هذا لابد تقنعه ! يا سبحان الله الذي يعقل كالذي لا يعقل ، الله -U- يقول : { الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ } أجلس أعلم إنسان ما عنده حلم ولا عنده عقل لم تتسع مداركه لفهم الأمور هذه ما هي حرية وليس بقول سديد ولا عمل رشيد ؛ وإنما يوضع الحوار لمن يفهم الحوار ، ولذلك قالوا : إنه صغير وأنت عليه أمير فإذا صار كبيراً فعدَّه وزيراً ، فالابن في حال الصغر أنت ولي أمره ، الرجل راع في بيته وهو مسؤول عن رعيته ما تقوم الأمور إلا بهذا

لا يصلح الناس فوضى لا سراة

لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

فالجاهل الصبي لا يمكن أن يحمل فوق طاقته ثم لما تقوله يحاورك الصبي حملت الصبي ما لا يتحمل ، يقولون : إن هذا من حقه هذا تحميله ما لا يتحمل ، فعلى كل حال مرتبة البر بدون مراجعة والسمع بدون مراجعة أكمل لكن هذا لا يمنع في بعض الأحوال أن الإنسان يريد أن يفهم ويريد أن يصل إلى شيء ؛ لكن ذكر العلماء ضابطاً في هذا قد يعترض معترض ويقول : نعم نصبح بهذه الطريقة صماً بكماً كل الذي يقولونه نفعله ، أخي الكريم ليس الأمر كما تظن ؛ ولكن هناك سنن لله تعالى وهناك فطرة والفطرة الذي أن الشخص الذي يلي أمرك إذا كان معروفاً بالعقل وجربت منه الإصابة في غالب الحال وجربت منه شفقة تمنع الخيانة وتمنع سوء الظن فحينئذٍ تُرَجّي من ورائه خيراً هذه دعائم وأسس أن الإنسان عندما يكون مع عمه أو مع خاله أو مع أخيه الأكبر فالغالب أن الأخ لا يغش أخاه وأن الوالد والعم لا يغش ابنه وابن أخيه ؛ لأن شفقة الأبوة وشفقة القرابة تدعو إلى الحرص ، فنحن حينما نضع هذا نضعه بمسلمات بأمور موجودة بدهية معروفة ، ومن هنا ذهب بعض العلماء إلى أن الأب لا يقتل بمذهب جماهير العلماء أو الوالد لا يقتل بولده إذا قتله قالوا : إن الغالب أنه يفعل ذلك معه ذلك للتأديب فصارت شبهة التأديب موجبة لدرء الحد وهو القصاص وهذا معروف وبسطناه في مسائل القصاص في القتل ، فالشاهد من هذا أن البر أكمل ما يكون إذا كان بدون مراجعة ويتقبل الإنسان ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه- يقول : ما هو

إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر في ماذا ؟! في قضية عظيمة قضية دينية فيها مصير للأمة يقول أبو بكر رضي الله عنه : " والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة وإنها لقرينتها في كتاب الله " فيقول له عمر : " أتقاتلهم وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله)) ثم قال : " ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر " ما قال : أقنعني أبو بكر ، يذكر الإمام أبو قدامه في هذا لطيفة يقول : الغالب أن من عرف بالخير والاستقامة والصلاح والحرص على النصيحة وولي أمراً أن يحسن الظن به وأنه يسلم له الأمر والغالب الإصابة ؛ لأنه ما في أحد كامل ، والغالب سبحان الله في هذا النوع الذي يكمل بره بالسمع والطاعة أن تكون له العواقب الحميدة ، وقد مرت بنّا حوادث وأسئلة للناس وفتاوى وجدنا أبناءً سلموا بما أمرهم بهم الوالد والوالدة ورضوا بذلك فجاءت كوارث وجاءت مصائب حتى بعضهم جاء يراجعني ويقول لي : أنت قلت بر أباك وبر أمك هذا الذي حدث قلت : اصبر وسيجعل الله لك خيراً وسيجعل الله لك فرجاً لأنك اتقيت الله { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً } ، وأقسم بالله العظيم لا أحصيها مرات وكرات أن هذه الكوارث والمصائب تعود بخير لا يعلم قدره إلا الله ، حتى إن البعض يأتي مستبشر ؛ لأنه لا ينطق أحد بنص ويتبع نصاً إلا كانت عاقبته حميدة ، فأنت حينما تسمع طاعة لله ورسوله واستجابة لمن

ولي أمرك أستاذك مدرسك معلمك والدك عمك خالك من ولي أمرك وأنت صغير السن في التحفيظ وتراه يأمرك بشيء يظن فيه المصلحة وتسمع له فإنه لا تكون عاقبة ذلك السمع والطاعة إلا كل خير - فنسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن يرزقنا كمال البر وتمامه - .

فأوصيك : أن تبرأ وأن تطيع عمك وأن تحسن الظن به .

ثم أوصيك - أيضاً - : بوصية فيها خير كثير للإنسان أن العم أو القريب أو من ولي أمرك إذا حصل بينك وبينه مراجعه في أمر أن ترجع وتعتذر إليه وتقوم له ما كان ينبغي أن أحرجك في هذا الأمر مع الوالد الوالده تقول لها : إنا كنت أخطئ حينما كنت أراجعك سامحيني ، الوالد أخطئ لما أراجعك فسامحني لعل الله أن يكتب لك كمال الأجر وتمامه في البر - وأسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن يهيئ لك الرشد أنه ولي ذلك وهو القادر عليه - ، والله - تعالى - أعلم .

السؤال :

ما هو الأفضل في نظركم طلب العلم في الفقه عن طريق القواعد أولاً أو عن طريق المتون ؟

الجواب :

خذوها مني والله يسألني عما أقول ، ليس هناك أحد من أهل العلم يأذن لطالب علم أن ينظر في كتب القواعد قبل أن يقرأ الفقه ، كتب القواعد الفقهيه ملخص للفقه بعد ما يقرأ الفقه ويضبطه يحتاج إلى شيء يسمى قاعدة قضية كلية تندرج تحتها مسائل متعددة من أبواب مختلفة ، ويحتاج إلى ضابط وهو الذي يجمع في الباب المعين حكماً معينه أو أصلاً معيناً للإمام أو مذهباً ، أما أن يأتي مباشرة إلى علم القواعد أو يدرس علم القواعد من لم يتمكن من الفقه فهذا دحض مزلة ، وترى العجب العجاب حتى إنك تجده ربما يدرس لك القواعد وهو لا يدري الشرق من الغرب يأتي بأمثلة ويشرح الأمثلة ، علم القواعد ليس بالتشهي ولا بالتمني قليل من كَتَبَ في علم القواعد وهذا القليل هم نخبة من العلماء الراسخين الذين ترووا بعلم الفقه وعلم الأصول واستطاعوا أن يتبرزوا فتحاً من الله تعالى لكي يضبطوا ويجمعوا الشتات لهذه المسائل الفقهية .

علم القواعد من أدق العلوم وأجلها ، ولا يمكن أن يكون علم القواعد إلا لفقيه وعليه فلا يمكن دراسة القواعد الفقهية يعني - مثلاً - الآن لو جئنا إلى قاعدة - مثلاً - قاعده من القواعد : " الأمر إذا ضاق أتسع " وهي مفرعة عن قولهم : " المشقة تجلب التيسير " على أنها قاعدة مفرعة عن قاعدة : " الأمر إذا ضاق أتسع " جئت أنا أضرب مثالاً في الصلاة أو مثالاً في الزكاة ومثالاً ثالثاً في الصوم ومثالاً رابعاً في الحج ، مثلاً في الزكاة

" الأمر إذا ضاق اتسع " قلنا الأصل أنه يؤدي زكاة ماله مباشرة ولا يجوز له أن يؤخر دفع الزكاة للمستحقين ؛ لكن ما وجد مستحقاً ضاق عليه الأمر فحينئذٍ يوسع له يقال له : حتى تجد المستحق ادفع له ، طيب إذا جاء إلى هذه المسألة يحتاج أول شيء أن يعرف ما هي الزكاة ؟ وأن يعرف أن الأصل وجوب دفعها على الفور وأن يعلم لمن تدفع حتى يستطيع بعد ذلك أن يسأل السائل هل فعلاً تحقق فيه هذا الشرط حتى يطبق عليه القاعدة أو يدرس القاعدة من أجل أن يطبقها على أفراد الناس إذا جاء - مثلاً - في مسألة من مسائل البيوع مفرعة على قاعدة من القواعد وهو لم يقرأ باب البيع ولم يعرفه ، ثم قد يكون حتى قرأ باب البيع ولكنه قرأه بمذهب ، والقاعدة المثال فيها على مذهب آخر ، فكيف سيقرر هذه القاعدة ، ثم البعض يأتي ويدرسه وتجده لا يستطيع أن يحكي بس فقط أن يشرح كلام المصنف طيب هو لا يدري هل هذه المسألة مجمع عليها أو مختلف فيها ، وإذا كانت مختلفاً فيها هل هذا الخلاف الراجح فيه القول الذي سيشرحه أو القول الذي يخالفه ، أمور تحتاج إلى أناس جهابذة ليس من العلم الذي ينشر لعامة طلبة العلم ، علم القواعد علم عزيز نفيس إذا كنا نريد علم القواعد كعلم ، وأما إذا أردناه كادعاء فما أكثر المقعدين والمنظرين وتجد العجب العجاب ؛ لكن علم كعلم على أصول وعلى ضوابط صحيحة فهذا قل أن تكتحل عينك بمن يتقنه ، هذا له فرسانه وأهله ، ويعلم الله كنا نجلس مع بعض مشايخنا يشرح لنا السطر في ثلاث

ساعات وأربع ساعات من قواعد ابن رجب ونحوها من كتب القواعد ، (قواعد ابن رجب) هذا على مذهب الحنابلة ، وقواعد (الأشباه والنظائر) للسيوطي الشافعية ، (الأشباه والنظائر) لابن لجين الحنفية ، وتجد بعض الأحيان تقارباً في المذاهب وقد تجد المذهب - مثلاً - يخالف هذه الصورة لكن عنده مثال آخر تستطيع أن تمثل به فهو يسلم بالقاعدة ؛ ولكن لا يسلم أن هذه المسألة داخلة تحت هذه القاعدة ، فحينئذٍ يرد الأشكال كيف أخرجوا هذه المسألة ؟ فتحتاج إلى دراسة علم المستثنيات من القواعد :

أولاً : يحتاج إلى دراسة الفقه ويضبطه ويلم به ويعرف يعني الأحكام العبادات والمعاملات بعدما يضبط الفقه ، بعد ذلك يأتي ويلم الشتات على مذهب وعلى قول ، ولذلك لن تجد علم قواعد على المذاهب الأربعة هل وجدتم في العلماء الراسخين من المتقدمين من ألف علم قواعد فقهية مفلوت بدون مذهب أبداً ، ومن هنا هنا يأتي الخلل فتجده يدرس أمثلة إلى الآن ما أكتحلت عينه بمسائلها وإلى الآن هو لا يدري أن هذه المسائل هي راجحة وإلا مرجوحة ، هذا علم القواعد علم القواعد علم عزيز يحتاج أول شيء أن تقرأ الفقه ، وتقرأ أدلة الفقه ، ثم بعد قراءة أدلة الفقه ترجع إلى التلخيص ، ولذلك أنا من أفضل ما رأيت في طلبه العلم في ضبطهم تجده يقرأ الدرس أكثر من مرة ثم يراجعه بعد حضوره ثم يلخص هذه

المراجعة في ملخص لا يمكن أن يمر عليه أسبوع إلا وهو يكرره ؛ لأنه يؤهل نفسه في كل يوم سيسأل عن هذه المسائل ، فإذا وصل إلى هذه الدرجة يحتاج بعد فترة بعدما يقطع كتاب الطهارة أو كتاب الصلاة إلى من يجمع له الشتات هنا تأتي مهمة علم القواعد تأتي بعدما يضبط يعني ما وجدنا إلى الآن قل أن تجد الآن طالب علم يقرأ الفقه قل أن تجد ووالله أتمنى أن نجد وإن شاء الله في طلاب العلم الخير والبركة من إذا قرأ مسألة لا يستطيع أن يفرط فيها ؛ لأنه يؤهل نفسه بمجرد ما يسمعها من شيخه أنه سيسأل عنها ، وأقسم بالله ما وجدت نفعاً لطالب علم في ضبط الفقه ومتابعته مثل إن يأهل نفسه أن المسألة التي سيسمعها في المجلس أنه سيسأل عنها عشرات المرات ، ومن هنا يحفظها من شيخه وهي في شرح حديث وشرح آيه ثم يحفظها من شيخه في الفتوى فيتعلم كيف تشرح في علم الحديث ، وكيف تشرح في التفسير وكيف تشرح في الفتاوى كما كنا مع مشائخنا ، ووالله إنك تبلغ في بعض الأحيان لما تعتني بهذه الطريقة أنك تتذكر حتى شيخك وهو يلقي هذه المسألة ، أما هذا الانفلات أن الإنسان يريد أن يدرسّ علم الفقه وعلم القواعد وهو لا في العير ولا في النفير ولا حصّل أو حتى من يتلقى عليه ما تأهل لهذا كله فهذا تحميل للإنسان ما لا يتحمل وهذا من التعالم وهذا من الاشتغال بكبار المسائل قبل صغارها ، ولذلك أوصي طلبة العلم ألا يشتغلوا بهذا العلم إلا بعد ضبط الفقه ، ومن باب الأمانة لا يجوز شرعاً أن يتلقى علم القواعد فضلاً عن غيره ؛ لكن

علم القواعد من أنفس العلوم لا يتلقى إلا ممن يجيده لأننا ابتلينا بذلك ورأيناه وقد نصحني علماؤنا ومشائخنا -رحمهم الله- ممن أتقن علم القواعد وممن لم يتقنه حتى إننا لما كنا في بداية الطلب في قراءة علم القواعد وكنا نعرضه على بعض المشايخ الذي انشغلوا فيه كان يشدد علينا يقول : لا تذهب إلا لفلان فلان نراه يتقن هذا الشيء أو يحسن ذلك -رحمة الله عليهم جميعاً- فكانوا ملمين بالأصول والضوابط في علم القواعد ، أما هذا الانفلات وعدم التقيد بضوابط العلماء وتدريس علم القواعد لمن لم يقرأ الفقه بعد فهذا ليس بسديد وعواقبه وخيمة ، وأظن أن من سمع مثل هذه الأشياء أو جلس في مجالس مثل هذه المجالس أنه إذا جلس ثلاثة مجالس سيرى بإذن الله صدق ما نقول وحقيقته حتى يجد نفسه بعد ثلاثة أو أربعة مجالس لا يدري السماء من الأرض ؛ لأنه إنهالت عليه كم هائل من الأمثلة بدون ضوابط وبدون أصول وعندها لا تحمد العاقبة ؛ لأن هذا علم ضياع وشتات .

أما إذا أصّل وقرأ الفقه أولاً وضبطه فلا شك أن الله سيفتح عليه أوصى طالب العلم أن يقرأ الفقه أولاً ، وأنا أقولها كلمة : أن طالب علم يحفظ المتن ويحفظ الدرس قبل الحضور ثم يركز قدر ما يستطيع أثناء الحضور ، ثم يرجع بعد الدرس لكي يلخص جميع المسائل التي قرأها ويهيئ نفسه أنه سيُسأل يوماً من الأيام عنها أو سيشرحها يوماً من الأيام أظن إن هذا

سيبارك له في علمه كثيراً ومثل هذا هو الذي يتأهل بهذه الدراسة التي حفظ فيها العلم وضبطه بعلم القواعد وغيره - نسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله إن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح - .

السؤال :

ما هي الشروح لهذا الكتاب المبارك أي عمدة الاحكام التي تنصحون بالرجوع إليها عند التحضير للدرس ؟

الجواب :

من أفضل شروح عمدة الأحكام كتاب الحافظ تقي الدين ابن دقيق العيد -رحمة الله عليه- وهو كتاب إتقان الأحكام في شرح عمدة الأحكام ، وهذا الكتاب ميزته أنه يعين على تصور المسائل وضبط مذاهب العلماء -رحمة الله عليهم- بانتـــزاعه الحكم من الأحاديث الواردة عن رسول الله - r - .

هناك شرح ثانٍ للكتاب وهو الإعلام بفوائد عمدة الأحكام للحافظ ابن الملقن وهو مخطوط وطبع بعضه وهو من أنفس الشروح وأوسعها وهو أوسع شروح عمدة الأحكام أوسع من شرح الحافظ تقي الدين ؛ لأن الحافظ بن دقيق -رحمة الله عليه- أملى كتابه الإحكام في المجلس ولم يكن قد كتب هذا الكتاب بمعنى أنه ألفه تأليفاً ؛ وإنما كان يمليه إملاءً على

الناس وهذا يدل على سعة باعه في الفقه والأصول ومعرفة دلالة النصوص -رحمة الله عليه- فإنك إذا قرأت هذا الكتاب وجدت فيه علماً عظيماً ؛ لكن كتاب ابن الملقن الإعلام أوسع وأكثر بسطاً .

وميزة الإعلام أنه -رحمة الله عليه- يجمل المسائل ثم يفصلها وقد يتكلم في الحديث الواحد في ثلاثين مسألة يستنبطها من الحديث الواحد وهو من أنفس الشروح وأوسعها وأجمعها ، ولذلك يمكن أن يرجع إلى كتاب الحافظ تقي الدين ابن دقيق العيد ، ويستعان بعد الله - U - بشرح الحافظ بن حجر في الفتح فتأخذ الحديث وترجع إليه في مضانه في شرح صحيح البخاري والله - تعالى - أعلم .

السؤال :

أحياناً تمر علينا بعض المسائل الفقهيّة في أحكام الناسي والجاهل فيكون أنه غير مؤاخذ ولا آثم ولكنه يضمن أو يطالب بالقضاء ونجد في مسألتنا عذره وعدم مطالبته بإعادة الصلاة .

السؤال : ما هو الضابط في هذه المسائل حتى يتمكن طالب العلم من فقهها أثابكم الله ؟

الجواب :

حقيقة هذه المسألة من أدّق المسائل في علم الأصول وفي الفقه أيضاً ، في بعض الأحيان يكون من حيث الأصل الجهل بالحكم مؤثر ولكن الإشكال

متى يكون الجهل عذراً هذا سؤال ؟ هل الجهل مثلاً الآن في مناسك الحج يأتي الشخص بإمكانه قبل أن يحج أن يسأل العلماء وأن يقرأ الرسائل والكتب وأن يسمع الأشرطة وأن يعرف ما الذي عليه وما الذي له ، ثم يأتي ويحجّ دون أن يقرأ شيئاً من ذلك ويعتبر دون أن يلتفت إلى شيء من ذلك ثم يقول أنا جاهل ! يوجد فرق بين الجهل العذري وبين الجهل الإهمالي الذي يصحبه الإهمال من أهمل فقد قصر ومن قصر يتحمل مسؤولية تقصيره هنا الإشكال متى يكون الجهل عذراً ؟ لو أن أناساً في بادية ما عندهم أحد من أهل العلم ولا عندهم علماء ولا يتيسّر لهم الاتصال بالعلماء للبعد هؤلاء معذورون ؛ لكن إنسان بين العلماء وبين أهل العلم ثم يتخذ الجهل عذراً هنا الإشكال .

النقطة الثانية : الجهل والنسيان يسقط الضمان في بعض الصور وهنا ليس فيه ضمان للحق بحيث نقول : إنه يجب عليه الضمان .

النسيان يسقط الإثم ولا يسقط القضاء وهذا أصل لأنه من باب الحكم الوضعي وليس من باب الحكم التكليفي ، وبناءً على ذلك في مسألتنا لا ضمان فصار النسيان مسقطاً ولا يطالب بالإعادة ولا يطالب بشيء لأنه لم يفوت لا ركناً ولا واجباً ما فوت لا ركناً ولا واجباً ؛ لكن في بعض المسائل يأتي النص مدعماً لهذا الأصل وبعض المسائل لا يأتي نص يدعّمه بل يكون الأصل في خلاف القول وهو وجوب الضمان فنحن إذا جائتنا

في الفتاوى مسائل تعتبر الجهل عذراً والنسيان عذراً وليس عندنا في نفس مسألة مطالبة بضمان رجحنا اعتبار العذر وحكمنا بصحة العمل ولم نلزم ، وأما إذا جاء في بعض المسائل التي فيها تفويت للحقوق ووجوب ضمان لحق الله أو حق المخلوق فالنسيان لا يسقط مثال الآن لو أن شخصاً أعطيته ألف ريال ديناً ثم نسي هذه الألف فقلت له : أعطني ألفي قال لك : ما أذكر أن لك عندي ألفاً وبعد عشرين سنة تذكر أن في ذمته لك ألف ريال هل هذا النسيان يسقط أداء الحق ؟

الجواب : لا ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((فدين الله أحق أن يقضى)) فإذا كان النسيان لا يسقط حقوق المخلوقين فكيف يسقط حق الله تعالى لكن هنا في الضمانات ، وفي مسألتنا لا ضمان فيها ولذلك الإسقاط إسقاط إذا أسقطه الشرع ولم يوجب له بدلاً في المسائل التي لاضمان فيها والإسقاط إسقاط لما دل الشرع على إسقاطه وهو الإثم لكنه لا يسقط الضمان فيما دل الدليل الآخر على الضمان فيه فإذا كان هناك أركان وواجبات وحقوق لله تعالى وقال نسيتها نقول : نسيانك يسقط الإثم ولكن يوجب عليك الفعل لأن ذمتك إلى الآن مشغولة لو نسي صلاة الظهر نقول : سقط عنه الإثم بالنسيان ولكن يجب عليه الآن أن يصليها ((من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها)) فجعل فيما فيه ضمان وشغل للذمة ملزماً في حال النسيان .

أما إذا كان في العوارض مثلاً في الصلاة مثلاً في الصوم قال صلى الله عليه وسلم : ((من أكل أو شرب وهو صائم فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه)) لاحظ جملة ((فإنما أطعمه الله وسقاه)) دلت على الإسقاط إسقاط القضاء لما قال : ((إن الله أطعمه الله وسقاه)) فالذي أمره بالصوم هو الذي أحل له هذا الأكل وأسقط عنه ضمان هذا الأكل فنقول النسيان هنا لا يوجب الضمان ، وهي على كل حال مسألة أصولية دقيقة فيها تفصيل أكثر من هذا لكننا نقربه للعوام ونحن ما ننتقص الناس ولعل - إن شاء الله - أن يكون هناك درس في أصول الفقه بعد عشرين سنة أو ثلاثين سنة بإذن الله نحرص على أن يكون هناك درس في أصول الفقه إذا انتهينا إن شاء الله من بعض الكتب ؛ لأنه مهم جداً في الفتاوى والدروس أن يكون طالب العلم على إلمام بالأصول التي أخذ أو بني عليها فهم الأدلة من الكتاب والسُّنة ، ولذلك كان العلماء -رحمهم الله- يعتنون بأخذ الأصول عن العالم الذي يشبه مذهب العالم الذي أخذ عليه الفقه حتى لا تضطرب عنده الأفهام وتختلّ عنده المدارك - نسأل الله أن يعيننا على ذلك - ، والله - تعالى - أعلم .

السؤال :

ذكرت أنه يجب على طالب العلم التدرج في طلب العلم فيدرس مثلاً في الفقه العمدة ثم بعده المقنع وأنا أحضر هذا الدرس في زاد المستقنع لأول مرة وليس عندي إلمام بالفقه إلا الشيء القليل فدلوني جزاكم الله خيراً ؟

الجواب :

بسم الله . الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد :

فإذا كان طالب العلم قد ابتدأ طلبه للعلم بكتاب موسع فإنه يأخذ الخلاصة والزبدة ، فيكون طلبه للعلم بتلخيص دروس العلم الموسعة ، إذا لم يتيسر له قراءة المتون المختصرة والسبب في ذلك الآن ضيق الوقت ، وضيق الزمان وقلة من يُعَلِّم هذا العلم وندرته . فلذلك قد يكون في البلد الواحد الدرس الواحد بل قد لا يوجد في بلد ، قد يوجد في الإقليم والمنطقة بكاملها درس واحد إن وجد .

فلذلك إذا وجدت درساً موسعاً فأوصيك أن تأخذ زبدة ما يقوله ذلك الشارح بالدليل تأخذ الزبدة بالدليل فالفقه بالدليل، مثلاً جاء يتكلم عن باب المياه فتعرف أول شيء الأمور التي اتفق عليها العلماء ، ما فيها إشكال تكتبها وتلخصها ، ثم الأمور الخلافية التي يتوسع فيها تأخذ زبدة الخلاف ودليل القول الراجح ، ولذلك أقول سنمر على مسائل خلافية فلا يمل الإخوة ، والذي لا يستطيع أن يستوعب المسائل الخلافية ، يسير

معنا بالطريقة التالية :

أولاً : يتصور المسألة ثم بعد ذلك سنقول مثلاً فيها قولان فيمشي معنا في الأقوال والأدلة يتصور ما يستطيع تصوره حتى نأتي إلى الراجح فأقول الراجح الجواز ، الراجح عدم الجواز فيعلق الراجح عدم الجواز لقوله- تعالى- ، لقوله-عليه الصلاة السلام- .

فقد أخذ فقهاً بدليله ، لكن ينتبه لقضية وجود القول المخالف ، فإن جاءه أحد وقال له هذه المسألة فيها كذا يقول نعم هناك قول مخالف ، ولكن الشيخ الذي قرأت عليه رجح كذا وكذا ، فأنا أسير معه بدليله لأنني أرى فيه فضله وأعتقد أنه عنده إلمام بهذا العلم فأنا أتبعه بالدليل . قال لك فيه دليل آخر ، قل قد أجاب عنه وتريد أن تناقش ناقش الشيخ لا تفتح باب المناقشة لأنك في بداية الطلب لو فتحت باب المناقشة تتعب ، وهذا الذي ضر كثيراً من طلاب العلم فلذلك لا تفتح باب المناقشة في بداية الطلب اقتصر على القول الراجح بالدليل ولا تتعصب فلستُ بملك مقرب ولا نبي مرسل وقولي يؤخذ منه ويرد فإن ذكرتُ القول بالدليل فاعلم أن الله سائلك عن قول بالدليل فإن اعتقدتَ ما قلته بالدليل فقد أديتَ ما عليك ثم يبقى بعد ذلك إن خالف أحد فحينئذ لا تفتح باب الخلاف وهذا أمر أجمع العلماء عليه أن من ليست عنده أهلية للترجيح والخلاف والنظر أنه يقتصر على قول عالم يثق بعلمه بالدليل حتى تتم الفقه وإذا بالفقه بين يديك عصارة خالصة ثم تنتقل بعد ذلك إلى مرتبة معرفة الأدلة ووجه

دلالاتها إن استطعت أن تتوسع ثم تتوسع بقاعدة وركيزة فكل السلف -رحمهم الله- توسعوا بقواعد وركائز فكان شيخ الإسلام يقول وهذا قول أصحابنا وخالفنا الشافعية لقوله-تعالى- كذا وكذا ، ما الذي دله على أنه قول أصحابه لما ابتدأ بفقهه في مذهبه وضبطه بدليله ثم انتقل إلى مستوى من خالف وما دليله ثم يناظر ذلك الدليل يقارع الحجة بالحجة حتى يستبين السبيل والمحجة إذا بلغ طالب العلم هذا المبلغ فبإذن الله يصل إلى علم وفقه واضح لكن لو فتح باب النقاش وهو في بداية الطلب سيتبلبل الشيخ فلان يقول كذا ، والشيخ فلان يقول كذا ، والشيخ فلان لا فلان أعلم من فلان ، فلان يعرف الحديث ، فلان يعرف الفقه ، فتضيع الأمة ، قد تنتقص عالم قد تُجَرِّح عالم .

لا أبداً ، قل له أنا أدين الله أن فلانا إنساناً من أهل هذا العلم وأخذ هذا العلم عن أهله ، إذاً أنا آخذ قوله لكن ما أخذته لفلان أخذته للدليل ، فسأبقى معه حتى اضبط ثم بعد أن أضبط أنظر من خالفه وما دليله فبعد ذلك يستبين للإنسان .

أما هذه المرتبة ليست مرتبة مقارنة أو مناقشة ليس الإنسان متأهلاً للنقاش والخلاف هذا أمر ينبغي أن يدرك وقد نبه عليه الإمام ابن القيم-رحمه الله- في أعلام الموقعين ونبه عليه الحافظ ابن عبدالبر-رحمة الله عليه- في الانتقاء ونبه عليه شيخ الإسلام-رحمه الله- في المجموع أن طالب العلم يأخذ القول بالدليل حتى يبلغ درجة المناظرة ،فينتقل إلى درجة الاجتهاد

أما إذا لم يبلغ هذا المبلغ فعليه أن يتريث ، ولذلك كثير من طلاب العلم بدأوا بكتاب الطهارة فأخذوا كتباً في الحديث اختلف العلماء فيها على قولين على ثلاثة قال : لا والله عندي الراجح هذا القول لقول كذا وكذا فرجح هذا القول لدلالة مفهوم .

ثم جاء في المسألة الثانية وقال الراجح عندي القول الثاني وهو دلالة منطوق وقد يكون المفهوم الذي رجح به يعارضه مفهوم آخر من جنسه في المسألة الثانية فيتناقض ويتبلبل ويعيش في حيرة ليست عنده موازين للترجيح ، ولا موازين للفهم ، فهذا الذي ضر كثيراً من طلاب العلم.

المنهجية في طلب الفقه ، الطريقة التي سار عليها العلماء المحررون نسير عليها والشتات والبلبلة لا تبغي ، ولذلك في هذه الحالة لا تفتح باب الحوار اعرف القول بدليله .

إذا لقيت الله ، قال لك يا عبدي لم أحللت هذا ؟ قلت لقولك كذا لقول نبيك كذا وكذا ألست على حجة وبرهان ؟ على حجة وبرهان .

بعد أن تنتقل إلى درجة معرفة المخالف ودليله ووجه الخلاف ، فكم من دليل تراه كأنه حجه وهو ضعيف في دلالته ، وكم من دليل تراه قوي الحجة قد عارض ما هو أقوى منه فهذا أمر ينبغي التنبه له . ليس الإنسان في مرتبة المقارنة ، قد جعل الله لكل شيء قدراً ، أضبط الآن الفقه بدليله وانتظر حتى تتسع مداركك وتتفتح وتفقه عن الله ورسوله وتأخذ علماً منضبطاً واسعاً ثم بعد ذلك تنتقل إلى من خالفك ودليله مثل ما درج

السلف الصالح-رحمة الله عليهم-فهذا الذي أوصي به طلاب العلم .

وهذه قضية مهمة جداً ، أثرت على كثير من طلاب العلم حتى إن بعضهم مل الفقه وتركه وأصبح في دوامة لا يعرف ما هو الحق-والعياذ بالله- ، يعني وصل إلى الحيرة السبب ، أنه أوقف نفسه في موقف لا يليق به من أنت حتى تصير حكما بين الإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، من أنت حتى تأتي لكي تقول فلان أصوب من فلان هذا الأمر ليس بالسهل شابت فيه الرؤوس وكان بعض العلماء إذا سئل عن الراجح يخاف وينفض يديه من الرعب يعين أمر ما هو بالسهل هذه مرتبة ما يصل إليها الإنسان إلا بعد عناء ومن الأدلة على ذلك ، ابحث عن كتب الخلاف الفقهي تجدها تعد على الأصابع لماذا ؟ لأنهم كانوا يعرفون أن هذا الثغر ما يبلغه الإنسان إلا بعد تحصيل وبعد أن يشيب رأسه في تتبع الأقوال ومعرفة المخالفين وأدلتهم وما كانوا من ورعهم يدخلون في مسائل الخلاف إلا بعد الاستيعاب ومعرفة ما هي الأقوال في المسألة ، وقد تجد الرجل الآن يقف على قولين وفي المسألة ستة أو سبعة أقوال ، فلذلك ينبغي للإنسان أن يتأنى لا يتعجل ، يضبط العلم وبإذن الله- U - سيبارك الله فيه ، وأقولها لك من الآن إذا سرت على ما ساروا عليه فستبلغ ما بلغوا بإذن الله-جل وعلا- إذا جئت تُحْدِث لنفسك تجتهد ترسم لنفسك منهجاً جديداً بمحض رأيك وفهمك فلا تلومن إلا نفسك فلذلك أقول من الآن ارتبط بمنهج السلف وبإذن الله لن تختم باباً إلا وأنت على تصور واضح وطريقة

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

معينة .

قل له الآن أنا لا أفتح باب النقاش ، أنا الآن أقرأ بدليلي وألقى الله بهذا الدليل والحجة لأن ليس الآن عندي مرتبة أن أفاضل ، لا قرأت الأصول ولا أعرف مراتب الأدلة ولا عرفت ما هو الراجح من الأقوال ، إذاً أنا أقتصر على هذا القول بالدليل .

وقد أجمع العلماء-رحمهم الله- على أن طالب العلم إذا أخذ القول بالدليل فقد أعذر ، يعني هذا عذره يلقى الله بالدليل .

إنما المحرم أن تكون طالب علم تعرف الأدلة وتأتي وتقول أنا عندي الزاد أو عندي العمدة لا أحيد عنها هذا هو التقليد المذموم والتعصب ، أو يأتيك إنسان بحجة من الكتاب والسنة فتتركها ، لكن إذا كان عندك حجة من الكتاب والسُّنة وقول عالم مبني على الكتاب والسنة فعندك حجة وعلى محجة حتى تبلغ درجة الاجتهاد ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، والله - تعالى - أعلم .

السؤال:

هذا سائل يقول فضيلة الشيخ بين لنا كيف نستطيع حفظ هذا المتن ؟

الجواب :

باختصار ، بالنسبة للحفظ في الحقيقة أنا أُرَغِّب في حفظ كتاب الله وسنة النبي- r - وكتب العلماء والله على عيني ورأسي ولكن والله بدل أن

تضيع الساعة في زاد المستقنع أضيعها في حفظ حديث من أحاديث النبي - r - ما تضيع إنما استفرغها في كتاب الله وسنة النبي - r - الزاد افهمه واعرف كيف تعبد الله -؟- واحفظ مسائله أما أن تحفظ العبارات فأنا أقول أولى منها وأحق كتاب الله وسنة النبي - r - ، كل حرف تتعبد الله -؟- لك فيه من الأجور ما الله به عليم . والزاد خير وحفظه بركة ، ولكن الأفضل والأكمل لك أن تحفظ كتاب الله ، طالب تجده يحفظ الزاد وهو لا يحفظ القرآن فالأمر صعب ، يحفظ الزاد وتخفى عليه أحاديث الأحكام فلذلك يبدأ الإنسان بالأصل ، ثم بعد ذلك ما تفرغ عنه .

أما الطريقة لو أردت أن تحفظ الزاد : فخذها باختصار :

أولاً : تبدأ بالمادة مكتملة ، تأخذ المادة مكتملة ، ولا تزد على سطر واحد . المادة مكتمله كيف ؟

مثلاً المصنف يتكلم على أقسام المياه ، تكلم في سطرين ، تكلم عن أقسام المياه في سطرين أو ثلاثة أسطر لا تأخذ الثلاثة أسطر مرة واحدة ، إذا كانت المادة مكتملة في سطر ، خذها أما إذا كانت غير مكتملة إلا بثلاثة أسطر فجزئ جزئيات المادة ، فالمادة مثلاً قَسَّم المصنف الماء على ثلاثة أقسام ، الماء الطهور سطر ، الطاهر سطر ، النجس سطر ، فاحفظ أولاً الطاهر السطر ولو ذكر الطاهر في سطرين فإنه يذكر لك وصف الطاهر وحكمه ، فالسطر الأول في وصفه والثاني في حكمه ، فابدأ بوصفه ثم بحكمه . ولا تحفظ سطر ولا نصف سطر إلا وأنت تعرف عنوانه يعني

يتكلم عن أي شيء هذه الطريقة الأولى . اكتب السطر ثم أدم النظر إليه واقرأ على الأقل عشر مرات بتمعن ولا تقرأ إلا بعد تصحيح هذا المتن على عالم حتى تضبط ويكون حفظك صحيحاً بعد ما تقرأ عشر مرات حاول مرة أن تغيب ، وتعرف نقاط الضعف في الحفظ في أي العبارات ثم ارجع وكرر إن استطعت مائة مرة ، إن استطعت مائتين ، نعم إذا كان تريد تحفظ .

أما إذا كان تريد الذي يمشي الحال خمسين مرة نعم ، أربعين مرة يقولون إن الأربعين مرة يعني قوية يعني هي فاتحة الحفظ ، هذه فاتحة فقط ولكن إذا كان مثلنا اليوم ، لأن - يا أخوان - الذي ضر الكثير الآن في الحفظ ازدحام المعلومات ، الأولون لم تكن عندهم مشاغل كثيرة ولا مشاكل كثيرة ؛ ولكن الآن عند الإنسان مشاغل ومشاكل في بيته وأهله وأولاده وأطفاله فيستغرق ذهنه ، لكن إذا صفى ذهنه المرتين والثلاثة أحياناً مرة واحدة يقول شعبة ما خططت سوداء في بيضاء ولا سألت رجلاً أن يعيد حديثه علي مرتين ، بمجرد ما يقول ينسخ .

ونسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، أن يلهمنا وإياكم السداد والصواب - .

السؤال:

لقد قدمت إلى هذه البلاد لطلب العلم أسأل الله أن يجعل نيتي ونية كل مسلم خالصة صادقة ومع حفظ المتون وحلق العلم والدروس جاءني الشيطان يُرغبني عن العلم ويصرفني عنه ويضعف عزيمتي ويشغلني بما لا يفيد نفسي قلبي وانشغلت عن كتاب الله وعن الاجتهاد في الطلب واجتمعت علي هموم وغموم وأشعر بضيق شديد فاشدد من أزري حفظك الله بنصحٍ منك أسأل الله أن ينفعني وإخواني بما تقول ؟

الجواب :

أما الوصية التي أوصيك بها - أخي في الله - أن تعتمد على الله فإنه نعم المولى ونعم النصير وما نزل بك ما هو إلا بلاء من الله إما بسبب ذنبٍ بينك وبين الله أو أن الله يريد أن يرفع درجتك فسلط البلاء عليك فإن كنت تريد النجاة فاستدم الاستغفار لعل الله أن يرحمك إن كنت عاصياً أو كان ذلك بسبب معصية فإن طالب العلم قد يبدأ طلب العلم فيُصاب بغرور أو يزل لسانه بكلمة أو يحدث منه أمر يغضب الله عليه فيسلب نعمة العلم والرغبة فيه على قدر ما أصاب من ذنب ، قال سفيان -رحمه الله- : أذنبت ذنباً فحرمت قيام الليل أربعة أشهر .

وأما الأمر الثاني : وهو أن تُحسن الظن بالله فلعل الله يريد أن يُبلِّغك مرتبة لا تصل إليها إلا بامتحان وابتلاء وقل أن تجد طالب علم طلب العلم إلا

وجاءه ما ذكرت بل وأشد مما ذكرت والله يقول : { وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا } فالله يجعل العبد إماماً إذا صبر ، ولذلك قال العلماء : إن الله- - لما أوحى إلى نبيه أخذه جبريل فغطه حتى رأى الموت ، ثم أرسله ثم غطه ثم أرسله ثلاث مرات قالوا لكي يبين أن العلم لا يأتي إلا بعد امتحان وابتلاء فضاق قلبك ولعل هذا الضيق أن يكون كما ابتلي حبيبه-صلوات الله وسلامه عليه- عند الوحي هذا إذا أحسنت الظن بالله واشُدد عزيمتك بالله واستعن بالله فإنه نعم المولى ونعم النصير ، وكثير من طلاب العلم يأتيهم الهم ويأتيهم الغم ويأتيهم التشبيط من الناس فمنهم من يقول إلى متى تنتهي من دروسك فلربما تجلس العشر سنوات والعشرين سنة وأنت في هذا الدرس أو في هذه الحلقة أو عند العالم الفلاني ولا تنتهي كل ذلك ابتلاء فإن صدق مع الله صدق الله معه ، وكم وجدنا من المثبطين والمخذلين حتى خذَّلهم الله- - عنا .

فتعلق بالله واعلم أنك في جنة وروضة من رياض الجنة وهي العلم فاستدم سؤال الله-جل وعلا- أن يثبت قدمك وأن يحسن العاقبة لك - أسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، أن يرزقنا من العلم حلاوته وطلاوته ، وأن يجعل لنا موجبات رحمته وعلو درجاته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه - .

السؤال:

ما الطرق التي يستطيع بها طالب العلم أن يضبط العلم ؟

الجواب :

بسم الله ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أمابعد :

ما أسهل السؤال وما أصعب الجواب ، يعني السؤال سهل أن تسأل ما هي الطرق التي يضبط بها طالب العلم ، لو نجلس إلى الفجر ، لو نجلس عشرات الدروس ما نستطيع أن نلم بهذه الطرق ، ولذلك أشفق في السؤال يعني يشفق السائل ولا يبالغ في سؤاله بكل اختصار .

أولاً : ما ذكرناه أن يكون بينك وبين الله ما يرضى الله عنك ، الطرق التي تقفي بك إلى العلم الصحيح النافع أن تبدأ بإصلاح ما بينك وبين الله .

ثانياً : عالم أخذ العلم عن أهله واتصل سنده إلى رسول الله - r - ، حتى تأخذ العلم موروثاً .

ثالثاً : أن تضبط ما تقرأه على ذلك العالم ، تضبط ضبطاً تاماً ، تقرأ قبل أن تحضر المتن مرتين ثلاثة أربعة ، حينما يجري هذا العلم في دمك وعرقك ، حينما يجري مع روحك ويصبح معك ، تعرف حلال الله وحرامه ، وتتفاعل مع هذه الأحكام كل حكم عزيز عندك ، عندها تستطيع أن تبني علماً صحيحاً ، وتعرف قيمة هذا العلم ، وتعتز به وتتمسك به لأنه من الوحي من كتاب الله وسنة النبي - r - ، فإذا بدأت تضبط وتقرأ قبل أن تجلس وتتعب المرتين الثلاثة الأربع لا تسأم ولا تمل ، فمن كانت له بداية مُحْرِقة كانت له نهاية مشرقة ، فتتعب في طلب العلم ، ولذلك ما عَلّم الله

أحداً إلا بعد أن ابتلاه واختبره - I - ، رسول الأمة -عليه الصلاة والسلام- ما أوحى إليه حتى أخذه جبريل وغطه ورأى الموت ، وقال له : اقراء ، قال : ما أنا بقارئ ، فأخذه حتى رأى الموت ثلاث مرات ثم أوحى إليه ، وكان إذا نزل الوحي على رسول الله - r - يتفصد عرقاً في شدة البرد والشتاء ، ونزل الوحي وهو على بعير فبرك البعير وكاد أن يموت البعير من شدة ما يجد -عليه الصلاة والسلام- ، وهذا بعير وهو تحت النبي - r - فما بالك برسول الأمة - r - ، وكان إذا نزل عليه الوحي كما في الصحيحين من حديث صفوان بن يعلى بن أمية - t وعن أبيه- ، أنه يغط كغطيط البكر من شدة ما يجد فإذا كان تمضي إلى حلق العلم وقد تعبت وسهرت وأضنيت جهدك وأنت تقرأ وتضبط ، غداً تخرج إلى الناس بنور وعلم مضبوط وأصل صحيح ، وتخرج للناس ويخرجك ربك ، لأن الله اطلع على ما كان منك تعب ، { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } أي والله لنهدينهم سبلنا ، متى إذا جاهدوا ، والجهاد التعب والاجتهاد وبذل غاية الوسع والطاقة في تحصيل الأمر ، فالعلم لا يأتي بالتشهي ولا بالتمني ، ولا يأتي بالدعاوى العريضة الشخص يحس أنه كأنه شيخ الإسلام ومفتي الأنام ، مغرور بنفسه ، لا من يأتي بجد واجتهاد وتعب ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : ذللت طالباً وعززت مطلوباً ، فإذا أكثرت من قراءة العلم وأصبح العلم في ليلك ونهارك وصبحك ومساءك ، وأصبحت مسائل العلم هي أشجانك ، وهي

أفكارك وهي أحاسيسك ووجدانك ، عندها تجد بركة هذا العلم ، وتخرج للأمة بعلم صحيح .

ثانياً : بعد أن تصلح ما بينك وبين الله وتضبط العلم بالقراءة ، تأتي إلى مجالس العلم معظماً للعلم معظماً للعلماء ، من جلس في مجالس العلم يعرف قيمة ماذا يُقال ، يقدر كل كلمة ، ويبحث عن كل شاردة ، ويفرح بكل حكمة ، عندها يكون العلم عزيزاً في قلبه ، وإذا جلس شارد الذهن يريد أن يقضي الوقت ، يريد أن يذهب عنه الوقت ، فعندها لا يبالي الله بمن لا يبالي بدينه وشرعه ، لابد أن يكون طالب العلم في مجلس العلم يحرص على كل كلمة صغيرة وكبيرة ، يبحث عن الحكمة ، كان الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام الجحمي -رحمه الله- آية من آيات الله في العلم والعمل ، أن نظرت إليه في التفسير فهو حجه في تفسير كتاب الله- U - ، ويستشهد بتفسيره ويعتمد قوله حتى كان رأساً في علم الفقه ، فقيها محدثاً في علم الحديث والرواية عن رسول الله- r - ، وفي علم القراءات وفي علم اللغة والشواهد ، كان آية من آيات الله-رحمة الله عليه- ، هذا العالم الجليل يذكر عن نفسه أنه كان يجد ويتعب وينصب في نهاره حتى يمسي عليه الليل ، وهو أشد ما يكون تعباً وإعياً ، حتى إذا وجد العالم ، فذكر له الحكمة الواحدة ، والفائدة الواحدة ، يقول فأبِيت بها مسروراً قد سلا عني ما أجد ، يعني جميع التعب والنصب يذهب بهذه الحكمة لأنه يحفظ لأمة محمداً- r - دينها ، فالذي يستشعر أنه يتعامل مع

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

هذا العلم لكي ينفع أمة محمد- r - ولكي يبلغ الرسالة ، ويؤدي الأمانة ، ويكون منه الخير ، يجد ويجتهد .

كذلك - أيضاً - إذا جلس في مجالس العلم يرتب وضعه ، طالب العلم المبتدئ له طريقة ، وطالب العلم المتوسط وطالب العلم المتمكن كلً منهم له منهج معين وطريقة معينة ، طالب العلم المبتدئ يأخذ القول الراجح ودليله ، ولا يدخل في التفصيلات ولا الخلافات ، ويفهم العبارات بالشرح المختصر، طالب العلم المتوسط يتوسع ، ويعتني بالقول المخالف ، دليله الجواب عن الدليل ، طالب العلم المتمكن يمحص في هذا كله ويراجع كل هذا ، وإذا أشكل عليه شيء يعرضه ويكتب الأسئلة المفيدة ، إذا حضر طالب العلم حرص على أنه يسمع أكثر من أنه يتكلم ، لأن الله- U - يبارك لطالب العلم متى ما أنصت للعلم ، ومفتاح العلم الإنصات له ، ولذلك قال بعض الحكماء يوصي ابنه : يا بني إذا جلست في مجالس العلماء ، فلتكن حريصا على السكوت منك على الكلام ، فيحرص طالب العلم على أن يكون منصتاً مستفيداً .

كذلك - أيضاً - بعد الانتهاء من الجلوس في مجالس العلم ، يراجع العلم الذي يقرأه ، يختار طالب علم أو طالبين أو ثلاثة بالأكثر يذاكر معهم الدرس الذي يأخذه ، فهذا كله خيرً له وبركة ، ثم بعد ذلك يستشعر من قرارة قلبه ، أن كل آية ، وكل حديث ، وكل حكم سمعه وعلمه ، أنه مسؤول أمام الله عن العمل به وتبليغه للأمة ، أن يعلم أنه مسؤول أمام الله

، وأن يعلم أن جلوسه في مجالس العلم ليس لعبث ولا لإضاعة الأوقات ، تتعلم وتسأل الله أن يبارك لك فتعمل ، وتسأل الله أن يبارك فتعلم غيرك ، ولا تقل من أنا هناك علماء أصبحوا أئمة وعلماء بعد سنة الخمسين ، بعد أن بلغوا خمسين سنة طلبوا العلم ففتح الله - U - عليهم وأصبحوا من الأئمة والعلماء العاملين ، والنبوة تأتي النبي نبوته بعد الأربعين ، ولا يبعث إلا بعد الأربعين ، وهذه سن متأخرة ، ولا يقل الإنسان من أنا فلا أبي ولا أخي لا والله ، { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ } ، العلم ليس حكراً على قوم ، لا على لون ، ولا على جنس ، ولا على مال ، ولا على قبيلة ، ولا على جماعة ، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء ، فتحرص على ضبط هذا العلم وتعلم أنك مسؤول عنه وعن تبليغه للأمة - نسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، أن يجعل ما تعلمناه وعلمناه خالصاً لوجهه الكريم ، موجباً لرضوانه العظيم- .

السؤال:

يقول السائل: شيخنا الكريم وفقك الله وفتح عليك، ما هي أفضل الطرق لضبط الفقه وهل دراسة متن معين في مذهب معين من المنهجية الصحيحة لدراسة الفقه؟، وجزاك الله خيراً.

الجواب :

أفضل الطرق عاد الله المستعان يا أخوان أشفقوا في السؤال والفتوى، لا يحسب أحد أن كل سؤال يعني هُمل بالسهل، أفضل طريقة أفضل الضوابط أفضل الأصول أفضل الكتب أفضل التفاسير أفضل كتب الفقه، هذه يحتاج أن تكون قرأت جميع كتب التفاسير، حتى تستطيع أن تشهد أمام الله أن هذا أفضله، وتكون قرأت جميع كتب العقيدة حتى تشهد أمام الله أن هذا أفضله، فإذا سأل أحد عن أفضل كتب العلم قل له كتاب الله وسنة النبي e ، إذا سأل عن أفضل كتاب في الحديث قل له صحيح البخاري وصحيح مسلم، لأنهما من خيار الأحاديث التي أتفق عليها، فأشفق على من تسأل قل ما هي الطريقة المعتبرة أو كذا أو نحو ذلك، على كل حال الفقه لا بد فيه من منهجية، ونحن ذكرنا غير مرة أن متون الفقهاء هي خلاصة الفقه وزبدة الفقه، المطلوب من طالب العلم ما يلي:

أولاً: قرءاه المتن أكثر من مرة، وضبط شكله فإذا قرأ المتن أكثر من مرة قبل حضور الدرس.

ثانياً : إذا أمكن وجود شرح مختصر ليس فيه إسهاب وتوسع يحضر لقراءة هذا الشرح المختصر، وإلا اقتصر على القراءة والتكرار أكثر من مرة، ولكلما كرر كلما كان ذلك أضبط له في المسائل والأحكام.

الأمر الثالث: إذا حضر في مجلس العلم فالأفضل أن ينصت ويركز، هذا أفضل شيء، أنه لا يشتغل بشيء إلا الإنصات والتركيز، لأن الله ما جعل لرجل من قلبين في جوفه، فينبغي أن يستفرغ همته لأن يسمع وأن يعي، إذا

أراد أن يعلق بعض الأشياء فهذا خلاف الأفضل والناس يختلفون، ولكـــن الأفضل له أن ينصت إنصاتاً كاملاً، ويستوعب ما يقال له.

الأمر الرابع: بعد أن ينتهي من الدرس يرجع إلى بيته ويحرص دائماً بعد مجالس العلم أن لا يشتغل بغير العلم، حتى يستصحب الخير والبركة والنعمة التي كان فيها، فإن الاشتغال باللهو بعد الذكر يذهب كثيراً من الخير، ويكون الإنسان مع الغافلين والساهين، ولذلك شرع الله بعد الصلاة الأذكار التي بين النبي e أنها معقبات لا يخيب قائلهن، وأنها توجب غفران الذنوب وإن كانت مثل زبد البحر، استتماماً للخير واستدامة له، فطالب العلم بعد الدرس يحرص على أنه يرجع ويجلس مع نفسه، أو يجلس مع طالب علم حضر المجلس، وهذه طريقة السلف الصالح رحمهم الله، فيجلس معه ويتذاكرون ماذا كان، فهذا يكمل نقص هذا وهكذا، الطريقة المعتبرة أنك أولاً معنى العبارة الموجودة في المتن ما هو المطلوب منك في قراءة المتن، معنى العبارة، تفكك هذه العبارة معناها، ثانياً الحكم المستقى منها دليل هذا الحكم، إذا فهمت معنى العبارة وعرفت الحكم المستقى منها، وعرفت دليل هذا الحكم تقتصر على هذا، لا تدخل في خلافات العلماء ولا في الردود ولا في المناقشات حتى تضبط الفقه كاملاً، ثم ترجع بعد ذلك إلى مرحلة ثانية ودرجة ثانية من الضبط، فتبدأ بسلم العلم كما ينبغي تبدأ بصغار العلم قبل كباره، المشكل لطلاب العلم اليوم أنه يجلس في الحلقة أو يسمع عالماً أو شيخاً أو مدرساً ويأخذ منه، ثم

يذهب إلى شيخ آخر والله فلان رجح كذا، ما رأيكم؟، فلان أجاب بكذا، ما قولكم؟، قالوا قلنا قالوا قلنا لا يبقى معهم من العلم شيء، ولذلك تنزع منه البركة ولربما يصبح تماماً يوماً من الأيام والعياذ بالله، فهذا من أسوء مما تمحق به البركة ما كان العلماء يعرفون هذا كانوا يعرفون لكل عالم وشيخ حقه وقدره في علمه، إذا جئت تطلب العلم على شيخ تأخذ عنه علمه بالدليل وتقف بين يدي الله U بحكم بدليله، ثم تقول يا رب أعتقد هذا لقولك لقول رسولك عليه الصلاة والسلام، حتى تتم ذلك وتعيه وتفهمه، ثم تنتقل إلى من هو أعلم وأكثر ضبطاً وأكثر توسعاً، أو تنتقل إلى درجة أخرى من قراءة متون الأحاديث والدلالة منها ونحو ذلك، تبدأ من حيث بدأ العلماء والأئمة والكبار، تبدأ بصغار العلم قبل كباره رحمك الله حتى يفتح عليك وتضبط، بعض طلاب العلم يحس أن عنده طاقة بمجرد ما يقرأ الشرح يستهين بالشرح، فينتقل إلى المطولات المغني والمجموع ومنهم من يكتب شرحاً مستقلاً، ثم بعد فترة لا يمسك شيء، إن المنبت لا ظهراً أبقى ولا أرض قطع، فتبدأ بهذه الطريقة لا يستهين الشيطان بك فيقول لك أنت طالب علم وأنت مستواك أكبر ولذلك يغر طالب العلم بنفسه، لكن حينما يقول ما عندي علم والحقيقة أننا ليس عندنا علم إلا إذا ورثنا عن أهل العلم، وهذا علم الصحف والصحفي الذي يذهب ويمسك الكتب ويقرأ منها هذا ليس بعلم، لأن الله جعل العلم إتاءاً لأهل العلم، وجعله سلسلة متصلة من عالم إلى عالم حتى يتصل

سندك إلى رسول الله e بأخذ العلم عن أهله، فهذا أمر مهم وينبغي على طالب العلم أن يعتني به، تكتب الخلاصة في كل مجلس ثم تراجع هذه الخلاصة وتكتبها في دفتر عندك يعتبر أصل لهذا المتن الذي تقرأه، إذا فتح الله عليك وتوسعت رجعت إلى هذه الأصول كما نرجع نحن إلى أصولنا التي كنا نتلقاها عن علمائنا ومشائخنا ووجدنا في ذلك من الخير والبركة ما الله به عليم، هذا الذي يوصى به طالب العلم، أما قراءة المذاهب فهذه مسألة مفروغ منها، لك سلف صالح تسير حيث ساروا وتأخذ من حيث أخذوا ما من عالم جهبذ من العلماء إلا وقرأ مذهباً، والذي يتلكم في المذهبية ويقول لك لا تقرأ مذهب، لو سألته عن المذاهب لكان أجهل الناس بها، فمن جهل شيئاً عاداه، وقد يكون جاهلاً ويريد أن يغطي جهله بالمذاهب فيقول لك ما تقرأ المذاهب، لأنك ستسأله تقول له ما الذي قرأت من الفقه؟، وما الذي ضبطت من متون؟، ما الذي تلقيته عن العلماء والأئمة حتى تفتي في الفقه؟، يقول لك أنا لا أعترف بالمتون الفقهية، لأنه يريد أن يستر جهله، لا يتكلم في هذه المتون إلا من يجهلها ويجهل قدر علمائها وأئمتها، لا حرج عليك أن تقرأ في المتون لكن بالدليل، الحرج التعصب وترك الحق وترك الدليل، أما أن تقرأ علم مستقى من كتاب الله وسنة النبي e يعني الأمة في ضلال وهوى تأتي هذه المتون أكثر من عشرة قرون والأمة تتلمذ عليها ساكتون عن هذا المنكر، يعني كل هذه الأمة على ضلالة إلا نحن اليوم الذي أفقنا فيه لكي نعلم

ضلالتهم، على طالب العلم أن يكون مستبيناً وأن يعرف الحق وأن يأخذه عن أهله، فلا حرج في قراءة المتون ما دام أنها تدعم بالأدلة من كتاب الله وسنة النبي e ، والحرج في التعصب حتى ولو قرأت في الأحاديث واستقيت من الكتاب والسنة وتعصبت فإنك على ضلال حتى تترك التعصب، لا يجوز لأحد أن يعتقد في شيخه أنه كامل مكمل لا يخطئ أبداً، بل عليه أن يعلم أنه بشر ولكن له فضله في علمه وضبطه فمتى استبان له حق عند غيره رجع إليه والله تعالى أعلم .

السؤال:

هناك بعض الإخوان -جزاهم الله خيراً- لتمام حرصهم -إن شاء الله- على السنة يقترح أن يكون الدرس في غير سنن الترمذي كسنن النسائي مثلاً أو سنن ابن ماجة على حد قوله أنها لم توف حقها من الشرح فيرى أنها أحوج لمثل هذه الدرس ويقول بعضهم أن سنن الترمذي لها عدد من الشروح يعني قد تكون كافية وكذا وهذا الحقيقة متعلق باالكتاب ..؟؟

الجواب :

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه:

الحقيقة هذا الكتاب- نحن كنا في الأدب مع العلماء وعظيم حقهم علينا -هذا الكتاب هو أول كتاب قرأته على الوالد -رحمة الله عليه- ولذلك

لازال للترمذي عليّ دين عظيم ولاشك أنها نعمة كبيرة أن يتصل سندنا إلى النبي - - ؛ لأن الوالد يرويه بالسند المتصل إلى رسول الله - Y - ووجود شرح كامل له حتى إني من فضل الله أتذكر كثيرا من المسائل كأن الوالد وهو أمامي يشرحها -رحمة الله عليه- وهذا الكتاب مبارك عظيم النفع كما قال الأئمة :"من كان في بيته سنن الترمذي فكأنما في بيته نبي يتكلم "، كتاب عظيم والحقيقة لا استطيع أن أقول إن هناك مناسبة بينه وبين بعض الكتب ، الحقيقة الترمذي وفق توفيقاً عظيما في الجمع بين السنة رواية ودراية .

سنن النسائي كتاب عظيم لكن فقهه في التراجم لم يتعرض للمذاهب لم يتعرض لمضامين الأحاديث في التراجم فقه،كذلك بقية كتب السنة ، أما الإمام الترمذي لاتدري من أي شئ تعجب أمن دقّة تراجمة وحسن إيراده للأحاديث وتنبيه إلى بعض الروايات المختلفة أو ما يقوله وفي الباب عن فلان وفلان من الصحابة -رضوان الله عليهم- فينبه إلى أشياء وأحاديث أخرى في نفس الباب تكون متعلقة بنفس الأحكام وهذه لها صلة بالفقه والأحكام .

الأمر الثالث : لايقف الأمر عند هذا بل تجده يقول وبهذا الحديث قال الشافعي وأحمد واسحاق ابن راهوية وأبو عبيدة وفلان وفلان وقال غيرهم كذا وكذا ينبه على المذاهب وبينه على مواقف بعض الأئمة من هذا الحديث ويقول وعلى هذا الحديث العمل عند عامة أهل العلم من

الصحابة والتابعين وهذا الحديث مختلف فيه وهذا الحديث وهذا الحديث ... -فرحمة الله عليه وأعظم أجره وأجزل ثوابه-.

كتاب الترمذي كتاب عظيم وفيه فوائد نفيسة جداً ولاشك أن هذا يعطينا عذراً في تقديمه على غيره خاصة وأنه يجمع بين الأحاديث رواية ودراية .

سنن النسائي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجة ليس فيها ما في الترمذي من التنبيه على المذاهب والأئمة ولذلك هو من الأهمية بمكان .

أضف إلى ما في بعض الأحاديث من بعض الرواة الذين من فيهم بعض الكلام وفيهم المناقشات وقد تمر فوائد حديثية فيهم أضف إلى أنه يستخدم مصطلحات دقيقة حتى أن بعض العلماء حاروا في مراد الترمذي بهذا المصطلح يعني قوله هذا حديث حسن صحيح " ما مراده "بحسن صحيح " واختلاف العلماء -رحمة الله عليهم- في هذه الكلمة حتى بلغت أقوالهم ما يقرب من تسعة أقوال وبعضهم أوصلها إلى عشرة أقوال مامراد الترمذي" بحسن صحيح " فليس من السهولة بمكان الإمام الترمذي وما ادراك ما الترمذي يقول ذاكرت محمداً من محمد ؟ الإمام محمد بن اسماعيل البخاري يذاكر الإمام البخاري في الحديث ويُدلي بباع طويل ويد لاشلت ولاكلت في الفقه والأحكام فجمع بين الحديث رواية ودراية - فرحمة الله عليه وأسبغ عليه من شآبيب الرحمات لما قدم للأمة من هذا الخير العظيم- ، وقل أن تجد مسألة خلافية إلا وقالوا :وحديث الترمذي بل قد يدور الخلاف على حديث ليس موجوداً إلا في الترمذي فكتابه كتاب

عظيم ليس هذا الكتاب كما يظن البعض أنه كغيره ولكنه كتاب حوى أشياء لم يحوها غيره وفيه من النكات واللطائف والغرائب والفوائد ما يكون إن شاء الله كفيلا لترشيحه وتقديمه على غيره نسأل الله بمنه وكرمه أن يعيننا على الإخلاص لوجهه وأن يكتب لنا التوفيق فيما نقوله وأن يعصمنا من الزّلل ،والله تعالى أعلم .

السؤال:

إني لا أجد بغيتي بسبب عدم توفر المشايخ الذين نطلب على أيديهم العلم وما الحل في ذلك ؟ أرشدونا فأنا في حيرة..؟؟

الجواب :

من الأمور التي تعين على تيسير العالم وطلب العلم على يديه الإخلاص .

إن الله - Y -يقول:{إِنْ يَعْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا}(١)وهذا وعد من الله Y -انتبه لنيتك وتفقد سريرتك{إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُمَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ }(٢) .

إن داخلك أنك تريد العلم للسمعة والرياء فقد يحرمك الله- Y - من التوفيق للعالم فلذلك ينبغي عليك أن توطن نفسك على الإخلاص وبقدر ما تخلص يقيض الله لك العالم ويقيض لك الكتاب ويقيض لك الوقت وييسر لك طلب العلم والانتفاع فلذلك أوصيك بإعادة النظر في نيتك

(١) / الأنفال ، آية :٧٠.

(٢) /الرعد ، آية :١١.

وإني والله لا أتهمك ولكن أعرف من سنن الله -جل وعلا- التي لاتتبدل ولاتتحول أنه ما صدق عبد معه إلا صدق الله معه .

والأمر الثاني : أن تعلم أن العلم ليس مقصوراً علىكون الإنسان لابد وأن يطلب العلم في بلده العلم لايتقيد فلو كنت مشغولا في أيام دراستك في المدرسة أو نحوها أو في الجامعة فاغتنم أيام العطل سافر إلى العلماء سافر إلى أهل العلم تغرَّب فينظر الله إليك وقد غابت عليك شمس يوم وقد غبرت قدمك في سبيل الله- Y -تسافر وتتحمل المشاق والمتاعب غيرك يتغرب لعلوم الدنيا ويسهر ويتعب وينصب في الفيزياء والكيمياء وغيرها من علوم الدنيا وأنت تطلب أشرف ما يطلب وأفضل ما يرغب هذه نعمة من الله- Y - أن الله- Y - يعينك على أن تطلب العلم بالتعب والنصب حتى يبارك لك فيه فتغرب كما تغرب من قبلك من الأئمة بدواوين العلم ولايمنع أن الإنسان يتغرب في هذه السنة شهراً أوشهرين ثم السنة الثانية شهراً أو شهرين حتى يبارك الله في علمه وأعرف أناساً يتغربون بالأسابيع فيتفق مع الشيخ على أنه يأتيه أسبوعياً يقرأ عليه في متن أو كتاب ويفرغ الشيخ له نفسه حتى يأتيه ويقرأ عليه في هذا القدر تطلب العلم على قدر طاقتك وإن تيسر وجود درس أو درسين في مدينتك تحرص عليه وتضبط هذا الدرس وتجعل كليتك لهذا الدرس حتى يبارك الله فيه ،والله تعالى أعلم

السؤال:

إذا تعارض طلب العلم مع بر الوالدين كأن لايسمح له والده بالتغرب لطلب العلم فبماذا تنصحون ..؟؟

الجواب :

هذه المسألة لها وجهان:

الوجه الأولى: إما أن يكون طلب العلم فرضاً على الإنسان فقالوا لايشترط فيه أذن الوالدين ؛ وذلك بأن يكون في موضع ليس فيه عالم والأحكام تعّم البلوى وتقع ويحتاج إلى من يفتي وإلى من يبين الأحكام ولا يوجد من يقوم بحجة الله على عباده في هذا البلد فحينئذ يتعين عليك أن تخرج وتحاول قد رالمستطاع أن ترضي والديك وأن تعلمهم أن هذه فريضة كما لو خرجت إلى حج الفريضة .

والوجه الثاني : أن يوجد غيرك ممن يمكنه القيام بهذا الحق أو يوجد علماء يقومون بالحق فطلب العلم هنا يعتبر ليس بفريضة ليس بواجب ولافريضة عليك فيقدم بر والديك على طلب العلم فتطيعهما وتتقي الله - Y - فيهما .

ومن أعظم الأمور التي تُعين على طلب العلم بر الوالدين ، ولذلك أذكر من الأئمة قال بعض العلماء وهو يكتب ترجمته لنفسه وقد بلغ شأواً كبيراً في علم الحديث والفقه كتب ترجمته ويقول لا أعلم عملا صالحاً أرجو من الله أن يتقبله مني بعد الإيمان بالله - Y - وفرائضه حافظت عليه مثل بري

لوالدي فأعانني الله به على طلب العلم حتى إن والدي توفي وهو في النزع يدعو لي بالعلم والعمل .

فبر الوالدين من أعظم الأسباب التي تعين على طلب العلم وتشرح صدر طالب العلم وتيسر له -نسأل الله العظيم أن يبلغنا بر الوالدين وأن يجعلنا من أهله- .

السؤال:

إن بعض الشباب في هذه الأيام إذا نزلت نازلة فإنهم يهرعون إلى أنصاف العلماء والخطباء ويزهدون في العلماء وفي الالتفات حولهم وفي التقيد بتوجيهاتهم فهل من نصيحة ..؟؟

الجواب :

ينبغي الرجوع إلى العلماء وينبغي سؤال من هو أهل لأن يسأل وقال العلماء : إذا سأل السائل من ليس بأهل للسؤال فأفتى على غير علم وعلى غير بصيرة فإن الله يجعل للسائل حظاً من أثمه ووزره.

لاتجوز المجالة في العلم إذا علمت أن الذي أمامك ليس من أهل العلم المشهود لهم بأنهم أهل للفتوى ولا أن يسأل فإنك إن سألته فأجاب على غير بصيرة كنت شريكاً له في الإثم-والعياذ بالله- ولذلك ينبغي على الإنسان أن يتقي الله فليس في العلم مجالة تبحث عن إنسان ترضاه حجة لك بين يدي الله- Y - تأتمته على دينك وتأتمته على دين الناس خاصة إذا كان السؤال يتعلق بغيرك لابد من الرجوع للعلماء وترك أصاف المتعليمن

وترك الجهال ولذلك قال الرسو ل - e - :((حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)) -نسأل الله السلامة والعافية -، لايجوز الرجوع إلى مثل هؤلاء بل ينبغي الرجوع إلى العلماء والتقيد بمثل هؤلاء الأئمة فإنك إن سألت العالم الذي هو أهلٌ أن يسأل فأفاد بكتاب أو سنة أو علم ثّم نقلت هذا إلى غيرك كان لك مثل أجره لأنك أعنت على طاعته وأعنت على بره ، والله تعالى أعلم

السؤال:

هل من كلمة توجيهه في كتابة الأسئلة ؟

الجواب :

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه أمَّا بعد :

في الحقيقة المجلس عامٌّ هُنَاك -ما شاء اللَّهُ لا قوةَ إلا بالله- من هُم من أهل العلم ، وهُناك من العَوامِّ ، وكلٌّ له حقٌّ ، فبالنسبة للأسئلة التي تتعلق بالحديث الذي سنذكره ينبغي أن تكون لها الأولوية. وإذا أشكل على طالب العلم أمرٌ في الحديث أو شرحِه فإنَّه يذكرُه .

ثانياً : إذا عُرِض عليك الحديثُ فالأفضل قبل أن تجلس في مجلس العلم أن تُهَيِّىءَ الأسئلة في ذهنك وتقرأ الحديث مرَّةً ومرَّتين وثلاثاً ، وتجعل عندك إشكالات تكون هذه الإشكالات مُرَتبةً في ذهنك وحبَّذا لو تكتب الأسئلة

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

قبل حضورك للدرس وتكون جاهزة ، ثّمَّ إذا جلست فإن وجدت جوابها سحبت كل سؤالٍ أو أزلته من ذهنك إذا زال إشكالُه ، وأمَّا إذا بقي تكون محتفظاً بهذا السؤال حتَّى يمكن الإجابة عنه .

هذا بالنسبة للأسئلة التي تتعلَّق بالدرس يُرَكَّز على الأسئلة المفيدة التي تكون إشكالاتٍ في محلِّها ، وإيراداتٍ في موضعها ويُقدَّم الأهمُّ فالأهمّ .

كذلك أيضاً هُناك جوانب أُخرى التي هي تطبيقٌ للحديث فالأسئلة إمَّا أن تكون عن الحديث ، أو تطبيقٍ للحديث فهناك أمورٌ جديدةٌ تطرأ تُعتبر من تطبيقات الأحاديث ، والأسئلة عن مثل هذه الأمور طيِّبةٌ لأنَّه رُبَّما أثناء الشرح لم يُستوفَ هذا الجانب فيكون طالب علم عنده عقليةٌ ناضجةٌ ، وفِكرٌ فاهمٌ ثاقبٌ يستطيع من خلاله أن يستجمع بعضَ الصُّور المعاصرة ، ويسأل كيفية تطبيق حُكم الحديث عليها .

مثلاً : أنت سمعتَ عن سُنَّةٍ مثلاً في الوضوء الوضوء في القديم قد يكون عن طريق الأباريق والأواني ؛ لكن الآن مثلاً الوضوء عن طريق الصنبور فكيف يكون فِعلُ بعض السُّنَنِ وتعاطيها ..؟ فهذه أمورٌ تكون تطبيقية خاصَّةً في أمور المعاملات كالبيوع ونحوها تحتاج إلى ذِكرِ النوازل والمسائل الجديدة التي جدَّت وطرأت .. كيف يُطَبَّقُ الحديث عليها..؟ هذه من أفضل الأسئلة لأنَّها تُكمِّلُ النقص الموجود في الشرح وخاصةً إذا كان الذي يسألُ عنها يُحدِّد نقاط الإشكال بتركيزٍ هذا بالنسبة للأسئلة التي في موضوع الدرس .

والأسئلة الخارجة عن الدرس لها أهمية ولها مكانها وتُعتبرُ في بعض الأحيان قد تكون الأسئلة التي تتعلق بالدرس قبل الوقت ، بمعنى أن الإنسان يسأل ويستعجل في السؤال ، فبعض طُلاَّب العلم يكتب السؤال ولا ينتظر الانتهاء من الشرح فرُبَّما كان جواب سؤاله في آخر الدرس ولذلك لا ينبغي الاستعجال في كتابة السؤال وإنما يكون عنده مِرْسامٌ وتكون ورقة خارجية يُعلِّقَ عن سؤالٍ ما ، وينتظر إن جاء جوابه في الشرح فبها ونعمت وإن لم يرد فإنه يكتب هذا السؤال ويُقدمُه هذا من الأمور التي ينبغي التنبه لها عن قضية الأسئلة التي يَتبين عدم وجود حاجةٍ لذكرها في الدرس .

أمَّا بالنسبة للأسئلة العامَّة فالأسئلة العامَّة تكون على نوعين :

منها ما تعمُّ به البلوى ويُحتاجُ إلى معرفة حُكم الله في هذه المسائل العامَّة ، فالسؤال عن الأمور المُهمَّة التي تعمُّ بها البلوى أفضل وأكمل ، ويحتسب السائل فإذا كتبتَ لشيخٍ سؤالاً عن مسألة تعمُّ بها البلوى تُريد أن تبين للناس حلالَها وحرامَها فإنَّك تُثاب وتؤجَرُ من الله- Y - ويكون لك مثل أجر هذا العالِم ؛ لأنَّه بسبب سؤالِك كان هذا العلم وكان هذا الخير وهكذا ينبغي لطُلاَّب العلم ، وكان بعض العلماء يُوصى بعض طُلاَّبه إذا جلس في المجالس العامَّة أن يسألوا عن أُمورٍ يحتاج إليها العامَّة وهذه نعمة ومنحة يُعطيها اللهُ لبعض طُلاَّب العلم فبعض طُلاَّب العلم مُوَفَّقٌ والذين يصحبون العُلماء ويلازمونهم وهم تلامذة العُلماء والمشائخ بعضُهم مُبارَكٌ

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ مُلهَمٌ فإذا جاء بين الناس أحسن أن يسأل الشيخ عن أُمور طيبة يستفيد منها أهل المجلس .

خاصَّةً بيان هَدْيِ رسول الله- Y - ، وتنبيه الناس في كيفية هديه-عليه الصلاة والسلام- ودعوهم إلى السُّنَّة ، وتحبيبهم فيها فهذا أمرٌ يعظُم أجره ويعظُم خيرُه لأنه لا سعادة للمسلم إلا باتباع رسول الله- e - والسَّيْر على نهجه ، فمثل هذه الأسئلة ينبغي على طلاب العلم أن يضعوها في المجالس العامَّة ، ولذلك من الرزيَّة أن تجد العالِم يحضر في مجمعٍ يكون فيه الناس ولا يستفيد منه أحدٌ ، ورُبَّما تجد القوم سكوتاً لا يسألون ، وإذا سألوا سأل عاميُّ عن سُؤالٍ ربَّما يكون يسيراً أو ليس بذاك السؤالِ.

والسبب في هذا تقصير طُلاَّب العلم فإنَّ طُلاَّب العلم وبعضُ مَنْ يصحب العُلماء والمشائخ في هذا الزمان يُفرِّط في حقِّ الصُّحْبة فمن حقِّ الصُّحبة أن تُعين العالم على أداء رسالته فتتخيَّر الأسئلة المناسبة والإشكالات الطيِّبة التي يستفيد منها الناس وإذا جلستَ مع العالِم وأعطاك العالِم حُبَّه ووُدَّه وأقربك منه وأدناك من مجلسه فاشكر نعمة الله عليك ، وقدِّم له الأسئلة المفيدة لتنفع الأُمَّة وتكون خير جليسٍ لهذا العالِم أمَّا أن يجلس طالِبُ العلم هكذا ويغترَّ بصُحبةِ العلماء ومرافقتهم وقضاء حوائجهم الدنيوية بغضِّ النظر عن إعانتهم على مسئوليتهم أمام الله- Y - بتبليغ هذه الشريعة وهذا الميراث النبوى فهذا أمر يفوت به الخيرُ الكثير .

الأمر الثالث في الأسئلة الأسئلة الخاصَّة والأسئلة الخاصَّة التي تشتمل على مشاكل تكون على نوعين :

إمَّا أن تكون مشاكل لا يحسُنُ ذِكرُها في مُجتمعات النَّـــاسِ ، ولا يحسُـــن بيانُها لأنَّها رُبَّما تنشُر فكرةً ليست بطيبةٍ لأنَّها حوادث قد تقع من بعـــض الأفراد ، فرُبَّما سمع إنسانٌ غريبٌ فيقول : سبحان الله ..!! النـــاس هُنـــا يفعلون كذا ! فيسوء ظنه بالناس ، وهذا يقع في بعض المحاضرات وبعـــض الندوات ينبغي أن يُنبَّه على بعض الأسئلة الخاصَّةٍ النادرة التي تُعطى فكرةً ليست بطيِّبة خاصَّةً عن بعض المُلتزمين .

يأتي إنسانٌ حديثُ عهدٍ بالتزام ويقول إنه يفعل معصيةً ما فيقـــول : أنـــا شابٌ مطيع ملتزمٌ وأفعل كذا وكذا ..!! مثل هذا السؤال بهذا الأسلوب يُسيء الناس به الظن بالأخيار والصالحين ما ذنبُ الأخيار والصالحين مِـــنْ هذا الرَّجُل الذي لا يحسبُ مثلُه عليهم لأنَّه ليس بإنسانٍ ثابت القدم على هداية الله- - Y ، وبعضهم يقول : أنا طالبُ علمٍ ويكونُ طالـــبَ علـــمٍ بالاسم حمل كتابَه وحضر الدرس دون أن يلتزم بحقوق طلب العلم ودون أن يلتزم بآداب طلب العلم فيأتي ويقول في السؤال : أنا طالبُ علمٍ أفعل كذا وكذا ..!! هذا لا يليق ..!! ينبغي التحفظ في مثل هـــــذه الأمور ، والدقة والتحرِّي في الأسئلة لئلا يُساء الظَّنُّ-ونسأل الله العظيم أن يعصمنا من الزَّلل ، وأن يُوفِّقنا في القول والعمل- .

السؤال:

هذه الدروس وهذه المواد الشرعية تحتاج إلى جهدٍ وصبرٍ. وقد ضربت لنا أمثلةً في أثناء كلامك في بداية هذا الدرس على ما تلقَّـــاه العلمـــاء ومـــا تحمَّلُوه في سبيل جمع هذا العلم وحفظه، وبعد ذلك نشره ، وهذا المسلك وهذا الطريق هو هو للأولين وللمتأخرين لمن أراد أن يسلُك ســـبيلهم،وأن ينتفع بجُهْدِهم ، وأن ينتفع كما انتفعوا من قبل فهل من كلمةٍ توجيهيةٍ لنا ولإخواننا في هذا الموضوع تُذكِّرُنا فيها بما ينبغي في مثل هذه الدروس من الصبر والتحمُّل وسعة البال وسعة الصدر، وخاصَّةً في مـــواطن الخـــلاف ومواطن اختلاف العلماء-رحم الله الجميع-..؟؟

الجواب :

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آلـــه وصـــحبه ومن والاه أمَّا بعدُ:

فهذا السؤال- في الحقيقة- من الأهمية بمكانٍ خاصةً بالنسبة لبعض الإخوة الذين يُشَوِّشُ عليهم ذِكرُ الأقوالِ والأدِلَّةِ والرُّدود والمناقشـــات ، ولـــو كانوا من طُلاَّب العلم قد يكونون مُبتدئين ، ولذلك رُبَّمـــا يكـــون مـــن الصعوبة بمكان عند تعرُّضنا لخلافِ العلماءِ وأدلتِهم ، وأقوالهم ، والراجح منها ، وكيفية الترجيح قد يسأم طالبُ العلم ولذلك أُوصيكم ونفسي بعد تقوى الله- Y بالصبر .

هذا الكتاب(كتاب الترمذي) ابتدأ الوالدُ-رحمةُ الله عليه- به وكنــتُ في الثانية عشرة تقريباً وجلستُ في مجلسه وهو يذكر أقوال العلماء والــردودَ والمناقشات والأدِلَّة ، وكنتُ لا أفهم وكانت المجالس الأولى لم أستفِدْ منها إلاَّ القليلَ الواضح ؛ لأن كان درسه كان مُرَكَّزاً ويخاطِبُ به أكثــرَ مــا يُخاطِبُ طُلاَّب العلم ثّمَّ شاء الله- - Y وما مكثتُ أســبوعين تقريبــاً أو ثلاثة إلاَّ وقد تعاملتُ مع هذه النصوص وفهمتُ وأدركتُ وهذه رحمةٌ من الله- Y يرحم بها عبادَه بمُجَرَّد ما تحضر دروسَ العلم التي فيها دَسامةُ مادَّةٍ ، وصعوبةٌ في الأقوال والأدِلَّة فقبل العشاء رُبَّما أنَّ الــبعض اســتغرب ، ورُبَّما جلس وقد لا يكون استفاد إلاَّ القليل ؛ لكِنْ إذا شاء اللهُ وصــبرْتَ وتحمَّلتَ سيأتي يومٌ من الأيام وإذا بهذه العلوم كأنَّها طعامٌ لك وشــراب ، ويُيسِّر لك من أمره-- Y ما يكون سبباً في انتفاعِك ، وفي بعض الأحيــان رُبَّما تجلس مَجْلِسَ عِلْمٍ وتفهم جميعَ ما يُقال ، ويغتــرُّ الإنســان بفهمــه فيسلبُه الله بركةَ العمل بذلك العلم ، ولرُبَّما تجلس مجلساً لا تفهم منه إلاَّ القليل ويضع الله لك البركة فينتفع بهذا القليل منك أقوامٌ وفئامٌ .

فأحسِنْ الظَّنَّ بالله ما دامت نيَّتُك صالحةً ، وما دام أنَّ النَّــاس في الــدُّنيا وأنت في الآخرةِ ، والناس يُقبِلون على تجارة الدُّنيا وأنت مُقْبِلٌ على تجارةِ الآخرة وتخرُج من بيتك وأنت تستشعر قول المصــطفي-عليــه الصــلاة والسلام- : ((من سلك طريقاً يلتمس فيه عِلماً سهَّل اللَّهُ له به طريقاً إلى الجنَّة)) فلن يُخيِّبك الله وبإذن الله سيفتحُ اللهُ لك من رحمتِه .

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

كُنَّا والله نجلسُ ونشهدُ لله - - Y كُنَّا نجلسُ وما نعلمُ ، وكُنَّا نجلس ومــا نفهمُ ولكنَّ الله علَّمنا وفهَّمنا ووهبنا من فضله وهو- سُبحانَه- ذو الفضل العظيم ، فنحمده-. - Y .

أحسنْ الظَّنَّ بالله- - Y ولو لم يكُنْ إلاَّ أنَّك تجلس في مجلسٍ تغشاه الرحمة وتنــزل عليه السَّكِينة ويذكرُ اللهُ أهلَه لكفي ولو لم يكُن إلاَّ مجلساً يقــول اللهُ- - Y فيه في الحديث القُدُسيِّ : ((وجبتْ محــبتي للمتجالســين في ، والمتزاورين في ، والمتحابِّين في)) فلو لم يكُن إلا أن تجلس في هذا المجلــس الذي يقول الله-تعالى- في الحديث القُدُسيِّ : ((وَلَهُ قد غفرتُ هُمْ القــومُ لا يشقى بهم جليسٌ)) فلنحمد الله-تباركَ وتعالى-هذا حديث رسول الله- - Y وتتسِّع صدورنا، وينبغي للإنسان أن يُهيِّيءَ لنفسه موضعاً في كُــلِّ مجلس علمٍ فإن كان في بداية الطلب أخذ خُلاصة الأقوال واكتفــي بمــا يستطيع أن يكتفي به ، فلا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلا وُسعَها ولا يأخذ العُمْق إذا كُنْتَ في بداية الطلب لا تتعمَّقْ ، ولذلك قال-تعالى- : {وَلَكِنْ كُونُــوا رَبَّانِيِّينَ}[آل عمران ، آية : ٧٩] قالوا : إنَّ العالِم الرَّبانيَّ الذي تعلَّــم صغار العِلْم قبل كِباره قال بعضُ السَّلفِ : أن يأخُذ صِغارَ العلــم قبــل الكبار فمثلُ هذا ينفع اللهُ به ويفتح اللهُ عليه من رحمته ، ومن الآن تُجنِّــدُ نفسك أنَّ فضلَ اللهِ عظيمٌ ، وأنَّ الله- - Y كما علَّم آدم وفهَّم سُــليمان يُعلِّمُك ويُفَهِّمُك وقال الله يخاطب نبيَّه :{ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً}[طــه ، آية : ١١٤] العلم علمُه- - Y ، والفهم من الله- - فلــذلك ينبغــي

عليك ألاَّ تسأم ولا تملَّ ؛ لكِنْ المنهجية.. إن كُنتَ في بداية الطلب والمسألة خلافية أوصيك بثلاث جُزئيَّات :

الجُزئية الأُولى : أن تفهم عن أي شيءٍ تتكلَّم هذه المسألة الذي هو التصوُّر. تحاول عند حكاية الأقوال وشرح الأقوال أن تفهم ما هي هذه المسألة عن أي شيءٍ تتحدَّث عن جواز الشيءِ وحُرْمتِه ..؟! أي تفهم .

ثُمَّ بعد ذلك تترك الأقوال من الذي قال ؟وحجتُّه ، ودليلُه إلى أن تأتي إلى الرَّاجح فتنظر إلى القول الراجح وتأخذ دليله إذا كنت لا تستطيع أن تُدْرِكَ بعُمقٍ .

فهذا أمرٌ يسعُ الإنسانَ المُبتدىءَ اليوم تبدأ بهذه الطريقة وتستمرُّ عليها الأسبوع الأول والأسبوع الثاني تبدأ بكتابة ورقة .. رؤس أقلام تذكر فيها ثم ترجع وتسمع الشريط مرَّةً ثانيةً وثالثةً .

الأسبوع الثاني تضبط ، الأسبوع الثالث وإذا بك أصبح الفهمُ لرؤس الأقلامِ عندك سجيَّةً وإلْفَاً ، فتصبح تفهم شيئاً زائداً عن الفهم ، وهذه فتوحُ اللَّهِ على طالب العلم .

يبدأ أوَّل ما يبدأُ بالقليل فإذا علم اللَّهُ من قلبه الخير والإخلاصَ وإرادة وجهِهِ فتح له بالكثير ، حتَّى يُصبحَ يجلسُ المجلِسَ فيه المُطَوَّلات والمناقشات والأقوال والرُّدود فيخرج وقد جمع علماً كثيراً وخيراً كثيراً بل لرُبَّما يجلس في المجلس بعد أن اعتاد يستطيع إذا ذُكر الدليلُ أن يعرف كيف يستدلُّ صاحب القول قبل أن يُذكَرَ وجه دِلالته وهذا مُجَرَّبٌ ومُشَاهدٌ ؛

ولَكِنْ وطِّنْ نفَسك بالإخلاص ، وبقوة العزيمة ، ولا تسأمْ وأوصى طالِبَ العلم -خاصةً ونحن في بداية الكتاب أي شيءٍ تجدُه في قلبك من السآمة والملل وسوء الظَّنِّ.. وهذا شيءٌ صعب .. وهذا شيءٌ .. كلهُّ من الشيطان والنفسِ الأمَّارةِ بالسوء وأي شيءٍ وجدته سيفتح اللهُ يُيَسِّرُ اللهُ .. إن شاء الله يُعينُ الله أنا أبذلُ ما أستطيع .." يكون من لَمَّة المَلَك ، وإذا بالله- Y - يكون عند حُسْنِ ظَنِّك فإن ظننتَ به خيراً كان لك منه من الخير ما يكون فوق الحُسْبَان ولذلك يقول اللَّهُ- Y - إنْ يَعْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْراً}[الأنفال ، آية : ٧٠] ، فلذلك لا تَقُل : أنا عامِّي ، ولا تقُل: أنا ما أعرف .. لستُ من طُلاَّب العلم . لا ..!! أنت طالِبُ عِلْمٍ في كُلِّ شيءٍ تفهمه وأي حكمة تتعلَّمُها فأنت طالِبُ عِلْمٍ لأنك تحتاجها ، وطالبُ العِلمِ لا يختصُّ بإنسانٍ مُعيَّنٍ مُفَرَّغٍ تمام التفرُّغ لطلب العلم قد يكون الإنسانُ طالبَ عِلْمٍ وهو حدَّاد.. وهو نجَّار، وقد يفوق طُلاَّب العلم المُتفرِّغين لطلب العلم بإخلاصِه وجدِّه ومثابرته وصدق عزيمته .

الشاشي القفَّال إمامٌ من الأئمة وديوان من دواوين العلم قويُّ الباع في الفقه كان آيةً في الفقه ؛ والسبب أنَّه كان يصنع الأقفال وجاء إلى الخليفة فأوقِفَ بالباب ومُنِع من الدخول ، ثُمَّ دخل رجلٌ فقال : من هذا..؟! قالوا : هذا عالِمٌ ثُمَّ دخل ثانٍ قالوا : هذا قاضٍ فسأل : ما هذا .؟ قالوا : هؤلاء أهل العلم فنظرَهم يدخلون بدون استئذان ، يُجَلّون ويُكرمون ، فأحسَّ بقدر العلم فأقبل على العلم بعد الكِبَر ، وفتح اللهُ له من أبواب

رحمته حتَّى أصبح من دواوين العلم ، وتمَّنيُذكر في قوة الفقه وسعة الباع ، وله في علم الخلاف الفقهي كتبٌ نفع اللّهُ بها كثيراً ، فلذلك لا تقف عند حدٍّ وذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء ، وأعرفُ من كان طبيباً ومن كان مُمرضاً بعيداً عن العلم حتَّى سبحان الله ..!! فتح الله عليه وأفاض عليه من خيره حتَّى نفع الَّلهُ به وانتفع ، العلم لا يقف عند حدٍّ ذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء - فنسأل اللّه العظيم أن يُؤتينا وإيَّاكم من فضله ، وأن يرزُقَنا مِنْ واسع رحمته - ، والله تعالى أعلم .

السؤال :

النصيحة في الشرح المناسب الذي يَتْبَعُونه معكم في سُنَنِ الترمذي ؟

الجواب :

سُنَنُ الترمذي لها شُرُوح منها المخطوط ومنها المطبوع والشرح الذي كمل وطبع وموجودٌ هو : عَارِضة الأحْوَذِى بشرح سُنَنِ الترمذي للإمامِ أبي بكر ابن العربيِّ-رحِمَهُ الله عليه- الفقيه المشهورِ هذه العارضة موجودة ومطبوعة وبالنسبة للمتقدمين ليس هناك شرحٌ للترمذىِّ إلاَّ هذا الكتاب وتوجد " تُحفة الأحوذِى " للمباركفوري-رحمه الله- أيضاً شرحٌ نفيسٌ وقد أجاد فيه وأفاد-رحمة الله عليه- وتجرَّد للنصوص والحق-رحمة الله عليه- ، وكذلك أيضاً شرح الإمام ابن العربي جاء فيه بنفائسَ في المعاني واللُّغات وكذلك في الأحكام ، أجاد وأفاد ، وهناك شروحٌ مخطوطةٌ

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

للكتاب طبعاً مثل شرح ابن سيِّد النَّاس "المُنَقَّحِ الشَّذِى بشرح سُنَنِ الترمذي" ولكنَّه تُوفي ولم يُكمِله ، وأكمله الحافِظُ العراقيُّ-رحمه الله- ، وهناك شرحٌ للحافظ ابن حجر ، وشرحٌ للحافظ ابن رَجب وهذه كلُّها مخطوطاتٌ ، وبالنسبة للشرح الموجود إمَّا للشرح المتقَدِّم لابن العربى ، أو الشرح المُتأخِّرُ المباركفورى وهذان الشرحان عظيمان أيُّهما أخذت فيه الخير والبركة ؛ ولَكِنْ يُفضَّل دائماً إذا وجدت شرحاً قديماً وشرحاً مُتأخِّراً أن تبدأ بالقديم وذلك لأنَّ عِلْمَ القُدماء فيه فوائدُ كثيرةٌ إنَّ عِلمَهم كان فيه اختصارٌ مع دِقَّةٍ ودَسامةٍ في المعنى ودِقَّةٍ في التعبير والألفاظ مع وُجودِ ورَعٍ وتحفُّظٍ

وكذلك أيضاً هذه الكُتب- التي هي كتب المتقدمين- أُلِّفت في أزمنة الأئمة ، واطَّلَع عليها العلماء وأقرُّوها ، بل رُبَّما عقَّبوا أو بيَّنوا أموراً فيها ، فتجد فيها ما لا تجده في غيرها مع ما للقوم من إخلاصٍ ظهر أثرُه في بقاء كُتُبهم وانتفاع المسلمين بها والكتابُ إذا عُرف صاحبه بالإخلاص فكثيرٌ نفعُه ، وكثيرٌ خيرُه وما يضع الله- - Y -فيه من النفع ، ولذلك بقدر ما تستطيع تحرص على كُتُب المتقدِّمين وأعرف من الزُّملاء في طلب العلم من كان حريصاً على كُتُبِ المتأخِّرين ، وكان الوالد-رحمة الله عليه- يقول لي : أوصيك - قدر المستطاع - ألا ترجع إلا لكتب المتقدِّمين ، فإن الله ينفع بعلمك ، وأيضاً يُعينُك على الفهم وتأخذ الشيءَ من معدنه وأصله ، ومن معينيه الصافي الذي لا كدَرَ فيه فتجدُ من يأخذُ من كتب المتأخرين عبارته

ضعيفة ، وفهمه سقيم ؛ لأنَّه يحاول أن يأخذ الواضح فقط وهذه الآفة التي ابتُلي بها كثيرٌ -إلاَّ من رحم الله- في هذا الزمان ، يبحثون عن الكتب الواضحة، ويشتغلون بكتب المتأخرين عن كُتُب المتقدمِّين ؛ لكن كتبُ المتقدمين أبرك وأنفع ، فإنَّك إذا قرأت كتاباً عبارتُه دقيقةٌ وأصبحتَ أثناء القراءة تُحاول الفهم تفاعلت مع الشرح ، وأصبحت عندَك مَلَكَةٌ في الفهمِ ، فتقرأ شيئاً يجذبُك وشيئاً تحتاج إلى فكِّه والتفاعل معه ، فإذا فككت الرُّموز أحسستَ بلذَّةِ العلم ، ولذةِ الأثر والظفر فعندها تتقوَّى العزيمة ؛ لَكِنْ إذا جاءَك الشيءُ سهلاً مُيسَّراً فإنَّك تألفُ الشيءَ السهل المُيَسَّرَ ، فإذا وقفت أمام المُعضِلاتِ والمشكلاتِ لا تَحيرُها جواباً ، ولا تُحسنُ فيها المخرج ولكنْ كتبُ المتقدمين على خلاف هذا ، فإنَّك تجدُها دقيقةً مُركَّزةً ، ولذلك تجد من يعتمدُ كتبَ المتقدِّمين في فتاويه يتأثر .. في عباراته يتأثَّر .. في شرحه يتأثر .. كلُّ شيءٍ تجده يقوله في العلم يتأثرُ بأسلوبه وبالشيخ الذي أخذ عنه قديماً أو حديثاً فلذلك يُوصى بالرجوع إلى كُتُب المتقدَّمين، وهذا حقُّهم علينا ، وهم الأصل وغيرهم فرعٌ ، ولذلك يُستَقَى من المعينِ الصَّافي ما أمكن وما استطاع الإنسانُ إلى ذلك سبيلاً حتَّى يأمن من التحريف ، ويأمن مِنْ حمل الألفاظ على غير معانيها ونحو ذلك من الأخطاء التي قد يقع فيها بعضُ مَنْ ينقلُ كلام المتقدمين ، والله تعالى أعلم .

السؤال:

كيف يُمكنُني أن أُصبحَ طالبَ علمٍ، وأستفيد من دروس العلماء ..؟؟

الجواب:

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أمَّا بعدُ :

فهنيئاً لك بنعمة الله وما أسدى إليك من الخير والفضل ، فإنَّ الله لا يهب الهداية إلا لمن أحبَّ ، فإنه يُعطي الدنيا لمن أحبَّ وكره ولكنه لا يُعطي الدين والهداية إلا لمن أحبَّ فإذا أعطى اللّهُ الهداية لعبده وأراد أن يزيده من فضله شرح صدره لطلب العلم ، وشرح صدره لحب العلماء وغشيان حِلق الذكر فأصبح منهوماً لا يشبع يبحث عن كتاب الله وسُنَّة رسول الله - r - وهَدْيِ السلف الصالح وما كانوا عليه من الخير والبرِّ والإحسان والطاعة والاستقامة على دين الله - U - فالحمد لله الذى هدانا وهداك ، وأوْلانا وأوْلاك ، فاشكر الله على نعمته حتَّى يتأذن لك بالمزيد.

أمَّا ما سألت عنه :كيف تستفيد في حِلَق الذِّكر :

فأوَّلاً: أخلِص للَّه- Y -فإن الله يشرح صدرك ويُنوِّر قلبك ويفتح لك من أبواب فضله ما أردتَ وجهه:{ إِنْ يَعْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً}(١) فإذا علم الله أنك خرجت من بيتك تريد أن تتعلمَّ سُنَّة رسول الله - r - وأن تعلم ما الذى أمرك الله به فتأتمر ، وما الذي نهاك عنه

(١) / الأنفال ، آية : ٧٠ .

فتنكفّ وتنــزجر فأنت على خير وأنت على برٍّ إذا أردتَ وجه اللَّــه - Y -.

أمَّا الأمر الثانى : فأوصيك بالجِدِّ والاجتهاد وأنت في حِلَق العلــم وحِلــق الذِّكر لا تفوتُك سُنَّة ولا تفوتُك حكمة .. تُدَوِّن ، وتكتــب ، وتحفــظ ، وتضبط ، وتصغى ، وتُنصِت فإذا وفَّقك الله لذلك جمعت الخــير وكــان القلبُ لهذا العلم كالأرض الطيِّبة يُصيبها الغيثُ النافع فتنتفع ما شــاء الله لها أن تنتفع .

فأصغِ إلى العلم ، وأقبل عليه بقلبك وقالبك ، ولا تشتغل بأيِّ شيءٍ وأنت في مجالس العلم حتَّى يُعظِم اللَّهُ منك هذا الإقبال فيوفقك ويسدِّدك وتصيب من العلم أفضل ما يصيبه طالبُ علمٍ .

الوصية الثالثة : تبحث عن طالب علمٍ يُعينك على طلب العلم تبحث عن اثنين أو ثلاثة من الإخوة الصالحين الذين إذا ذكرت الله أعانوك ، وكذلك ثبَّتوك فتحرص على طلب العلم معهم وتكون رفيقاً لهم في هذه المجــالس الطيِّبة التى تستفيد منها .

كذلك أيضاً ينبغي: أن ينعقد قلبُك على حُبِّ العلــم والعلمــاء وأئمــة السلف ، أمواتُهم تحبُّهم وتجلُّهم وتتمنَّى أن تكون مثلهم في الخير والطاعة والبرِّ ، فإنَّ الله ينفعك بهذا كُلِّه فإنَّ الإنسان إذا أحبَّ العلماء رزقــه الله الاهتداء بهم. ولو لم يكن في حُبِّ العلماء والأئمة من السلف الصــالح إلا قول النبي - r -:((مَنْ أحبَّ قوماً حُشِر معهم)) لكفى ولذلك لما جــاء-

كما في الصحيح من حديث أنس - الأعرابيُّ إلى رسول الله- r - وقال : يا رسول الله الرجل يحبُّ القوم ولَمَّا يلحق بهم ..؟ فيحب الصالحين ويحب العلماء ويرى نفسه دون ذلك .. يرى أنَّه ليس عنده العلــم والصــلاح الذى بلغه هؤلاء الأخيار فقال- r -:((أنت مع مَنْ أحببْت)) ، قال أنسٌ : " ما فرح أصحاب رسول الله- r -بشيءٍ بعد الإسلام مثــل فــرحهم "بقوله-عليه الصلاة والسلام-:((المرءُ مع مَنْ أحبَّ)) وذلك أنَّهم كــانوا يحبُّون النبي- r -ويُحبُّون السُّنَّة فمن أحبَّ العلماء رزقه الله الاهتداء بهم ورزقه الله الأدب معهم والإجلال لهم والإكبار والاحترام والتقــدير لهــم والعمل بما يقولون ونشر علمهم بين الناس.

كذلك أيضاً أوصيك : أن تعمل بما تعلم ، فإنَّ مَنْ عمل بما علم ورَّثــه الله علم مالم يعلم . فإذا نظر الله إليك لا تسمع بسُنَّةٍ عن رسول الله- r - إلا عملت بها ودعوت إليها وفَّقك وعظَّم أجرك في العلم وهذا هــو النفــع الذى سأل رسولُ الله- r - ربَّه أن يُبارِكَ له في علمه وأن ينفعه به فمــن نفع العلم ومن آثاره الطيبة المباركة على العبد أن يعمل بما علم فإذا عمل الإنسان بما علم ورَّثه الله علم مالم يعلم وقالوا في الحكمة : هتــف العلــم بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل.

أمّا الوصية الأخيرة : التي أُحِبُّ أن أوصيك بها فهى كثرة المراجعــة ، ولا تملّ ولا تسأم ولا تتذمر ولو جلستَ في مجلس العالِم فلم تفهم إلا حكمــة واحدة فهى خير ، واصبر فإنك في بدايةِ الطريق وبدايةُ الطريق صــعبة ،

ولذلك رُبَّما يجد الإنسانُ السآمة والملل حينما يجد الأدِلَّة والأقوال وتتناثر عليه الحجج فيصعب عليه ضبطها ؛ ولكن رُوَيْداً رويداً فقد جلسنا في مجالس العلماء ولم نعِ كثيراً مِمَّا قالوه حتَّى فتح اللّهُ من فضلِه ويسَّر لنا مِن عظيم رحمته.

فلذلك اصبر فإنَّ اللَّه - U -يُصبِّرُك ويعينك ويثبِّتُك ولخِّصْ ما تسمع ، وحاول أن تحفظ هذا الذى تُلخصه ، ولا تقوم من مجلسٍ إلا وقد سجَّلت وكتبت فوائد مُعيَّنة ، ثُمَّ بعد ذلك تراجعها مع مرور الزمان حتَّى يُبارك اللَّه لك في علمك ، -وأسأل الله العظيم كما أحببتنا فيه أن يُحبَّك ، وأن يجمعنا بك في جنته ودار كرامته إنَّه ولِّيُ ذلك والقادر عليه - ، والله تعالى أعلم .

السؤال:

إنَّ من أجلِّ القُرُبات طلبَ العلم الشرعى الذي نسأل الله - U - أن يجزيكم خيراً على تعليمكم إياه ؛ولكن قد ينتابنا الكسل والملل أحياناً ، فهلا شحذتُم لنا الهمم ..؟؟

الجواب:

لا يُكرم اللّهُ إنساناً بطلب العلم إلا وهو يُريدُ به الخير ، قال - r - :((من يُرِدِ اللَّهُ به خيراً يُفقِّهْهُ في الدين)) ومن خرج إلى حلق العلماء ورياض العلم فإن الله -تعالى- وعده أن يسلُك به طريقاً إلى الجنة قال - r -:((من

سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)) يقول بعض العلماء : ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً)) قالوا : لو لزم عالماً من العلماء أو درسَ علمٍ أو مجلسَ علمٍ وهو يريد وجه الله محتسباً الثواب عند الله - U -فإن الله يفتح له باب رحمةٍ ينتهي به إلى الجنة إن عاجلاً أو آجلاً ، يفتح الله له باب عبادة .. يفتح الله له باب جدٍّ واجتهادٍ في طلب العلم حتى يصير إماماً من أئمة الدين ، يفتح الله له باب قضاء ، باب فتوى إلى غير ذلك من أبواب الخير يفتحُها عليه حتى يكون من أهل الجنة ، هذه رحمة يريدها الله بمن خرج من بيته يُغبِّر قدمه لطلب العلم فهنيئاً ثم هنيئاً لمن شرح الله صدره ووفَّقه للإخلاص لوجهه الكريم .

أمَّا ما ينبغي على الإنسان :

أولاً : أن يحمد الله ويشكره أن يمضى عليه الوقت وهو جالسٌ في حِلق العلم ، وأن يستكثر من الله ويستعظم من الله هذه النعمة فإنك كلما حمدتَ نعمة الله - U -شكرك ، فإن الله يشكر من شكره ويجزى من شكره ، ويعظِم الأجر لمن ذكره ، فإذا أصبحت القلوب تُعظِّمُه وتُعظِّمُ نعمَه أنزل فيها البركة وأنزل فيها الخير وأصبح طلبُ العلم حُجَّةً لك لا عليك .

أمَّا الأمر الثاني : الذي ينبغي على الإنسان أن يكون على إلمام به إذا طلب العلم : أن يعلم أن لهذا العلم فترات وهنَّاتٍ ومصاعب وأذِيَّة ، ولذلك يُؤذَى في نفسه ، ويُؤذى في زوجه وولده فمن أذيَّته في نفسه أن الشيطان

يأتيه ويقول له: من أنت حتى تطلب العلم ؟ ومن أنت حتى تقرأ ؟ وهـذا الدرس فوق علمك وفوق فهمك .. ولا حاجة أن تجلس في هذه المجالس التي لا تستطيع أن تفهم كل ما يقال فيها ، يُثبطه الشيطان بكل ما يستطيع فإن قال : أجلس ، ولو لم يكن في جلوسي إلا أن الله- تعالى-يرحمني لكفى .

ولا شكَّ أنه سيجلس المرة الأولى والثانية والثالثة حتى يأتي يومٌ من الأيام لا يَحرِم من المجلس حرفاً واحداً .

وقد كُنَّا في بداية الطلب نجلس مع العلماء لا نفقهُ كثيراً مما يُقال ولا كثيراً مما يذُكر حتى رحمنا الله برحمته ، فهو الذي يُعلِّم ويُفهِّم - I - فإياك أن يُخَذِّلك الشيطان في نفسك .

الأمر الثالث : أنه يُخذِّل الإنسان في أهله وولده ، فيأتيه الزوجة.. ربما تشغله بالمشاغل .. وربما يشغله الأبناء والبنات ، فينبغي أن يُخصِّص للعلم وقتاً لا ينشغل فيه بغيره ، وأن يكتحل السهر من أجله ، وأن يبذل كل ما يستطيع فإنَّ العبد إذا أرَى اللهَ من نفسه الخير والحرص في طلب العلم أراه الله حُسْن العاقبة .

ولذلك انظر إلى ما جعل الله للعلماء من الحب والكرامة والذكر الحسن والثقة ، حتى إن الناس تثق بفتاويهم وتنقلها في الآفاق وتسير بها الركبان ، قال العلماء : هذا عاجل ما جعله الله لأهل العلم فقد ضحوا في طلب العلم فأكرمهم الله بعاجل ذلك في الدنيا ، ولَمَا ينتظرهم عند الله أكبر .

وكان بعض العلماء يقول : ما تعب أحدٌ في طلب العلم إلا نزلت البركة في علمه أكثر فكُلَّما كان تعبك في طلب العلم أكثر كلما كان أجر الله لك أعظم وكُلَّما كان التوفيق لك أكثر .

وكانوا يأخذون من قصة الوحي دليلاً على هذا : فإنَّ جبريل لما أراد الله- U -أن يُوحي الى نبيه أخذه وغطَّه حتى رأى الموت ، قالوا : هذا يدل أن بداية طلب العلم فيها التعب والنصب والشقاء والعناء والتغرب عن الأهل والأوطان والسهر وغير ذلك من المشاق والمتاعب .

ثُمَّ الوصية الرابعة التي أُوصي بها : العمل بالعلم وإياك ثم إياك أن تستقلَّ من العلم شيئاً فأي شيء من سُنَّة النبي - r -تعمل به .

ويكون المجلس طيلة المجلس على البول قائماً وقاعداً فتقول: ظفرتُ بهذه السُّنَّة !! وكان الرجل من الصحابة يسافر ويتغرَّب من أجل حديث عن رسول الله- r - ، وخُذْها سُنَّة ، وإيَّاك أن تحتقر ، فإن أناساً فاتهم العلم بسبب الاحتقار ، ويقول : أُضيع الساعات من أجل حكم البول قائماً أو قاعداً ..؟؟

تقول لا العلم تعطيه من الإجلال والهيبة والإكرام ولو كانت كلمةً واحدةً ، ولو كانت حكمةً واحدةً ، فلعلَّ الله - r -أن يوفقك بهذه الحكمة لخير لم يخطر لك على بال .

وكم من مسائل أخذناها من العلماء ماكُنَّا نظن أنها تبلغ ذلك المبلغ جعل الله فيها من الخير ما لم يخطر لنا على بال فلا تستقلّ من العلم شيئاً ،

فلرُبَّما هذه السُّنَّة في البول قائماً أو قاعداً تفصل فيها بين اثـــنين ، ولرُبمـــا تُصلح فيها بين مُتخاصمين ، ولرُبَّما تُذكِّر بها أمة فتعمل بهذه السُّنَّة تكون في ميزان حسناتك .

فإياك أن تستقلّ من العلم شيئاً تتفانى في حب هذا العلم ، والبحث عنــه والبحث عن كل صغيرة وكبيرة ، وتُجلُّ كل ما يكون منـــه -أســـال الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يجعلنا هُدّاةً مُهتدين ، غيرَ ضالين ولا مُضلين ، وأن يُنـــزِل الخير فيما وهبنا من العلم ، وأن يجعله حُجَّةً لنـــا لا حُجَّـــةً علينا - .

السؤال:

إذا أراد الإنسان العمل بمسألة خلافية قال بعض العلماء فيها يتخير وقـــال آخرون يأخذ بالأيسر لأن الشريعة مبناها على اليســـر والســـهولة ولأن الأصل براءة الذمة وقال غيرهم يأخذ بالأشد لأنه أحوط ولقول الـــنبي - r -:((دع مايريبك إلى مالايريبك)) وقوله - عليه الصلاة والســـلام -:((فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقـــد وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمـــى يوشـــك أن يرتـــع فيـــه)) ، ماالصحيح فضيلتكم من هذه الأقوال..؟؟

الجواب:

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصـــحبه ومن الاه أمابعد :

المنبغي عند الخلاف الرجوع إلى كتاب الله وسنة النبي - r - وهذا هو أمر الله - Y - في كتابه المبين:{ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ }[1] وأمرنا بالرد إليه - Y - والرد إلى رسوله -صلوات الله وســـلامه عليـــه- وقال العلماء الرد إلى الله رد لكتابه والرد إلى رسوله رد إلى ســـنته بعـــد وفاته والرد إلى الكتاب والسنة يقولون الرجوع إلى أهل العلم وحينئذٍ إذا وقع الخلاف أمام المكلف فلا يخل المكلف من ثلاث حالات :

الحالة الأولى : أن يكون مجتهداً بمعنى أنه يحســـن النظـــر في الأدلـــة والأقوال وتمييز القوي منها من الضعيف فحينئذٍ يجب عليـــه أن يبحـــث المسألة وأن ينظر في أقوى الدليلين وأقوى الحجتين فيعمل به ويعتذر لمـــن خالف بدليله ولا يجوز له في هذه الحالة أن يقلد أحد العالمين أو يسير على أحد القولين تخييراً لأن الله أوجب عليه الاجتهاد ولا يجوز له أن يترك يقين نفسه لظن غيره .

الحالة الثانية : أن يكون عامياً لايفقه ولايعرف الدليل الصـــحيح مـــن الضعيف ولا يحسن النظر في أقوال العلماء أحياءهم وأمواهم فـــإذا كـــان عامياً فالأصل في الإنسان أن يبحث عن عالمٍ ويرضى به حجة بينه وبين الله عن عالمٍ عامل بكتاب الله وسنة النبي - r - مشهود له بالنبوغ في علمـــه

---

[1] / الشورى ، آية :.١٠

فإن شهادة الناس حجة كما قال- r -:((أنتم شهداء الله في الأرض)) فمن وضع الله القبول في علم العقيدة رُجع إليه في العقيدة واعتبر حجة فيها مادام أنه يتكلم بكتاب الله وسنة النبي- r - ومن وضع له القبول في علم الحديث فهو عالم الحديث ومن وضع له القبول في علم الفقه فهو عالم الفقه وقس على هذا فيرجع إلى كل عالم في علمه فإذا وجدت عالماً يوثق في دينه وعلمه والتزمت فإنك تلتزم قوله بالدليل والعامي يلزمه الرجوع إلى هذا العالم لقوله-تعالى-: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [١] فهذا العامي لايعلم فإذا كان لايعلم فيلزمه أن يرجع إلى أهل العلم فإذا رجع إلى أهل العلم لايتذبذب ؛ والسبب في وقوع اللبس في مثل هذه المسائل أنهم يختاروا أكثر من شيخ ويأخذوا بكل شيخ فتجده كلما سمع فتوى عمل بها المنبغي أن يكون له عالم عامل عرفه بكتاب الله وسنة النبي- r - فيسأله عن حلال الله وحرام ويلتزم بقوله ويسير على منهجه ، ولذلك إذا نظرنا في أصحاب نبي الله- r - وجدنا لكل صحابي أصحابه ، فوجدنا لابن عمر نافع وابنه سالم بن عبدالله بن عمر وغيرهما من أصحابه ، وكذلك وجدنا لعبد الله بن عباس مجاهد وطاووس وعطاء وسعيد بن جبيروغيرهم-رحمة الله عليهم-كل واحد من العلماء لزمه أصحابه وأخذوا عنه ورضوا به حجة بينهم وبين الله مادام أنه يتكلم بالدليل ؛ السبب أننا نقول أن طالب العلم الذي يحسن النظر نوعاً ما ولايحسنه على الكمال

١ / الأنبياء ، آية : ٧ .

ينبغي أن يتقيد بعالم بدليله أننا لو قلنا اجتهد لايحسن الاجتهاد ولوقلنا له ابحث لايحسن البحث فحينئذٍ نكلفه ماليس في وسعه والله لايكلف نفساً ألا ما في وسعها ثم لوقلنا له قلد مثله لايقلد وإنما يتبع هذا العالم بالدليل ولو قلنا له خذ بفتوى أي عالم فهذا خطأ لأنه لو جاء إلى الصلاة فأخذ بقول من يقول بعدم وجوب قراءة الفاتحة على المأموم وترك قراءتها لقوله هذا فإن هذا القول قد يكون مبنياً على أصل في دلالة منطوق أو مفهوم فيأتي في البيع والشراء ويسأل غيره ويكون هذا الغير قد اعتمد أصلاً ضد الأصل الذي اعتمده الآخر فيتعبد الله بأصول متناقضة فهو تارة يعتقد الحكم بما أنزله الله- Y -في دلالة ويرى في موضع آخر أنها ليست بحجة وليست بدليل ، ولذلك إذا أصبح طالب العلم يأخذ بقول كل إنسان دون أن يتقيد بعالم يتذبذب ولايمكن أن يثبت له حال وتجد بعض طلاب العلم يبدأ بقراءة الفقه فلايستقيم له حال لأنه يذهب ويقرأ في شروح الأحاديث فيجد خلاف الأئمة وأقوالهم وأدلتهم أمر ضاعت فيه عقول الجهابذة من أهل العلم فضلاً عن طويلب علم مبتدئ ويريد أن يصل إلى العلم بهذه الطريقة لايمكن ولايمكن أن يضبط العلم إلا بعالم يسير على نهجه بكتاب الله وسنة النبي- r -وليس هذا من التعصب ولامن التقليد المذموم إنما التقليد المذموم والتعصب أن يقال له قال الله قال رسوله فيعدل إلى قول شيخه مجرداً عن الدليل ، أما إذا أخذ بقول شيخه بدليل وحجة ورضي به بينه وبين الله فهذا مذهب السلف-رحمة الله عليهم-ولن تجد

عالماً إلا وقد جثى بركبتيه بين يدي إنسان من أهل العلم قد أخذ العلم عن أهله حتى نبغ وضبط وبعد أن يضبط يتوسع فيصل إلى درجة الاجتهاد فيبقى على ماكان حقاً ويعدل إلى الصواب الذي عند غيرشيخه هذا هو الصواب الذي سار عليه الأئمة وسار عليه الجهابذة-رحمة الله عليهم- فانتفعوا ونفع الله بهم لكن طالب العلم الذي لايلتزم بأصل ولايكون له شيخ يتذبذب فإن كان الإنسان مجتهداً أو طالب علمٍ والتبست عليه مسألة في موضع وليس عنده شيخ يسأله أو يتقيد به فوجد شيخين كل واحد منهما يفتي بضد الآخر فاختلف العلماء على ماذُكر من أهل العلم من يقول يأخذ بالسماحة لأنها الأصل قال-تعالى-:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}١ وما خير- r - بين أمرين ألا اختار أيسرهما ، وكذلك قال- r -:((يسرا ولاتعسرا وبشرا ولاتنفرا)) فقالوا يأخذ بالأيسر وقال بعضهم بل يأخذ بالعزيمة والذين يقولون بأخذ بالعزيمة يقولون لأنه تعارض عنده من يقول بالوجوب وعدم الوجوب فاسقاط الوجوب مشكوك فيه لما بلغه الوجوب بقول إنسان هو حجة وعالم فإنه يشك في سقوط الوجوب بالمعارض فيبقى على الوجوب والالزام ويبقى على التحريم والحظر ولما في أخذه من التحريم والحظر من الحيطة لدينه كما في الحديث : ((دع مايريبك إلى مالايريبك)) ونحو ذلك من الأدلة التي دلت على أنه ينبغي للإنسان أن يستبرئ لدينه وعرضه ومنهم من قال يخير يأخذ ماشاء من

١ / الأنبياء ، آية: ١٠٧.

الأقوال والذي يظهر والله أعلم أن المسألة تحتاج إلى نظر ، فإن كان العالمان متفاوتين في النظر والفقه عمل بمن هو أقوى وحينئذٍ ينظر في العالمين فلو كان أحدهما أعلم من الآخر في الفقه وتعارضا في مسألة فقهية أو عالم يحسن الحديث ولايحسن الفقه وعالم يحسن الفقه ولايحسن الحديث فإن تعارضا في مسألة حديثية قدم العالم الذي يحسن الحديث على العالم الذي يحسن الفقه ، وإن كانت مسألة فقهية قدم الذي يحسن المتون والنظر في الفقه على الذي يحسن الأسانيد والنظر في الحديث لأنه لابد وأن يعطى كل إنسان حقه وقدره فقد أمر النبي- r - بأنزال الناس منازلهم فهذا عالم متقن لأمره متفرغ له قد جعل له وسعه فهو أدرى بما يقول واضبط للأصول وأعرف بكلام العلماء - رحمة الله عليهم- وأقعد بالدليل ، فلذلك الغلبة بالظن برجحان قوله .

كذلك أيضاً لو قال قائل إن استويا في العلم فمذهب بعض الأصوليين أنه ينظر إلى حال العالمين فإن وجد أحدهما أصلح وأتقى لله - Y - وأورع وأكثر خشية لله-سبحانه-وأكثر اجتهاداً في العبادة والخير فغلبة الظن بأصابته للحق أكثر من غيره لأن الذي عُلم بالالتزام بالسنة والعبادة والصلاح والخير أقرب لطاعة الله وأقرب للتوفيق من الله - Y - من غيره فكانت له مزية فضل أن يتبعه ويرجحه على غيره ، ولهذا أصل فالدليل على الترجيح بهذه المرجحات فعل السلف فإن الصحابة كانوا إذا اختلفوا في أمر من أمور النبي- r -في بيته مع أهله احتكموا إلى أمهات

المؤمنين فلما اختلفوا في حديث : ((إنما الماء من الماء)) ووجوب الغسل بمجرد الإيلاج بعث عمر - t - إلى أم المؤمنين عائشة يسألها فذكرت حديثه عليه الصلاة والسلام-: ((إذا التقى الختان فقد وجب الغسل)) فقال عمر من خالف بعد اليوم جعلته نكالاً فجعل الأمر مرده إلى من هو أعلم بالسنة لأن أم المؤمنين في فقهها في علم حال النبي - r - في بيته أعلم ولما رجع إلى أم المؤمنين في علم مسائل السفر كانت تبعث إلى عبدالله بن عمر وكانت ترجع إليه فهذا من باب إنزال الناس منازلهم وهذا هو هدي السلف والأئمة-رحمة الله عليهم- ، حتى كانوا في المناقشات والمناظرات لايعدلون بأقوال الجهابذة وإذا جاء القول عن جهبذ متقن محرر لعلمه قد تفرغ له وبذل له وسعه فلاشك أن غلبة الظن بإصابة الحق فيه أولى ، ولذلك قال الإمام الشافعي -رحمه الله-"رضيت بمالك حجة بيني وبين الله" ، مع أنه في زمان مالك كان هناك أئمة وعلماء ولكنه لما رأى من حب مالك للسنة واتباعه لأثر النبي - r - وكثرة خشية لله وكثرة عبادته وورعه في المشتبهات غلب ظنه برجحان قوله فرضي به حجة بينه وبين الله.

كذلك أيضاً إذا كان هناك أمور تدل على رجحان القول كالعامي مثلاً يأتي ويستفتي العالم فيجد العالم يبسط له المسألة ويذكر له أن فيها خلافاً وأن القول الأول يقول كذا والثاني يقول كذا أو طالب علم يجد العالم يبسط له المسألة ويذكر له الخلاف ويجيب عن الأدلة والثاني يذكر له قول

مجرداً عن الدليل أو يذكر القول بدليل ولايحسن الإجابة عن الدليل الآخر رجح عندك أن قول من بسط أولى بالصواب من الذي لم يبسط ، وهناك طريقة ثالثة يذكرها بعض العلماء وهي أن يأخذ دليل هذا ويعرضه على الثاني فينظر في جوابه فإن وجد منه القوة على الجواب والقدرة على رده علم أنه أقوى فإن وجد منه جواباً رجع إلى الثاني وذكر له دليلاً ولايقول له فلاناً يقول حتى لايوقع الشحناء والبغضاء ولكن يقول هناك من يقول كذا لكذا فهل هذا صحيح ؟

يقول له لا والجواب كذا وكذا ، فإن قال لا والجواب كذا وكذا فحينئذ يعلم أن الذي أجاب مقدم على الذي لم يجب فالحجة السالمة من المعارض أقوى من الحجة التي لها معارض والحجة التي أجيب عنها عن الاعتراضات الواردة والمناقشات التي عليها مقدمة على ضدها ولذلك يرضى بها ويكون غلبة الظن برجحانها أقوى من غيرها ، والله تعالى أعلم .

السؤال:

هل من كلمة توجيهة لطلبة العلم بمناسبة استئناف هذا الدرس المبارك..؟؟

الجواب:

بسم الله والحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن وآلاه أما بعد :

أحمد الله -تبارك وتعالى- أن جمعنا بفضله ومنه وكرمه وأسألة -جل وعلا- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل اجتماعنا اجتماعا مرحوما وأن يجعل تفرقنا من بعده تفرقا معصوماً وأن يجعل هذه اللقاءات خالصة لوجهه الكريم موجبة لرضوانه العظيم وإن كان لي من كلمة فأحب ما مايكون من المسلم تجاه نعمة الله- Y -خاصة العلم أن يثني على الله بما هو أهله وأن يسكن قلبه اجلالاً لنعم الله التي أنعم الله عليه .

إن طلب العلم والجلوس في مجالس العلم وحب مجالس العلم وحب رياض العلم أمر ليس باليسير فكم من أناس يتمنون مجلسا من مجالس الذكر حيل بينهم وبين مايشتهون ؟؟ بالمشاغل والأمراض والفتن ولكن الله-جل وعلا-يختارك فهذه نعمة تستوجب منك أن تعظم ما أسدى الله اليك ولذلك يقول الله-جل وعلا-: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}(١) قال العلماء أهم مايكون في شكر النعم تعظيم نعمة الله - Y - فإذا شعرت أن الله اختارك وأن الله أصطفاك لروضة من رياض الجنة تغشاك فيه السكينة وتنزل عليها الملائكة ويقوم صحابهم ربما بدلت سيئاته حسنات فهم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم قال- r - :((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده)) فهذه نعمة عظيمة وكم من إنسان جاء إلى مجلس ذكر أصابته رحمة سعد بها في دينه وآخرته!! قال - r -:((من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقاً إلى

الجنة)) فقد تخرج من بيتك إلى بيت من بيوت الله وأنت تريد أن تتفقه في دينك أوتتعلم حكم من أحكام الشرع :((من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)) قال بعض العلماء أي أن الله يوفقه ويسدده ويعينه ويعصمه من الفتن حتى ينتهي به علمه إلى الجنة- نسأل الله أن يجعلنا ذلك الرجل - ، ولذلك تجد أهل العلم وطلاب العلم في سعادة وفي رحمة وفي ثبات ومن أعظم الأمور التي يثبت الله بها القلوب على الخير ويجعل الصدور في انشراح وطمأنينة طلب العلم فنسأل الله العظيم أن يجعلنا ذلك الرجل .

الذي أوصي به بعد حمدالله وشكر الله واجلال نعمة الله-جل وعلا- أمور :

أولها : الاخلاص فإن الله-جل وعلا- طيباً لايقبل إلا طيباً ، وقد أختار الله منك قلبك فإذا رآك وأنت تخرج من بيتك إلى حلق الذكر وأنت تريد وجهه كتب الله خطواتك وأنفاسك ومجالسك وكتب عنائك فلا تنفق قليلاً ولا كثيراً ولا يذهب من وقتك ولاعنائك ولاجهدك إلا كان في ميزان حسناتك بالإخلاص فلا تخرج رياءاً ولا تخرج سمعة ولاتخرج لقضاء الفراغ ولا من أجل الأصحاب والأحباب ولكن لله وفي الله وتقرباً إلى الله تشتري رحمة الله بكل خطوة تخطوها وبكل كلمة تسمعها ويكون دافعك وحافزك ما عندالله - Y -.

الأمر الثاني : رعاية هذا العلم وحق هذا العلم أن يتأدب الإنسان بأدبه وأعظم الأدب الأدب مع العلماء فواجب علينا جميعاً أن نحب أهل العلم في الله وأن نعتقد فضلهم حينما جعلهم الله امناء على دينه وشرعه . فالله نظر إلى الخلق فمقتهم وأختار نبيه - r -من بين خلقه خاتماً للرسل فلا قيمة للخلق عند الله إلا بهذا الدين ولا منزلة للعباد عند رب العباد إلا بهذا الدين والعلماء هم أُمناء الله - Y -على وحيه وهم المبلغون لشرعه حملة الكتاب والسنة هداة الشريعة والملة فهؤلاء لهم حق علينا عظيم أمواتهم وأحيائهم .

فلن تستطيع أن تجلس في مجالس العلم وأن تقوم بحقها إلا إذا حفظت قدر العلماء أحياء وأمواتا وأصبحت تعتقد فضلهم وتشيد بفضلهم لله وفي الله لارياء ولا سمعة ؛ وإنما تلتمس بذلك مرضاة الله - Y -يقول بعض العلماء في الحديث الصحيح أن الله-تعالى- يقول للملائكة في عبدٍ خطأ مذنب مر على مجلس ذكر وحضر حلقة الذكر قال الله :((وله قد غفرت هم القوم لايشقى بهم جليس)) غفر الله لهذا الرجل الذي جلس في مجلس الذكر لحظات قال:((هم القوم لايشقى بهم جليس)) يقول بعض العلماء :" إني لأعجب من هذا الحديث أن يكون في الرجل يمر على حلقة الذكر فيجلس وهو ليس من أهل الذكر ليس ممن يداوم على حلق الذكر ولكن مر فجلس فغفر الله له فكيف بحال العالم الذي قام عليه هذا المجلس؟ " ، يعني إذا كان الله أكرم هذا الرجل الذي مر فغفر ذنبه بجلوسه هذه

اللحظات فكيف بمن تقوم عليهم حلق الذكر ، فأهل العلم لهم علينا حق خاصة الأموات وسلف الأمه فإن الإنسان لن يستطيع أن يقرأ كتب العلم وأن يستفيد منها وأن يحضر مجالسها ألا إذا عرف قدر أصحابها من العلماء الماضين من أئمة السلف خاصة أئمة الحديث وأئمة الفقه الذين من دواوين الإسلام وأئمة الإعلام- نسأل الله العظيم أن يتغشاهم برحماته وأن يجعلهم في أعالي الدرجات من جناته- .

الأمر الثالث : أن يعطي الإنسان حق مجالس العلم من الأدب والسكينة والوقار.. الإنصات للحديث والاستماع إليه وعدم السآمة والملل قد يجلس في مجالس الذكر وتطول الساعات فلا تسأم ولاتمل فإن الله لا يمل حتى تملوا فإذا جلست إلى مجالس الذكر فانظر للكلام الذي يقال ولا تنظر إلى طريقة القول و إلى أسلوب ولا تبحث عن عبرات معينة ولا أساليب منغمة ؛ وإنما تبحث عن قال الله قال رسوله- r - فتَّجل العلم لأنه علم فاجلال العلم لاتسأم ولاتمل ، فإن الإنسان إذا عرف أنه في رحمة وأنه يتّخوض في فرحمة فعليه أن يستمسك بهذه الرحمة وألا يمل ولايسأم ولذلك كلما صبر طالب العلم وصابر كلما علت منزلته وعظم أجره وجل مكانه عند الله وعند خلقه .

الأمر الرابع : الذي يوصى به الإنسان في مجلس العلم ضبط العلم فتحاول في قدر الاستطاعة في أي مجلس إذا أمكنك ألا تفوتك شاردة ولاواردة إلا ضبطتها وقيدتها وحفظتها حتى تبلغها للأمة فنعم ما صنعت

فإن الله يأجرك على ما تسمع ويأجرك على ماتحفظ ويأجرك على ماتكتب ويأجرك على تبلغ ويأجرك على ماتعمل به من هذا العلم فتحرص على أن تخرج من هذه الحلقة أو من حلق العلماء كأفضل رجل حضرها وكأفضل سامعاً أنصت إليها وأن لا ترضى بالقليل فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يبلغ هذه الدرجة العالية من الحفظ والأتقان والفهم فإن عليه أن يأخذ على قدر استطاعته ، فإذا رأيت المسائل تشعبت والأقوال كثرت خذ الزبدة والخلاصة وأحرص على التركيز وحبذا لو يكون معك طالب علم تذاكره وتجالسه فإذا كان الدرس أسبوعيا تجالسه لو مرة في الأسبوع تراجع معه وتضبط فهذه أمور يوصى بها طلاب العلم .

الأمر الخامس : أوصي به طلاب العلم العمل بالعلم فأي مجلس ذكر حضرته واستمعت فيه إلى سنة حرصت على العلم بها "ومن عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم" فمن كان عاملا بعلمه فتح الله له أبواب رحمته وهذا كما قال العلماء هو العلم النافع الذي استعاذ النبي - r - من ضده فقال :((اللهم إني أعوذ بك من علم لاينفع)) فتحرص -رحمك الله- على أنك لاتسمع سنة إلا عملت بها ولا تسمع سنة إلا طبقتها والتزمتها ثم بعد ذلك تنتقل إلى المرحلة الثانية وهي الدعوة والتبليغ فإذا انطلقت إلى البيت وجلست مع أهلك وولدك واستفدت الفوائد فلا تبخل على أهلك ولا ولدك تذكر لهم المسألة وتذاكرهم في العلم الذي وجدته حتى يكون ذلك أعظم لأجرك وإن الله - Y - يجعل الإنسان رحمة على أهله بما

يسدي لهم من الخير وبما يعلمهم من الطاعة والبر ، - نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين-.

السؤال:

هل من كلمة توجيهة حول زيارة طلاب العلم وغيرهم من الناس إذا أردوا زيارة العلماء..؟؟

الجواب :

زيارة العلماء لاشك أنها من أجل القربات وأفضل الطاعات قد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي- r -:((إن الله أرسل لعبد خرج من قريته إلى قرية أخرى يزور له أخاً في الله أرسل الله له ملكاً على مدرجة الطريق فقال إلى أين أنت ذاهب قال : إلى هذه القرية قال : ومالك فيها قال : لي فيها أخ في الله قال هل لك عليه من نعمة تُربها عليه قال : لا إلا أنه أخي في الله فقال إني رسول الله إليك أن الله قد غفر لك بممشاك إليه)) أكبر الله من هذا العبد حبه في الله لأخيه المسلم وأكبر الله منه هذه الخُطوات وهذا الممشى الذي طاب وطاب صاحبه ، ولذلك كتب الله المغفرة له بزيارته لأخيه والعلماء -رحمهم الله-يقولون : "يشرف الشيء إذا شرفت غايته وشرف مقصده" فكما كانت زيارتك لله لمن هو أعظم منك حقاً وأعظم قدراً وكان ممشاك إلى من هو أعظم فضلاً فإن الأجر أعظم ، ولذلك قال - r - : ((من أحب منكم أن ينسى له في أثره وأن يبسط في رزقه وأن يزاد له في عمره فليصل رحمه)) فجعل صلة الرحم ومنها الزيارة جعلها

موجبة لهذه العواقب الحميدة وثبت في الصحيح عن الطفيل بن عمرو بصحيح مسلم أن الطفيل بن عمرو كان له ابن عم هاجر إلى رسول الله- r -فالهجرة سفر وانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام إلى رسول الله- r -فخرج هذا المخرج لله وفي الله وفضل الله خروجه لنبيه -صلوات الله وسلامه عليه-بالهجرة لعظيم مافيها من قصد وجه الله-تبارك وتعالى-فكل خروج يقصد به وجه الله فهو عظيم فلما هاجر الرجل إلى رسول الله- r -قاتل معه فجرح جراحات فمرض ثم استعجل الموت أحس بشدة المرض وعظيمه فقطع براجمه فشخذت براجمه فمات فرآه الطفيل في النوم فقال له : " ما فعل الله بك" والراوية لمسلم في صحيحه قال له : "مافعل الله بك قال : غفر لي وأدخلني الجنة بهجرتي إلى نبيه- r -"غفر لي وأدخلني الجنة بهجرتي نبيه - r -فشرف الله الشيء بشرف من قُصد والعلماء ورثة الأنبياء فالإنسان إذا خرج من بيته لزيارة عالم وإرادة الجلوس معه لله وفي الله .

أولاً : هذه طاعة وقربة لله - Y - .

وثانياً : أن السبب الباعث عليها في الغالب هو الانتفاع ، وكذلك التقرب إلى الله- Y -بقضاء الوقت فيما يحبه ويرضاه وأحب من قضيت معه الأوقات والساعات هم العلماء ؛ لأن الإنسان إذا جلس معهم استفاد بما يعينه على دينه ودنياه وآخرته ، ولذلك جعل الله مجالسهم مجالس الرحمة وثبت في الحديث الصحيح أن الله شهد من فوق سبع سموات أنهم :

توجيهات ووصايا لطلبة العلم

((هم القوم لا يشقى بهم جليس)) فغفر الله لعبدٍ مذنبٍ كثير الخطأ والذنوب مرّ على مجلس ذكر فغفر الله لأهل ذلك المجلس وقالت الملائكة إن فيهم فلاناً عبداً خطاء كثير الذنوب مرّ فجلس معهم قال : ((وله قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليس)) فمن قصد العلماء وجلس مجالسهم ، يقول بعض العلماء : إن الله- Y -غفر لمن جلس هذا المجلس إذا كان ولم يقصد هذا المجلس فكيف بطالب العلم حينما يخرج من بيته من أجل أن يجلس هذا المجلس؟! قال بعض العلماء في قوله-عليه الصلاة والسلام-: ((من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)) قالوا إنه لو خرج من بيته فإن خطواته تكتب وأنفاسه تكتب ، فزيارة العلماء من أجل الطاعات وأفضل القربات.

وأول ما وأصيك به : الأدب من الله- Y -أن تخرج من بيتك لامن أجل أن يقال إنك جليس فلان أو إنك تغشى مجلس فلان ؛ لكن لله وفي الله وابتغاء الأجر من عند الله .

ثانياً : أن تختار أنسب الأوقات وأفضلها لزيارة العالم فالعلماء شُغلت بهم الأمة وعلى ظهورهم أمانات ووراءهم أمم تنتفع بعلمهم وتستضيء بعد الله بنوره فينبغي أن يهيء لهؤلاء من الوقت والراحة والاستجمام مايستعينون به على نفع الأمة ودلالتها على الخير فلا يأتي الإنسان في الأوقات المزعجة وإنما يسأل متى يُزار هذا العالم ومتى يغشى في بيته ؟! فإذا كان العالم ليس له وقت فإن الأفضل ألا يزار ؛ لأنك إذا جئت وأنت

وحيد تشغله عن مصالح أمة وعن نفع أمة به ؛ لكن إذا حدد وقتاً للزيارة أوكان هناك وقت للزيارة خاصةً في هذا الزمان فإن الساعات لو نظرت إلى أبسط الناس ومنهم من عوام الناس تجد أن الوقت عندهم يضيق ولا يستطيع أن يتحكم في أوقاته لزيارة أقرب الناس إليه فكيف بالعالم !! لمن في حاجته إلى وقته حاجته لراحة نفسه في حاجته للوقت للتحضير لدروسه وفتاوى الناس وإرشاد الناس وحمل هذه الأمانات من أدلة كتاب الله وسنة رسول الله - r -لنفع الأمة فلا تأتي في أي وقت وكان بعض المشائخ - رحمة الله عليهم-يقول : " أخشى على من اختار وقتاً يزعج فيه العالم وعنده أمانة من تعليم ناس أو اختار خطيباً أو إماماً عنده خطبة أو ساعة يواجه فيها الناس يحتاجها لتحضير أو نفع أمة فجاء فشغله عن ذلك أخشى عليه الاثم " ، لأنه لمّا جاء بهذه الساعة شغله عن أمة وقد يستحي العالم ويكون خجولاً فيحابي ذلك الرجل ويجلس معه فتكون هذه المحاباة سبباً في إضاعة حقوق أعظم من التحضير لدروس وانتفاع بها هذا أمر ينبغي أن يوضع في الحسبان .

الأمر الثالث : ينبغي أن نعلم خاصةً في هذا الزمن أن الوقت ضيق وينبغي أن نعلم أنه إذا هيأ العلماء مجالس في المساجد وهيأوا مجالس لنفع الناس وعندهم أوقات معينة للجلوس معهم فأنا أرى الأفضل والأكمل أن تكون ممن زارهم في مجالس الذكر وطاعة الله- Y - فذلك أجل وأسمى ليس معنى هذا أن نتهرب من لقاء الناس أو نمنع الناس من زيارة العلماء ؛

ولكن شكى لي كثير من العلماء فمن أعرفهم خاصة معنا في المدينة وغيرهم يشكون من إضاعة الأوقات بسبب الزيارات فما يخرج وفد أو ركب إلا وجاء من بعده ثم يأتي هذا تلو هذا ويخرج هذا ويدخل هذا هذا أمر من الصعوبة بمكان وإننا والله لنشفق شفقة على هؤلاء الفضلاء وشفقة على هؤلاء العلماء خاصةً الأجلاء منهم ممن تحمل المسؤولية والأمانة .

الأمر الرابع : إذا أتيت ودخلت ينبغي أن تعلم أن للعالم حرمة فإذا قابلتة تقابلة مقابله من يجل ويكرم فلاتقابله مقابلة الباردة كأنك داخل على عامة الناس ؛ لأن هذا من إجلال دين الله- Y -وإجلال شعائر الله ، فبعضٌ من الناس إذا قابل العالم في المجلس أمام الناس أجله خوفاً أن ينتقص في نظر الناس إليه فإذا زار في بيته زاره كما يزور الأخ أخاه وكأنه شيء عادي ، وبعضهم إذا ألف زيارة العلماء وألف الدخول على العالم فإنه يقابله كمايقابل عامة أصحابه وعامة أصدقائه ، ومن الناس من إذا أكرمه العالم وأدخله إلى خاصته ازداد إكراماً وإجلالاً له وما زاده ذلك الحب إلا توقيراً وهيبة وأصبح يشعر أنه ينبغي عليه أن يجلّ أكثر وأن يكرم أكثر فتجد طيب معدنه يفوح بحسن شمائله وطيب خلاله كلما أكرمته وأفضلت عليه ؛ لكن بعضاً من طلاب العلم أو بعضاً من العامة -أصلحهم الله- قربهم من العلماء يزيدهم جرأة ، والله لقد رأيت من الأمور العجيبة في بعض المجالس ولا أقول أخص بها قوماً أو جماعة إنني أرى بعضاً من الذين

يقتربون من العلماء يتأخذون من قربهم من العلماء وسيلة لإهانة العلماء من حيث لا يشعرون فبعضهم إذا جلس في مجلس العالم وأكثر من زيارة العالم يتحدث كيف شاء ويجيب كيف شاء ولربما جاء الضيف فأراد أن يباسط العالم فيحدثه الحديث من الدنيا فإذا بهذا يتدخل بكلمة أو بجملة أو بعبارة وكأنه هو المعني وكأنه هو المراد لاينبغي ،ولهذا فإنه ينبغي على كل من أقترب من العالم في زيارة أو ضيافه أن يكون أكثر أجلالاً ؛ لأن الناس تجل العالم على حسب من حوله فإذا رأى من حوله يكرمه ويجله يزداد إكراماً وإجلالاً ، ولذلك إذا نظرنا إلى هدي الصحابة -رضوان الله عليهم-وجدنا أكثر إجلالاً قال سهل لما بعثته قريش قال : "والذي يحلف به سهل والله ما رأيت أكثر حباً من أصحاب محمد لمحمد" رأى من الصحابة إجلال العلم والنبوة وإكرام رسول الله- r - ، أقول هذا والله شفقاً ونصحية ليس لي خاصة وإنما للعلماء نرى أموراً تتقرح منها القلوب ماكنَّا مع مشائخنا وعلمائنا بهذا فما زادنا القرب من العلماء إلا هيبة وإجلال وحب لا من أجل العلماء ؛ و لكن لله وفي الله ونحس أن إكرامهم لنا وإدخالهم لنا في بيوتهم شرف عظيم يُوجب علينا حقاً أعظم من الحق الذي يكون لعامة الناس فينبغي على من دخل على العالم أن يجله ويكرمه وأن يجعل من الدخول سبباً في المباسطة .

الأمر الأخير : الذي أحب أن أنبه عليه إضاعة وقت العالم فلقد مر بي ومر بغير من العلماء والمشائخ أنه ربما يأتيه الضيف بعد العشاء فتجده إذا دخل

المجلس يجلس ساكتاً فلا يتكلم ولا يتحدث ولربما مرت الساعة والساعة والنصف وإذا به يسأل أسئلة واضحة تماماً فإذا ذهبت الساعة والساعتان والثلاث إذا به ينظر كأنما الوقت قد طال فيقول يا شيخ عندي مشكلة طيلة هذا الوقت الذي ذهب هدراً وكأن الإنسان يزور الإنسان عنده الوقت عبث هذه الأمور ينبغي أن يتنبه لها ، إذا دخلت لحاجة ينبغي أن تحس أن الوقت ثمين والله لانقولها شفقة على أنفسنا ؛ وإنما أقولها شفقة على علماء الأمة والأمر لا يختص بالعلماء حتى خطباء المساجد وأئمة المساجد والمؤذنين لهم فضل ولهم نفس الحق إذا كان في حيك إمامُ أو خطيب تزوره ينبغي أن تراعي مثل هذه الآداب ؛ لأن الله يكملك ويجملك وإنها لنعمة من الله- Y -أن يكون عند الإنسان شعور وأن يترفق هذا من الرفق : ((والرفق ما كان في شيء إلا زانه ولانزع من شيء إلا شانه)).

كذلك وصية أخيرة : ليس المراد أن أتأدب أنا في نفسي مع العالم ؛ ولكن ينبغي أن أعود من معي على حب العالم وإجلاله فإذا جلس في المجلس ورأيت من معك يضيع الوقت إذا غاب العالم في إحضار الطعام والوقت يضيع عليه تقول يا إخوان ترفقوا بالشيخ ترفقوا بالإمام ترفقوا بفلان حتى يكون ذلك من باب التواصي بالحق -أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يهدينا لمكارم الأخلاق لا يهديه لأحسنها إلا هو-لكن لا أقول هذا تهرباً من الزيارة يعلم الله - Y -لكن هذه أمانة والمستشار مؤتمن ولما

سئلت عن الآداب ينبغي أن أبوح فما أنا إلا كزائر مثلكم وأحب لكم ما أحب لنفسي والخير أردت والله من وراء القصد .

السؤال:

في أحاديث هذا المجلس المبارك ورد الاستفتاء والسؤال من أجل العلم فما هو الأدب الذى يتحلى به الطالب في السؤال والاستفتاء لأهل العلم حتى ينتفع بهذا العلم نرجو توجيهكم في ذلك .. ؟؟

الجواب:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فهذا سؤال موفق ؛ فإن الله - Y - إذا أردَ بعبدهِ الخيرَ رزقه محاسنَ الأمورِ وحبَّب إلى قلبه الكمالات وزينه وفضلة بحسن الأدب وحسن الخلق ، ولذلك قال - r - في الحديث الصحيح : ((إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)) وهذه نعمة من الله - Y -ونسأل الله العظيم أن يجعلنا وإياكم ذلك الرجل ، ولا شك أن المسلم يحسن خلقه في سائر الأحوال ؛ ولكن في حال الشرع والسؤال عن الشرع والجلوس مع العلماء ومذاكرة أهل العلم فالأمر آكد لأنه لا يعظم العالم لذاته ولكن يعظم ما في قلبه من كتاب الله وسنة النبي - r - ، فهو يعلم أن الله يحب

منه ذلك وهو يعلم أن الله يرضى عن ذلك وإذا رضى الله عن عبده أرضاه ، ولرضى الله على عبده أسباب:

ومن هذه الأسباب ما يكون في قوله وعمله خاصة مع الناس ، وجماع الأمر في سؤال العلماء واستفتائهم أن يتقي العبدُ ربه ومن يتقى الله علمه وفهمه وسدَّده ووفقه وغفر ذنبه وفرج كربه :{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} (١) فمن خرج من بيته وهو يريد أن يسأل أو يستشكل وهو يتقي الله في سؤاله وفي استشكاله فإن الله - Y - يجعل له من أمره يسرا ، والأمر الذى يوصى به من يتقي الله- Y - في سؤاله أن يحفظ لأهل العلم حقَهم وحرمتهم فإذا أراد أن يسأل لايسأل تعنتاً ولا يسأل لغرض ؛ وإنما يسأل لله وفي لله وابتغاء الأجر من الله- Y - فإن الله ما جعل أهل العلم لأغراض ولا لأهواء ، وإنما جعلهم أمناء على دينه حملة لشرعه والله هو المتكفل في أمرهم ، وكم من إنسان أو عالم يجلس والله يفتح عليه والله يعلم أنه يجلس ويستغلق عليه الأمر ولكن الله يفتح والله خير الفاتحين ، الأمر الذى يدل على تولى الله لعباده وتكفله بأمرهم :{ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} (١) وإذا تولى الله عبده وفقه ، فالمنبغي على كل إنسان يجالس العلماء أو يريد أن يسألهم أن يعلم أن السؤال مسؤلية ، وأن له حرمةً وأن عليه أن يتقي الله فيمن يسأله.

الأمر الثاني مما يجب على من يريد الاستفتاء أن يتخير من هو أهلٌ للسؤال: وهذا ذكره العلماء وشددوا فيه وأن من سأل من ليس بأهل للسؤال أن عليه الإثم والوزر إذا أفتاه -والعياذ بالله- بدون علم ، فإن سؤالك لمن ليس بأهل يغررُ غيرك بسؤاله ويعينه أيضاً على الفتوى في دين الله بدون وجه حق ، ومن هنا قال العلماء إن المعونة على الإثم توجب تشريك صاحبها في الإثم ، فالذي يَسألُ من ليس بأهل يشاركه في الإثم وإذا رآه الغير يسأل هذا الرجل اغتر بسؤاله خاصة طلاب العلم ، لا ينبغي لهم أن يسألوا إلا من يثقون بعلمه ودينه وأمانته وشهُد له أنه أهل لأن يفتي ، قال الإمام مالك -رحمه الله-:" لا ينبغي للرجل أن يفتي الناس حتى يشهد له الأهل أنه أهل لذلك" أي يشهد له أهل العلم أنه أهل أن يفتي ، كذلك أيضاً ينبغي عليه بعد أن يتخير العالم أن يتخير الوقت المناسب لسؤاله ومعرفة وجه الحق والصواب ، منه فلا يأتية في الأوقات المزعجة ، ولا يأتيه وهو على حالة من التعب والإعياء وإنما يرفق به هذا إذا كان وقته لا يسمح بذلك ، أما إذا هو سمح بذلك وطاب بخاطر وكان السؤال يلزم عن الإنسان أن يسأل فإنه يسأل .

وكان أهل العلم -رحمهم الله- يرون المسؤولية عليهم ولو كانت في أضيق الأوقات ولو كانت في أشد الساعات ، كان الوالد -رحمه الله- ربما يأتيه الرجل وهو من علية القوم ويعلم الله الذى لا إله إلا هو إذا وضع جنبه نهاب أن نوقظه أو نزعجه ويأتيه الرجل من علية القوم وهو يريد

السفر يريد أن يسلم عليه ويكون نائماً لا نوقظه ، ولكن إذا جاء السائل وهو مرقع الثياب رث الهيئة ولو كان من عامة الناس وأقلهم مالاً إذا قال أريد أن أسأل أيقظناه ، والله لا يعتب علينا ولا أذكر يوماً من الأيام أنه عتب عليَّ أنني أيقظته من شدة نومه وراحته مع أنه منهك ومجهد فوالله الذى لاإله إلا هو لقد رأيت بعيني أنه يوضع الطعام بين يديه فيقال له إن السائل بالباب فيخرج ويجيبه ثم يرجع فيجلس لأجل أن يصيب طعامه فيتصل هذا ويسأل فيرفع ويجيب ، ثم يتصل هذا فيسأل حتى يبرد طعامه ، وربما يتغير وربما يجلس على هذا الحالة في أكثر من مرة أكثر من ساعة إلى ساعتين وهو لا يهنأ بطعامه وشرابه ؛ بل بلغ ببعض أهل العلم أنه ربما جلس لقضاء حاجته فعلم بالسائل فيقطع ثم ينطلق ليجيب عنه ، وهذا كله لاشك شعور بالمسئولية وشعور بالأمانة خاصة في هذا الزمان فإن الناس بحاجة إلى من يجيبهم ويبين لهم وجه الحق ، وإذا لم يبين أهل الحق للناس ويعلموهم ويرشدوهم فإنهم يتساقطون على من لا علم عنده .

أما كيفية السؤال ومضمون السؤال فالشخص إذا أراد أن يسأل ينبغي عليه أن يعلم أن الله أمره بأمر ونهاه عن نهي ينبغي عليه أن يبدأ بالسؤال عما كلفه الله به وأمره به سواء كان في أمور العبادات أو أمور المعاملات ، إذا كانت عند الإنسان تجارة ينبغي عليه أن لايبيع ولايشتري حتى يعلم أن الله أذن له بالبيع والشراء ، وأن الله أذن له أن يبتاع هذا الشيء أو يشتريه فكان التجار ربما تجد عند التجار مسائل فقهية لا تجدها عند

طلاب العلم ؛ لأنهم كانوا لا يبيعون ولا يشترون حتى يسألوا أهل العلم ، وكان العلم عندهم في مسائل عزيزة لأنهم كانوا يسألون عن أمور دينهم ، قال بعض العلماء : من باع واشترى يجب عليه أن يسأل عن أحكام البيع والشراء وإلا أثم ، وكان عمر بن الخطاب - t وأرضاه- يقيم من السوق من لا يعرف أحكام البيع والشراء خوفاً من أن يوقع الناس في بيوع محرمة ، يسأل الإنسان أول ما يسأل عما فرض الله عليه في نفسه خاصة نفسه ، ثم بعد أن يعلم ما أوجب الله عليه وما حرم ينطلق إلى الحقوق والواجبات التي تتبعه كحقوق الأولاد و الزوجات فإذا نزلت به المسأله سأل العالم ما الذي يجب عليه تجاه أهله ، إذا أراد الزواج سأل ما هي الحقوق الزوجية وإذا عاشر أهله فالتبس عليه الأمر قال لزوجته انتظري فسأل واستبين ، وما دام أنه يسأل فإن الله يعلمه ويفهمه ، وإذا نظر الله إلى عبده لا يتقدم ولا يتأخر إلا بعلم وحجة فإن هذا من رحمة الله ولا شك أن العبد إذا حرص على مثل هذا المنهج أن الله سيوفقه وسيسدده .

أماالأمرالثالث صيغة السؤال فينبغي أن تكون صيغة السؤال بأسلوب مهذب مؤدب : { يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ}(١) يوسف أيها الصديق أفتنا حتى وهم عامة من العوام ويسألون عن رؤيا يقولون يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات ، هذا يدل على أنه ينبغي للإنسان إذا سأل أن يعلم أن من يجيبه له فضل عليه ، وهذا الفضل يقول الإمام الشافعي-رحمه الله-" الحر" أي الإنسان الكامل الفاضل "الحر من

حفظ وداد لحظة وتعليم لفظة" فالسؤال والاستفتاء يتضمن أحكاماً شرعية وتعليم المسائل فينبغي أن يجل من يسأل ، وإذا أراد الرجل في الدنيا إذا أراد الرجل أن يصيب الحاجة من الدنيا وجدته يذل نفسه ويريق ماء وجهه من أجل حطام من الدنيا زائل ومتاع منها حائل ، تجده يبذل ما يستطيع -والعياذبالله- من المهانة والمذلة وإذا جاء يسأل العالم فإنه أحرى أن يتذلل لا للعالم ، ولكن لله - Y - فليس المراد أن يتذلل وأن يريق ماء وجهه لا ، إنما يخاطب أهل العلم بما يليق بهم ،ويخاطبهم بما ينبغي أن يخاطبو به ، ثم عليه أن يكون فاهماً فإذا أجابه العالم أن يحفظ الألفاظ ويحفظ الفتوى فيؤديها كما سمعها إذا كان ناقلاً للفتوى ، وجماع الخير كله تقوى الله التي يتيسر بها الأمر وينشرح بها الصدر -نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا من المتقين الهداة المهتدين غير ضالين ولا مضلين-.

السؤال:

ينتابنا شيء من الفتور في طلب العلم ، هل من توجيه ونحن في بداية العام الدراسي..؟؟

الجواب:

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يرزقنا الإخلاص لوجهه الكريم ، فمن أخلص لله - Y - وأراد ما عند الله -سبحانه- فإن الله يوفقه ويسدده ؛ لأن الإخلاص من تقوى الله ، ومن اتقى الله علمه ، ومن اتقى

الله جعل له فرقانا يفرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال ، وبقدر إخلاص العبد لله - Y - ، بقدر ما تقوى عزيمته على كل خير فإن من عرف الله أحبه وهابه ومن أحب الله وهابه عمل للقائه ، راجياً رحمته وخائفاً من عذابه ، وخير ما يوصى به طالب العلم لدفع السآمة والملل والفتور أن يخلص لوجه الله - Y - والله لن يكون الإنسان في فتور في هدايته والتزامه وعلمه وعمله وطاعته وكل خير يكون منه ، لا يمكن أن يكون منه الفتور إلا بسبب ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

ومن أعظم الأسباب التي ذكرها العلماء التي تحول بين العبد والخير وتثبط نية الإنسان وعزيمته عن الخير أن يصرف قلبه عن الله - Y - ، طالب العلم في بداية طلبه للعلم قد يخلص لوجه الله ويريد ما عند الله ، فإذا رأى أنه قد علم ، أو رأى أنظار الناس قد اتجهت إليه ، أو جلس في مجلس فسئل عن مسألة فأجاب ، أو سئل عن نازلة فأحسن الكلام والخطاب ربما دخله الغرور ، فإذا دخله الغرور نزعت البركة من علمه وصرف إلى ذكائه وحوله وقوته وفهمه وضبطه فوكله الله إلى نفسه ومن وكله الله إلى نفسه ، زلت قدمه وعظمت خيبته ، العبد في كل خير وفي كل رحمة ما كان مع الله - Y - فإن رأى خيراً حمد الله وقال:{ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ}(١) وإن رأى غير ذلك قال أنا المقصر وأنا المذنب وأنا المسيء ، فأخذ يلوم نفسه حتى يكمل الله ما كان من نقصه ، أهم شيء يوصى به

طالب العلم لدفع السآمة والملل ، الإخلاص لوجه الله ، ولن تستطيع أن ترى طالب علم مخلص على أتم الوجوه إلا إذا جعل الآخرة نصب عينيه ، ومن جعل الآخرة نصب عينيه والله لا يسام ، ولا يكل من طاعة الله - Y - هذا هو الذي جعل السلف الصالح تسهر عيونهم وتنتصب في جوف الليل أقدامهم وتباع في سبيل الله رخيصة أرواحهم كل هذا بسبب ذكر الأخرة لأن المخلص دائم يذكر الآخرة ، المخلص دائم الإخلاص يجعل الآخرة نصب عينيه فلا يمكن أن تدخل عليه السآمة والملل ، تراه إن كان طالب علم يسهر ليله ويكدح نهاره لعلمه أن الله يرضى عن سهره ، وأن الله يرضى عن كدحه ، وأن هذا السهر وهذا التعب يخط في صحائف عمله ، يخطها ملائك لا يغشون ولا يكذبون ، لكي يراها بين عينيه: في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم طالب العلم دائماً يجعل الآخرة نصب عينيه ومن جعل الآخرة نصب عينيه لا يكل ولا يسأم ولايمل من كلمة تقرب إلى الله - Y - ، وعندهم شعور أن كل شيء يرضي الله ينبغي أن يحرص عليه فإذا جلس في مجالس العلم بالساعات تلذذ ، وتمنى أنها تطول وتمنى أنها لا تنقطع ، لعلمه أن الله يسمعه ، وأن الله يراه ، وأنه في هذه الحالة التي يسمعه الله فيها ويراه أنها حالة رضى من الله - Y - ودائما يعتقد في خير ما دام أنه في طاعة الله ، الإخلاص هو الذي يدفع السآمة ويدفع الملل عن كل عبد يريد الله والدار الآخرة

ولذلك كان بعض علماء السلف والأمة حينما تقرأ تراجمهم تتعجب من ذلك الصبر والجلد والقوة والتحمل ؛ ولكن تعلم أن هذه القلوب أرادت ما عند الله والدار الآخرة ، كان بعض علماء الحديث ذكروا عن بعضهم أنهم أمضوا يوماً كاملاً لم يستطيعوا أن يصيبوا الطعام فيه ، كلما أرادوا أن يجلسوا لأجل أن يعدوا طعامهم ، جاءهم الصارخ والقائل مسجد فلان جلس فيه الشيخ فلان يلقي الحديث ، كانت الأحاديث منتشرة في قلوب الناس وفى صدور الرجال ليست كزماننا والحمد لله ميسرة وموجودة كانت قلوب الناس أوعية للحديث .

نعم ...كانت أوعية للحديث مملوءة بذكر الله والدار الآخرة ، فكانوا يحفظون حديث رسول الله - r - فكان الرجل من حبه لله وحبه لرسول الله - r - وسنته ما إن يسمع بعالم يلقي حديثاً إلا يطير فرحاً للقائه ، وكان الإمام مالك -رحمه الله- سقطت عمامته ثلاث مرات على باب الزهري يزاحم الناس على العلم عنه .

كان العلماء -رحمهم الله- يمضي عليهم اليوم كاملاً لا يطعمون فيه الطعام كلما أراد أن يطعم أو يهيئ الطعام ، سمع أن مجلس علم عقد ، أو مجلس رواية لحديث رسول الله - r -عقد ، وكانت لا تستقر بهم الأحوال كلما جلسوا في مكان أو انتقلوا إلى مصر أو إلى مدينة وعلموا أن هناك من هو أعلم وأحفظ لحديث رسول الله- r -وأروى للحديث ، وسألوا شيخ ذلك المدينة عن الشيخ الذى تلقوا عنه ارتحلوا إلى ذلك

الشيخ فتغربوا عن الأوطان ، وفارقوا الأهل والخلان ، كل ذلك لرحمة الله ورجاء ما عند الله- Y - من الروح والريحان والنعيم في الجنان .

طالب العلم إذا ملئ قلبه بالآخرة هانت عليه أمور الدنيا وانصرفت همته إلى الله- Y - فسهرت عينه وتعب جسده ، في مرضات الله ، وهكذا الالتزام ، والطاعة والهداية فإنه مما يدفع السآمة والملل عن العبد المطيع لله - Y -، ذكره لله والدار الآخرة ، وخير ما نتواصى به والإنسان يستفتح العام الدراسي الجديد أو يستفتح مجالس العلم ، عليه دائما أن يتذكر الإخلاص وأن يفتش ما في قلبه من إرادة الله والدار الآخرة ، إنه إن فعل ذلك كان له خير الدين والدنيا والآخرة ، فإن الله -سبحانه- مطلع على السرائر عليم بما في الضمائر .

-نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يرزقنا الإخلاص لوجهه الكريم ، وأن يجعلنا أئمة مهتدين غير ضالين ولا مضلين -.